

موسى وعيسى
في ملاصقة الثقليين

كَلَامُ الْحَقِّ مُحْفَظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

الكتاب:..... موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين
المؤلف:..... يوسف إبراهيم الخضير
المصحح:..... أ/ علي مكي الشيخ
الجزء:..... الأول
الطبعة:..... الثانية

موسى وعزرا التسبيح في مدارس سيرة الثقلين

القسم الأول
التسبيح في القرآن الكريم

يوسف إبراهيم الخضير

الجزء الأول

الله أكبر
الحمد لله
الذي هدانا لهذا
والسر من نعمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]

إهداء

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا المُرْتَضَى الإمام التَّقِيِّ النَّقِيِّ
وَحُجَّتِكَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرَى الصِّدِّيقِ الشَّهِيدِ
صَلَاةً كَثِيرَةً تَامَّةً زَاكِيَةً مُتَوَاصِلَةً مُتَوَاتِرَةً مُتَرَادِفَةً كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ^(١).

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،
أَشْهَدُ أَنَّكَ الإمام الهادي والوليُّ المرشِدُ، أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْدَائِكَ
وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِوِلَايَتِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(٢).
أُقَدِّمُ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا وَإِمَامِنَا ثَامِنِ الْأُئِمَّةِ وَضَامِنِ
الْجَنَّةِ الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام، الَّذِي أُلْهِمَنِي هَذَا الْجُهْدَ
الْمُبَارَكَ ... فَتَقَبَّلْهَا ... يَا سَيِّدِي ... مِنِّي هَدِيَّةً

(١) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ص ٦٠٧.

(٢) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ص ٦٠٧-٦٠٨.

مقدمة

الحمد لله المُسَبِّح قبل المسبِّحين والذاكر قبل الذاكرين المُنَزَّه عن كل نقصٍ وعيب، سُبْحَانَ الله كُلِّما سَبَّحَ الله شيءٌ وكما يُحِبُّ الله أن يُسَبَّحَ وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، والصلاة والسلام على خير المُسَبِّحين وأفضل الذاكرين وأعبد العابدين وأزهد الزاهدين وأخشع الخاشعين محمد وآله الطيبين الطاهرين هُداة الخلق إلى الحق أجمعين... وبعد:

التسبيح شعيرةٌ من الشعائر الإسلامية التي تزيد من إيمان المرء وتضيف عليه هالةً من نورٍ إثر أدائه له، فهو ركيزةٌ من الركائز الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم في آياته المباركة ففي قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة ٧٤]، أمر الله تعالى نبيه بالتسبيح -الذي فيه تنزيه لله تعالى من كلِّ سوء ومن كلِّ مالا يليق به ومن الشرك-، وبذكره العظيم أي أن الله من صفاته عظمةٌ لا يساويها شيء فهو القادر العالم الذي لا يساويه شيء ولا يُخفى عليه شيء جلّت آلاؤه وتقدست أسماؤه، وكما أن التسبيح ورد في القرآن على عدّة ألفاظ فتارةً يأتي بصيغة الأمر ﴿فَسَبِّحْ﴾ وأخرى بصيغة الماضي ﴿سَبَّحَ﴾ وكذلك صيغة الحاضر ﴿يُسَبِّحُ﴾ وغيرها الكثير من ألفاظٍ دالةٍ عليه وكل ذلك

يدل على ما للتسبيح من صفة الاستمرارية والدوام والعمومية لكل المخلوقات ففي قوله تعالى ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]، بينت الآية الشمولية لكل موجودات العالم من ذوي العقول والأحياء والجمادات جميعها تسبح الله تبارك وتعالى عن كل نقصٍ وعيب في عالمها الخاص وبلغتها الخاصة التي هيأها الله لها، وكذلك في قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، تضمنت هذه الآية الأخيرة سائر اليوم فحثت على التسبيح قبل الشروق وقبل الغروب وآناء الليل وأول النهار وآخره، إذ أرحلة التسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جدًا ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح أفضل وأعظم ما يكون عليه الإيمان.

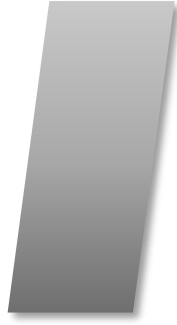
لذلك جاء هذا المؤلف استكمالاً للرسالة الوجودية التي منذ سلكت طريق العلم والهدى وجدتُ الرب يسوقني إليه ألا وهو هذه الشعيرة العظيمة، شعيرة "التسبيح" فقد صدر لي سابقاً كتابٌ باسم (معالم التسبيح في الإسلام) تناولتُ فيه قسماً التسبيح، التسبيح التكويني والتسبيح التشريعي بالإضافة إلى ذكر بعضٍ من موارده، وهنا نحنُ في المؤلف هذا (موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين) نسعى إلى جمع أكبر قدر ممكن من موارده.

ولذلك سأشير إلى الإيحاءات الوجدانية التي يُلهمني بها الله حينَ

القراءة والتمعن لآيات التسييح في كتابه الكريم وكذلك موارد التسييح في سنة آل بيت محمد الطيبين الطاهرين.

ولما كان للتسييح من منزلة عظيمة في ديننا الإسلامي فهو الذكر الذي هيأه الله ﷻ لكل مخلوق من مخلوقاته طريقة خاصة يزاوله بها وأرشدنا على ذلك في آيات كتابه الكريم وأقوال أوليائه الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فبحول الله وقوته سيقوم هذا الجزء من كتابنا على استيضاح بعض من (آيات التسييح من القرآن المجيد).

حيث أن كُتِبَنا ذو علاقة بـ (آيات التسييح من القرآن المجيد)، وهي مقسمة إلى اللفظ الذي تتبعه من ألفاظ التسييح مضافة إليها لمحة من الإشارات والمحتويات الخاصة بالمؤلف، يعقبها تفاسير تلك الآيات من أشهر كتب التفسير في العالم الإسلامي الشيعي " كتاب الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي، وكتاب تفسير النور للشيخ محسن قرائتي، وكتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وكتاب تفسير أهل البيت ﷺ للعالم علي رضا برازش"، وبعض إضاءات علمائه.



المدخل العام للتسبيح في الأدب العربي

دأبَ علماء اللُّغة العربية بحثَ الألفاظ ذات الصلة الوثيقة بالقرآن الكريم والسُّنة المُطهرة، لتبيان معانيها ومبانيها واستخدام ما يتعلق بها، فمن تلك الألفاظ التسبيح والذي له مساحةٌ في القرآن المجيد والأحاديث الشريفة، لذلك ستدور رَحَى البحثِ حولَ لفظين وهُما: التسبيح وسُبْحان الله في عدَّة محاور.

فالتسبيح في اللغة يتناول لفظين عليهما مدار الكلام في هذا المبحث، وهما:

- أ- لفظ (تسبيح) الذي يستعمل منه الفعل والوصف بأنواعهما.
 - ب- لفظ (سبحان) الذي يستعمل مضافاً تعبيراً عن التسبيح.
- وتتعلق بكل من هذين اللفظين مباحث لغوية سيتم بحثها - إن شاء الله - في المحاور الآتية:

المحور الأول: بناء لفظ التسبيح.

المحور الثاني: معنى التسبيح.

المحور الثالث: أصل التسبيح

المحور الرابع: تعدية التسبيح.

١٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

المحور الخامس: ماهية التسبيح

المحور السادس: استعمالات (سبحان).

المحور السابع: إعراب (سبحان).

المحور الأول : بناء لفظ التسبيح

(التسبيح) مبني على وزن (التفعيل)، وهذا البناء مقياس لمصادر الأفعال الرباعية المبنية على وزن (فعل) بتضعيف العين^(١) فالتسبيح مصدر قياسي للفعل (سبح) بتشديد الباء، على وزن (فعل). وأغلب الأفعال المبنية على وزن (فعل) هي في الأصل أفعال ثلاثية بنيت على هذا الوزن - بتضعيف عين الفعل منها - لإفادة معنى من المعاني، منها:

١ - تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه، كقوله تعالى - في المنافقين - : ﴿أَيُّنَمَا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١] ف(قتلوا) - بتشديد التاء - أشد مبالغة من (قتلوا) إذا خففته^(٢).

(١) قال ابن هشام الأنصاري «لا بد لكل فعل غير ثلاثي من مصدر مقيس فقياس (فعل) بالتشديد - إن كان صحيح اللام - (التفعيل) كالتسليم والتكليم والتطهير» [أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص ١١٢].

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق محمد فؤاد سزكين ٢/١٤١.

٢٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

٢ - تعدية الفعل إلى المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ
مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فالفعل (كرم) بني على وزن (فعل) لتعديته إلى المفعول (بني آدم)،
وأصله (كرم) بالتخفيف وهو فعل لازم لا يتعدى.

وكذا الفعل (فضّل) ومصدره (تفضيلاً)، تعدى الفاعل إلى
المفعول بينائه على وزن (فعل)، وأصله (فضل) - بالتخفيف - لازم.

٣ - معنى الفعل المجرد، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾
[النساء: ١٦٤] فإن (كلّم) على وزن (فعل)، ومصدره (تكليماً)، ولم يرد به
التكثير والمبالغة ولا التعدية، بل أريد به إثبات وقوع خطاب الله تعالى
لموسى، وهذه اللفظة الرباعية، وليس لها ثلاثي نقلت عنه إلى
الرباعي^(١).

٤ - اختصار حكاية الكلام، نحو: أيّه، أي: قال: (يا أيها
الرجل)^(٢). وحمد، أي: قال: الحمد لله.

ولبناء (فعل) معان أخرى لبس هذا موضع ذكرها^(٣)، وإنما ذكرت

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي،
والدكتور بدوي طبانه: ٢٥٥/٢، ٢٥٦.

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة (أيه): ص ١٦٠٤.

(٣) انظر هذه المعاني - إن شئت - في شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاسترأبادي: ٩٢/١ - ٩٦،

المحور الأول: بناء لفظ التسبيح ٢١

هذه المعاني الأربعة لصلتها بمعنى (سبح) الآتي ذكره.

ويجمع لفظ (التسبيح) على تسبيحات، وعلى (تساييح)^(١).

وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك الأندلسي، تحقيق محمد كامل بركات ص ١٩٨، وجمع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ٢٣/٦ - ٢٤ وتعرض لبعضها الإمام قوام السنة أبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق الدكتور محمد بن ربيع هادي المدخلي ١/٣٠٥ .
(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري: ١٨/٤١ .

المحور الثاني : معنى التسبيح

يتبين من معاجم اللغة العربية ومن كتب غريب القرآن، وكتب غريب الحديث أن للتسبيح معنيين في اللغة، ومعنى آخر للتسبيح لغةً من كتاب معالم التسبيح:

أحدهما: التنزيه والتبرئة من السوء. تقول: سبحت الله تسبيحاً، أي نزهته تنزيهاً، وبرأته تبرئة من كل سوء.

وهذا المعنى قد أطبق على ذكره أهل اللغة في تفسيرهم للفظ (التسبيح)^(١).

(١) انظر - على سبيل المثال لا الحصر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، وآخر: ٣/١٥١، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزاوي: ٤/٣٣٨ ومقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون ٣/١٢٥ والصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار: ١/٣٧٢، ولسان العرب لابن منظور ٢/٤٧١ وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي تحقيق الدكتور حسين: نصار ٦/٤٤٤، والمعجم الوسيط: ١/٤١٢ كلها في مادة (سبح).

٢٤..... موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

وقال أبو إسحاق الزجاج^(١): لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أنه: التبرئة لله عز وجل^(٢).

وجاء في كتاب معالم التسبيح، أن التسبيح لغة: هو التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص^(٣).

والمعنى الآخر: قول: (سبحان الله). يقال: سبح الرجل تسبيحاً، أي: قال سبحان الله.

وهذا المعنى ذكره كثير من أهل اللغة، وظن بعضهم التسبيح مخصوص بهذا المعنى، حتى قال ابن عطية^(٤): (و) (سبح) إنما معناه: قال: سبحان الله، فلم يستعمل (سبح) إلا إشارة إلى أن حتى (سبحان)^(٥).

ولا اختلاف - في الحقيقة - بين المعنيين المذكورين، فإن هذا

(١) هو إبراهيم بن محمد بن السري أبو إسحاق الزجاج البغدادي، الإمام نحوي زمانه كان يخرط الزجاج فنسب إليه، وله تأليف همة، منها: معاني القرآن، وكتاب الاشتقاق وكتاب النوادر وغيرها، وتوفي سنة (٣١١هـ)، رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤/٣٦٠، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ١/٤١١ - ٤١٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي: ٢/٢٧٨.

(٣) انظر: الخضير، يوسف إبراهيم، معالم التسبيح في الإسلام، ص ٣٣.

(٤) انظر: المصادر اللغوية السابقة.

(٥) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس المبرد البصري، إمام العربية ببغداد في زمانه كان علامة اخبارياً صاحب نوادر وظرافة، وله تصانيف كثيرة، منها: معاني القرآن والكامل في اللغة والأدب، والمقتضب، وغيرها، وتوفي سنة (٢٨٥هـ)، وقيل بعدها رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/٥٧٦ - ٥٧٧ وبغية الوعاة للسيوطي: ١/٢٦٩ - ٢١٨.

المحور الثاني: معنى التسبيح.....٢٥

المعنى الثاني آيل إلى المعنى الأول؛ لأن أهل اللغة متفقون على أن قول القائل: (سبحان الله) معناه: تنزيه الله وبراءة الله من السوء.

قال المبرد^(١): «فأما قولهم سبحان الله، فتأويله: براءة الله من السوء.

وقال الزجاج: ومعنى (سبحان الله) في اللغة: تنزيه الله عن السوء^(٢).

وقال نفطويه^(٣): وقول القائل: سبحان الله عن هذا، أي: برأته من هذا براءة، ونزهته تنزيهاً^(٤).

لكن الذي ينبغي أن يعلم هنا هو أن التسبيح إذا جاء على المعنى الأول - وهو التنزيه والتبرئة من السوء - كان مدلوله معنوياً، وكان الفعل منه متعدياً. ويحتمل في هذه الحالة أن يكون بناؤه على التفعيل للتعدية فحسب، أو لإفادة المبالغة مع ذلك، أو لمعنى (فعل) المجرد على ما تقدم ذكره من المعاني التي يفيدها هذا البناء اللفظي في اللغة.

(١) المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة: ٢١٧/٣ - ٢١٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢٢٥/٣.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان العتكي الأزدي، أبو عبد الله الواسطي المشهور بنفطويه الإمام العلامة النحوي الأخباري، سكن بغداد وكان متضلعا من العلوم، ذا سنة ومروءة وحسن خلق، وصنف من الكتب: غريب القرآن، وكتاب المقنع في النحو، ومسألة سبحان، وغيرها وتوفي سنة (٣٢٣هـ)، رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/٧٥ - ٧٧.

(٤) مسألة سبحان، تحقيق الأخ جمال عزون: ص ٢٩.

ولكل من هذه الاحتمالات الثلاثة المذكورة وجه، سيأتي بيانها قريباً.

وإذا جاء التسبيح على المعنى الثاني - وهو قول سبحان الله - كان مدلوله قولياً لفظياً. وهو حيثئذ من باب اختصار حكاية الكلام، على غرار (حمد) إذا قال: الحمد لله، و(كبر) إذا قال: الله أكبر. ويكون فعله في هذه الحالة لازماً غير متعدد^(١).

وربما اختصرت حكاية قول (سبحان الله) على بناء (فعلل) فيقال: سبحل، أي قال: سبحان الله^(٢) والمصدر منه: السبحلة^(٣).

وهذا الاختصار جار على عادة العرب في بعض العبارات التي تتكرر على ألسنتهم وهي من لفظتين فما فوق، فإنهم يختصرونها ليسهل تكررها، وذلك بإسقاط حرف أو أكثر من كل لفظة، وضم بقية الحروف إلى بعض، لتتألف منها لفظة واحدة، مثل: البسملة، والحمدلة^(٤).

(١) انظر: المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وآخر: ١/٩١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ١/٤١٢.

(٣) قال ابن القطاع: «السبحلة أن تكثر من قول سبحان الله» [كتاب الأفعال: ٢/١٧٢].

(٤) ويعرف هذا - في علم الاشتقاق - بالتحت وهو: أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معاً، ثم تعطى هذه الكلمة المنحوتة حكم الأسماء إن كانت اسماً، أو حكم الأفعال إن كانت فعلاً. وذكر بعض العلماء أن الكلمات المنحوتة في اللغة العربية لا تكاد تتجاوز ستين كلمة. ومن أشهرها: (بسم) في بسم الله و(هلل) في لا إله إلا الله، و(سبحل) في سبحان الله،

المحور الثاني: معنى التسبيح.....٢٧

و(حوقل) في لا حول ولا قوة إلا بالله. وانظر - في مباحث النحت: المزهر في علوم اللغة وأنواعها،
للسيوطي، بشرح وضبط محمد أحمد جاد المولى، وآخرين: ١/٤٨٢ - ٤٨٥، والاشتقاق لعبد الله أمين:
ص ٣٩١ - ٣٩٣.

المحور الثالث : أصل التسبيح

التسبيح - من حيث الاشتقاق اللغوي^(١) - مأخوذ من مادة «سبح» المؤلفة من حروف ثلاثة هي: السين المهملة، والباء، والحاء المهملة.

وجميع المعاجم اللغوية أوردت التسبيح في هذه المادة، كما أنها ذكرت لهذه المادة اللغوية عدة معان^(٢)، أهمها:

١ - البعد، تقول: سبحت في الأرض: إذا أبعدت، أو تباعدت فيها^(٣)، والسبح الإبعاد في السير^(٤).

(١) الاشتقاق: هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها في المعنى وفي الحروف الأصلية وترتيبها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا في الهيئة، كضارب من (ضرب)، وحذر من (حذر)، وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به لغة، وهناك أيضاً الاشتقاق الأوسط والاشتقاق الأكبر، وأشهرها الأصغر، وهو المراد عند الإطلاق. وانظر في هذا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / ١٧/٢٣١ - ٢٣٢، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ١/٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ٢٠/٤٧٠ - ٤٧٥، وتاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي: ٦/٤٤٣ - ٤٥٤، وهما أكثر المعاجم إيراداً للمعاني في هذه المادة.

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري: ١/٣٣٧ - ٣٣٨.

(٤) انظر: تاج العروس للزبيدي: ٦/٤٥١.

٣٠.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

واشتق التسييح من السبح بهذا المعنى، فمعنى (سبحت الله):
بعده عن السوء. والتسييح التباعد أي (تباعد الله عز وجل عن السوء).^(١)

٢- الجري والمر السريع ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
[يس: ٤٠]، أي يجرون^(٢).

وقال بعض العلماء: إن التسييح مشتق من السبح بمعنى الجري.
قال: «المسبح جار في تنزيه الله وتبرئته من السوء^(٣). وقال
بعضهم: أصل التسييح المر السريع في عبادة الله.^(٤)

٣- العوم، وهو السير على الماء منبسطاً. يقال: سبح بالماء وفيه،
يسبح، سباحاً وسباحة: إذا عام فيه، فهو سباح وسبوح^(٥). قال بعض
العلماء: اشتقاق التسييح من السباحة؛ لأن الذي يسبح يباعد ما بين

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري: ١/٣٣٨ وشأن الدعاء، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق: ص ١٤٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي تحقيق يوسف علي بديوي: ٣/٤٣٢، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط ١/٢٥٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للقاضي أبي السعود العمادي: ١/٨٣، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي باعتناء الشيخ صلاح الدين العلايلي: ٥/٢٥١.

(٢) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، لابن جرير الطبري. ١٠/٤٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ١/٢٧٦.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي: ص ٣٩٢ وتفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: ١/٤٠٥.

(٥) انظر: جمهرة اللغة لابن دريد ١/٢٢١، ٢٢٢، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٣، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي: ص ٢٨٤.

المحور الثالث: أصل التسييح ٣١

طرفيه فيكون فيه معنى التبعيد^(١).

وقال بعضهم: (إن التسييح تفعيل من السبح وكأن المسيح سبح بقلبه في بحار ملكوته^(٢))^(٣).

وقال آخرون: إن أصل التسييح من مادة «سبح»، والسباحة والتسييح مشتركان في أصل المادة فبينهما اشتراك في أصل المعنى والسباحة في الماء ينجو بها صاحبها من الغرق، وكذلك المسيح لله والمنزه له ينجو من الشرك ويحيا بالذكر والتمجيد لله تعالى^(٤).

فهذا اشتقاق التسييح وما قيل من المناسبة بين معناه ومعنى المادة الأصلية التي اشتق منها.

ويظهر بالتأمل في المعاني السابقة لمادة «سبح» أنها كلها ترجع إلى معنى البعد والإبعاد، فإن المعنى الثاني الذي هو الجري والمر السريع فيه هذا المعنى، لأنه إذا جرى أو مر سريعاً أبعد، وصار بعيداً^(٥).

وكذا المعنى الثالث الذي هو العوم والسباحة في الماء، فقد سبق

(١) انظر: تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض، وآخرين: ١/١٠٩.

(٢) أي: ملكوت الله تعالى والملكوت: مبني على وزن (فعلوت) من الملك وهو مختص بملك الله. انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٧٧٥.

(٣) الدعاء المأثور وآدابه لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية: ص ١٦٤.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (تتمته للشيخ عطية سالم): ٥/٢٦٧.

(٥) انظر: أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٥/٢٥١.

أنفاً أن الذي يسبح في الماء يباعده ما بين طرفيه، فيكون فيه معنى التباعد^(١). ولهذا أشار بعض أهل العلم باللغة إلى أن أصل المادة الدلالة على البعد^(٢). وهذا يتفق مع تفسير أهل اللغة للتسبيح بالتنزيه؛ لأن أصل التنزيه في اللغة: البعد^(٣)، إذ هو مأخوذ من النزهة، وهي البعد، ويقال: رجل نزيه، أي: بعيد من السوء^(٤).

قال الأزهري^(٥) ومعنى تنزيه الله من السوء: تبعيده منه، وكذلك تسبيحه تبعيده^(٦). وقال أبو شامة^(٧): فقولك: سبحت الله، أي: نزّهته وبرأته مما لا يليق به، أي: جعلته بمعزل منها، متباعداً عنها تباعد

(١) انظر ص ٢٨.

(٢) انظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تحقيق محمود محمد السيد ص ٢٢٩.

(٣) انظر معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني: ١/٥٢٦.

(٤) انظر: حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ص ١٨، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ص ١٦١٩.

(٥) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهر، أبو منصور الهروي الشافعي العلامة اللغوي، كان رأساً في اللغة والفقه، ثبتاً ديناً، صنف «تهذيب اللغة» وغيره من الكتب، وتوفي سنة (٣٧٠هـ) عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/٣١٥ - ٣١٧، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي ١٦٤/١٧.

(٦) تهذيب اللغة: ٤/٣٣٨.

(٧) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين أبو القاسم وأبو محمد المقدسي ثم الدمشقي الشافعي، المعروف بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. ولد بدمشق سنة (٥٩٩هـ)، وبرع في فنون العلم حتى بلغ في عصره مكانة جليلة، وقيل: بلغ رتبة الاجتهاد. وله تصانيف عديدة في أنواع العلوم وتوفي سنة (٦٦٥هـ) رحمه الله. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، وآخر: ٨/١٦٥ - ١٦٨، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير تحقيق الدكتور أحمد أبو ملحهم وآخرين: ١٣/٢٦٤ - ٢٦٥.

المنزلة والرتبة.^(١)

وعلى هذا فتفسير التسييح بالتنزيه وتفسيره بالتبعيد، وكذا تفسيره بالتبرئة، كل ذلك سواء في المعنى.

ولما كان أصل المادة (سبح) بمعنى أبعد، وهو لا زم غير متعد، بني التسييح على وزن التفعيل للتعدية، فتقول: سبحت الله، أي: بعّده عن السوء. إلا أن بعض علماء اللغة أثبت ورود (سبح) مخففاً متعدّاً بمعنى نزّه^(٢)، فيكون (سبح) المضعّف قد نقل من صيغة الثلاثي المجرد إلى صيغة الرباعي - بتضعيف عين الفعل - لإفادة المبالغة في المعنى^(٣). ففي التسييح معنى المبالغة في التباعد والتنزيه عن السوء.

لكن من العلماء من صرح بأنه لم يستعمل (سبح) مخففاً متعدّاً بمعنى نزّه، وأنه لم يُستعمل في هذا المعنى إلا (سبح) المضعّف.^(٤)

(١) نور المسرى في تفسير آية الإسراء تحقيق الدكتور علي حسين البواب ص ٣٦.

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٤، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٥، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ص ٢٨٤، وإرشاد العقل السليم لأبي: السعود ٣/١٦٨، تاج العروس، للزبيدي: ٦/٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١/١٥٠.

(٤) انظر: المقتضب للمبرد ٣٠/٢١٧، والمححر الوجيز لابن عطية: ١٠/٢٥٦ وشرح المفصل لابن يعيش: ١١٩، ١/٣٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠٤/١٠، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق الدكتور شمران سركال العجلي: ١/٦١٩، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، بتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا: ١/٥١٧ وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/٤٠٥ و٥٨/٦، ومعجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا: ٣/٩١.

وعلى هذا القول يكون التسبيح بني على وزن التفعيل لإفادة معنى (فعل) المجرد، كما استعملوا (كَلَّم) بالتضعيف في معنى (فعل) المجرد، وإذا لوحظ هنا أن المثبت مقدم على النافي، لما عنده من زيادة علم، يكون القول بأن التسبيح بني على وزن التفعيل لإفادة المبالغة في المعنى أولى بالصواب، والله تعالى أعلم.

وذهب بعض العلماء إلى أن التسبيح مُشتق من لفظ (سبحان) ولذلك بُني على وزن التفعيل^(١) وهذا صحيح بأحد اعتبارين:

الاعتبار الأول: أن يكون (سبحان) مصدراً للفعل الثلاثي المجرد، اشتق منه التسبيح على وزن التفعيل للتعدية أو لإفادة المبالغة في المعنى، كما سبق آنفاً، وكما سيأتي بيانه - إن شاء الله - عند الكلام على لفظ (سبحان)^(٢)

الاعتبار الثاني: أن يكون التسبيح بمعنى قول سبحان الله، كما سبق ذكره في معنى التسبيح^(٣)، فبني على وزن التفعيل لاختصار حكاية هذا القول، وهو (سبحان الله). ويعد هذا نوعاً من الاشتقاق عند بعض علماء اللغة.^(٤)

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش: ١/ ٣٧، ١٢٠، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١/ ٤٠٥.

(٢) انظر ص ٤٥.

(٣) انظر: ص ٢٢.

(٤) انظر ما سبق ذكره ص ٢٤.

المحور الثالث: أصل التسييح ٣٥

فبكل من هذين الاعتبارين يصح أن يقال: إن التسييح مشتق من (سبحان). ويكفي ما بين اللفظين - لفظ (تسييح) ولفظ (سبحان) - من التناسب في اللفظ والمعنى دليلاً على اشتقاق أحدهما من الآخر.^(١)

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧/٢٣١.

المحور الرابع : تعدية التسبيح

سبق عند الكلام على معنى التسبيح أنه إذا كان بمعنى التنزيه والتبرئة، فإن الفعل منه يكون متعدياً. ويتعدى فعل التسبيح بنفسه بدون واسطة حرف غالباً، ويتعدى باللام، تارة ويتعدى بالباء تارة أخرى. فله من حيث التعدية ثلاث حالات كلها واردة في القرآن الكريم.

- الحالة الأولى: أن يتعدى بنفسه بدون واسطة حرف، كقوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]. وقوله سبحانه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وذكر أهل العلم أن تعديده بنفسه هو الأصل؛ لأن معناه - كما تقدم - نزه، وبعد، وبراً^(١). وعلى هذا فتعديده باللام أو الباء لمعنى زائد، كما

(١) انظر: تفسير النسفي: ٣/٤٣٢ وفتح القدير للشوكاني، تحقيق أبي حفص سيد إبراهيم: ٥/٢٣٦.

سيأتي بيانه إن شاء الله.

الحالة الثانية: أن يتعدى باللام كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٤١] وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١].

واختلف أهل العلم في المعنى الذي تفيده اللام في هذه الحالة على أقوال:

القول الأول: أن فعل التسبيح يتعدى باللام كما يتعدى بنفسه وذلك أن العرب تقول: فلان يسبح الله ويقدسه، ويسبح لله ويقدس له بمعنى واحد^(١).

وعلى هذا فتعديده بنفسه وتعديده باللام لغتان للعرب، كقولهم: نصحه ونصح له، وشكره وشكر له^(٢).

القول الثاني: أن اللام مزيدة للتأكيد بمنزلة اللام في نصحت لزيد تقول: سبحت الله، كما تقول: نصحت زيدا. فإذا أردت التأكيد قلت: سبحت لله فجئت باللام لتقوية وصول الفعل إلى المفعول^(٣).

القول الثالث: أن اللام مزيدة للتعليل. فقوله: سبح الله، أي:

(١) مقتبس من: تفسير الطبري: ١/٢٤٩.

(٢) انظر: تفسير النسفي: ٣/٤٣٢ وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٥/٢٥١.

(٣) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق مجموعة من الأساتذة ٨/٢١٧، وفتح القدير للشوكاني: ٥/٢٣٦.

أحدث التسبيح لأجل الله سبحانه، أي: ابتغاء وجهه تعالى. (١)

القول الرابع: أن اللام للاختصاص، وذلك أن فعل التسبيح إذا أريد به مجرد الفعل، تعدى بنفسه. وإذا أريد به مع ذلك بيان القصد والإخلاص، تعدى باللام فاللام تبين كمال الإرادة من الفاعل المسيح، وكمال الاستحقاق من المسيح، وهو الله عز وجل. (٢)

القول الخامس: أن التسبيح إذا أريد به التنزيه والذكر المجرد دون معنى آخر، تعدى بنفسه. وإذا أريد به السجود والخضوع والطاعة تعدى باللام كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١]، والمراد التسبيح الذي هو السجود والخضوع والطاعة. ولهذا قال سبحانه - لما جمع بين التسبيح والسجود: - ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فتعدى فعل التسبيح بنفسه لما ذكر السجود باسمه الخاص قصار التسبيح ذكرهم له وتنزيههم إياه. (٣)

فهذه خمسة أقوال في معنى اللام إذا تعدى بها فعل التسبيح وهذه

(١) انظر المصدرين السابقين، وأضواء البيان للشنقيطي ٥/٢٥١.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٣٦٠، وأحكام من القرآن الكريم، له أيضاً جمع أبي خالد عبد الكريم المقرن: ص ١٥٦.

(٣) انظر بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية تحقيق بشير محمد عيون: ١/٢٣.

٤٠.....موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الأقوال بعضها قريب من بعض والمعاني المذكورة كلها صحيحة إن شاء الله -، وتحتملها الآيات والله تعالى أعلم . -

الحالة الثالثة: أن يتعدى بالباء كقوله تعالى - حكاية عن الملائكة:

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ولم يرد في القرآن الكريم تعدية فعل التسبيح بالباء إلا مقروناً بلفظ «حمد»، أو لفظ «اسم». والباء في ذلك دائرة بين كونها للمصاحبة أو للسببية أو للاستعانة أو صلة زائدة، على خلاف بين العلماء سيأتي بيانه عند الكلام على قرن التسبيح بالحمد، وقرنه باسم من أسماء الله تعالى، فيما سيأتي بحثه من أنواع التسبيح باعتبار الصيغة، إن شاء الله تعالى.

المحور الخامس : ماهية التسبيح

تقدم عند الكلام على معنى التسبيح أن (سبحان الله) معناه: تنزيه الله وبراءته من السوء^(١) فهو إذا كلمة تنزيه وتبرئة الله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به^(٢).

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن هذا هو معناه في اللغة، ولكنهم اختلفوا في حقيقة لفظ (سبحان): ما هو؟ وخلافهم في ذلك يدور في: هل هو مصدر أو اسم مصدر^(٣)؟

(١) انظر ص ٢٣.

(٢) انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٣/١٥١.

(٣) المصدر واسم المصدر كلاهما يدل على الحدث مجرداً عن الزمان والمكان. وبينهما فرقان: لفظي ومعنوي.

أما اللفظي، فإن المصدر هو الجاري على فعله الذي هو قياسه كالإفعال من أفعّل، والتفعيل من فعل والانفعال من انفعّل والتفعّل من تفعّل وبابه واسم المصدر غير جار على فعله، كقولك: تكلم كلاماً واغتسل غسلاً، وسلم سلاماً، ونحو ذلك مما فعله متجاوز الثلاثة وهو بزنة مصدر الثلاثي.

وأما المعنوي، فهو أن المصدر دال على الحدث وفاعله، فإذا قلت: تكلم وتسلم، وإكرام، ونحو ذلك، دل على الحدث ومن قام به فيدل التكلم - مثلاً - على الكلام والمتكلم. وأما اسم المصدر فإنما يدل على الحدث وحده، فالكلام والسلام لا يدل لفظه على متكلم ولا مسلم بخلاف التكلم والتسلم.

فجماعة من العلماء من يرون ان (سبحان) مصدر وليس اسم مصدر إلا أنهم يختلفون في نوع مصدريته: فيرى بعضهم أنه مصدر قياسي للفعل (سبح) بتخفيف الباء، فيكون كـ (غفران) مصدر غفر، و(شكران) مصدر شكر، و(كفران) مصدر كفر^(١)، ومن أصحاب هذا الرأي من قال: إن فعله - وهو (سبح) المخفف - غير مستعمل، وأنه من المصادر التي أميتت أفعالها^(٢).

ومنهم من رد على ذلك بأن فعله مسموع^(٣)، وأنه فعل مشهور أورده أرباب الأفعال وغيرهم^(٤)، فلا اعتداد بقول من قال: إنه أميت الفعل منه^(٥).

انظر بدائع الفوائد لابن القيم: ١٨/٣٧٧، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري: ص ١٠٨.

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٣٩٣، والمحكم والمحيط والأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٤، والمخصص له: ١٦/١٦٣، وغرائب التفسير، لتاج القراء الكرمانى: ١/٦١٩، وشرح المفصل، لابن يعيش: ١/١١٩، والدر المصون للسمين الحلبي ١/٢٦٥، وتفسير أبي السعود: ١/٨٥، و٣/١٦٨، وروح المعاني، لمحمود الألوسي: ١/٢٢٦، وتاج العروس، للزبيدي: ٦/٤٤٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان القنوجي، بعناية عبد الله بن إبراهيم الأنصاري: ٧/٣٤٧، وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/٤١٣، ومعجم متن اللغة لأحمد رضا: ٣/٩١.

(٢) انظر: المخصص لابن سيده ١٦/١٦٣، وغرائب التفسير، للكرمانى: ١/٦١٩، وشرح المفصل لابن يعيش: ١/١١٩، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/٥١٧.

(٣) انظر المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٤، والدر المصون للسمين الحلبي: ٢٦٥١، وتفسير أبي السعود: ٣/١٦٨.

(٤) انظر: تاج العروس للزبيدي: ٦/٤٤٦.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٦/٤٤٧.

- ويرى بعضهم أن (سبحان) مصدر سماعي للفعل (سبح) بتشديد الباء، فهو كالتسبيح. تقول: سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً، كما تقول: كفرت عن يميني تكفيراً وكفراناً^(١).

ورد هذا الرأي بأن كون (سبحان) مصدرًا لـ (سبح) - بالتشديد بعيد عن القياس؛ لأنه لا نظير له بخلاف كونه مصدرًا لـ (سبح) - بالتخفيف فإنه كثير، وإن كان غير مقيس^(٢).

وذلك أن (سبح) المشدد مصدره (التسبيح)؛ لأنه على وزن (فعل) وفعل يجيء المصدر منه على وزن (التفعيل) - كما سبق بيانه^(٣) -، ولا يجيء على وزن (فعلان) الذي بني عليه (سبحان)^(٤).

وجماعة أخرى من العلماء يرون أن (سبحان) ليس بمصدر أصلاً، بل هو اسم مصدر أقيم مقام المصدر، فالمصدر التسبيح، والاسم (سبحان) يقوم مقام المصدر^(٥).

(١) انظر: شأن الدعاء، للخطابي: ص ١٤٣، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٤، والبيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات ابن الأنباري، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه: ١/٧٢، والنهية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير تحقيق محمود الطناحي، وآخر: ٢/٣٣١، وتاج العروس للزبيدي: ٦/٤٤٦، وفتح البيان، للقنوجي: ٣٤٧/٧.

(٢) انظر: تاج العروس، للزبيدي: ٦/٤٤٦.

(٣) انظر: ص ١٧.

(٤) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ١/٧٢.

(٥) انظر المقتضب للمبرد ٣/٢١٧ وتهذيب اللغة، للأزهري: ٤/٣٣٨، وإعراب القرآن، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد ص ٢٧، ١٩٧، والأمالى الشجرية،

قالوا: ونظير إقامة (سبحان) مقام التسبيح إقامة العطاء مقام الإعطاء، والكلام مقام التكليم، والسراح مقام التسريح. فكما يقال: أعطيته عطاء، وكلمته كلاماً، وقال تعالى: ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، فاستعملت هذه الأسماء في مواضع المصادر، كذلك استعمل (سبحان) في موضع التسبيح^(١).

ويحتج هؤلاء العلماء لقولهم: إن (سبحان) اسم مصدر لا مصدر بأميرين:

أحدهما: أن (سبحان) لم يجيء على أبنية مصادر الرباعي^(٢).

والثاني: أنه لم يجز منه فعل.

وهذان الأمران ليس فيهما حجة للقول المذكور، فإن عدم مجيء (سبحان) على أبنية مصادر الرباعي حجة على من جعله مصدراً للفعل الرباعي - وهو (سبح) بتشديد الباء وليس حجة على من جعله مصدراً للفعل الثلاثي - وهو (سبح) بتخفيف الباء - وإن تنوزع في

لهبة الله بن علي العلوي المعروف بابن الشجري: ١/٣٤٧، والبيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري: ٧٢١، والتفسير الكبير للفخر الرازي: ٢٥/١٠٣، ونور المسرى، لأبي شامة: ص ٤٨ - ٤٩، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠ / ٢٠٤، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٥، وشرح المفصل، لابن يعيش: ١/٣٧ - ٣٨، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: ٦/٣٧، وفتح البيان، للقنوجي: ٧/٣٤٧، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/٤١٣ و ٦/٥٨.

(١) انظر الأمالي الشجرية لابن الشجري: ١/٣٤٧، ونور المسرى، لأبي شامة: ص ٤٩.

(٢) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ١/٧٢، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/٤١٣.

استعمال هذا الفعل؛ لأن بناء (فعلان) وارد في أبنية مصادر الثلاثي^(١).
وسبق أن من أهل اللغة من أيد إجراء الفعل من (سبحان)، وأن
من نفى ذلك ليس معه دليل على النفي، ومن علم حجة على من لم
يعلم^(٢). ثم إن القائلين بأن (سبحان) اسم لا مصدر اختلفوا في نوع
اسميته:

- فذهب فريق منهم إلى أنه معرفة بالعلمية، يعنون أنه اسم علم
للتسبيح^(٣) فهو - على هذا - علم جنس لمعنى التنزيه^(٤).

قال ابن جني^(٥): «وكما جاءت الأعلام في الأعيان، فكذلك أيضاً
جاءت في المعاني، نحو قوله:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر^(٦)

(١) انظر لامية الأفعال لابن مالك الأندلسي، بشرح ابنه بدر الدين: ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) انظر: ص ٤٠ من البحث.

(٣) انظر الخصائص لأبي الفتح ابن جني، تحقيق محمد علي النجار: ١٩٧/٢، والمفصل، للزنجشري بشرح
ابن يعيش: ١/٣٧، ونور المسرى، لأبي شامة: ٥٠٢، وروح المعاني، للآلوسي: ١٥/٣، وخزانة الأدب،
لعبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون ٧/٢٣٨، وأضواء البيان، للشيخ محمد الأمين
الشنقيطي: ٢/٢١١.

(٤) انظر: أضواء البيان للشنقيطي: ٢/٢١١.

(٥) هو عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي إمام العربية، وصاحب التصانيف، لازم أبا علي الفارسي نحو
أربعين سنة، وتصدر مكانه بعد وفاته. وكان أبو الطيب المتنبي الشاعر يقول: ابن جني أعرف بشعري
مني، من أشهر كتبه «الخصائص» و«فقه اللغة»، وتوفي سنة (٣٩٢هـ)، له . انظر: سير أعلام النبلاء
للذهبي: ١٧/١٧ - ١٩، وبغية الوعاة للسيوطي: ٢/١٣٢.

(٦) بيت شعر منسوب إلى الأعشى ميمون بن قيس وهو في ديوانه: ص ٩٤ - طبعة دار صادر - ضمن

فسبحان: اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه، بمنزلة عثمان وحران^(١). وظاهر مذهب هذا الفريق أن (سبحان) معرفة بالعلمية دائماً، في حالة الأفراد. كما في البيت وفي حالة الإضافة، كسبحان الله. ولكن بعضاً منهم فرق بين الحالتين فقال: هو معرفة بالعلمية في حالة الأفراد فحسب، كحالته في البيت المذكور. وأما في حالة الإضافة، فهو معرفة بالإضافة وليس - حاليئذٍ - علماً؛ لأن الأعلام لا تضاف قياساً^(٢).

وفي كون (سبحان) معرفة بالعلمية - في الحالتين أو في حالة الأفراد فحسب - نظر، سيأتي بيانه - إن شاء الله عند الكلام على استعمالات اللفظ في لسان العرب^(٣).

- وذهب فريق إلى أن (سبحان) ليس اسم علم، بل هو نكرة معرفة

أبيات له يهجو بها علقمة بن علاثة - وهو صحابي رضي الله عنه، ويمدح ابن عمه عامر بن الطفيل في منافرة جرت بينهما. والشاهد في البيت قوله سبحان من علقمة، حيث جاء لفظ (سبحان) غير منون من دون إضافة فيكون علماً ممنوعاً من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، وانظر كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون: ١/٣٢٤ وشرح أبيات سيبويه، للسيرافي تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني: ١/١٥٧-١٥٨، وخزانة الأدب، للبغدادى: ٣/٧٩٣-٣٩٨.

(١) الخصائص: ٢/١٩٧.

(٢) انظر: المقتضب، للمبرد: ٧١٢/٣، وشرح المفصل لابن يعيش: ١/٣٧ - ٣٨، ١١٩، وتفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي: ١/٥٦٣، والبحر المحيط، لأبي حيان ٦/٥، وروح المعاني، للآلوسي: ١٥/٣.

(٣) انظر ص ٥٠.

المحور الخامس: ماهية التسبيح ٤٧

بالإضافة^(١).

فهذا حاصل كلام العلماء في ماهية (سبحان) - حسب ما تيسر الوقوف عليه - والصواب في ذلك - إن شاء الله - : أن (سبحان) مصدر باعتبار واسم مصدر باعتبار.

فباعتبار (سبح) المخفف هو مصدر، لما تقدم أن هذا الفعل الثلاثي مستعمل في كلام العرب على قول بعض علماء اللغة، وأن بناء (فعلان) وارد في مصادر الأفعال الثلاثية^(٢).

وباعتبار (سبح) المشدد هو اسم مصدر، لما تقرر في علم الصرف أن الاسم الدال على مجرد الحدث، إن كان فعله مزيداً ثلاثياً، وهو على وزن مصدر الثلاثي المجرد، فهو اسم مصدر^(٣).

فلا منافاة بين كون (سبحان) مصدراً وكونه اسم مصدر، على ما سبق بيانه هنا.

والصواب كذلك أن (سبحان) نكرة معرفة بالإضافة وليس علماً، كما سيتبين - إن شاء الله - فيما يلي من استعمالاته.

(١) انظر المخصص لابن سيده: ١٦٣/١٦، والأمل في الشجرية لابن الشجري: ١/٣٤٨، ونور المسرى لأبي شامة ص ٥٢ وخزانة الأدب، للبغدادي: ٢٣٤/٧، ٢٤٣، وروح المعاني، للآلوسي: ٣/١٥، ٤.

(٢) انظر ما سبق بيانه في ص ٤٣.

(٣) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري: ص ١٠٨. وانظر ص ٤٠ من هذا البحث.

المحور السادس : استعمالات (سبحان) في اللغة

استعمل لفظ (سبحان) في كلام العرب على أربع حالات^(١):

- الحالة الأولى - استعماله مضافاً إلى ما بعده، نحو: سبحان الله، بل هي الغالبة، وهذه الحالة هي الغالبة، بل هي الأصل في استعمال (سبحان)، ولم يستعمل في القرآن ولا في السنة إلا مضافاً، ولهذا نص عدد من أهل العلم على أنه من الألفاظ الملازمة للإضافة^(٢).

وقد أضيف في هذه الحالة إلى اسم ظاهر، كقوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ [الإسراء: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٩٣].

(١) انظر: الكافية الشافية وشرحها، لابن مالك الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي: ٩٥٨/٢ - ٩٦١، وخزانة الأدب، للبغدادى.

(٢) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك: ٢/٩٥٩، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٣/١٤٢، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٥، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/٥١٧، وأضواء البيان، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢/٢١٢.

٥٠..... موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

وأضيف كذلك إلى اسم مضمر، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾
[البقرة: ٣٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ [البقرة:
١١٦] (١).

وهذا المضاف إليه - ظاهراً كان أو مضمراً - إما فاعل له تقديرًا،
وإما مفعول به تقديرًا (٢).

وصرح بعض العلماء بأنه فاعل (٣) وعليه فكلمة (سبحان الله)
ونحوها بمعنى: تنزه الله، أو تباعد الله عما لا يليق به (٤).

كما صرح بعضهم بأنه مفعول به (٥)، وعليه فكلمة (سبحان الله)
ونحوها كقولك: سبحت الله (٦) بمعنى نزهته، أو بعدته، أو برأته عما
لا يليق به.

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ١/٥١٧.

(٢) انظر الدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦، وفتح الباري، للحافظ ابن حجر العسقلاني:
١١/٢٠٦، وروح المعاني، للآلوسي: ١/٢٢٦.

(٣) انظر: الدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦، والكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور
عدنان درويش، وآخر: ص ٥١٦.

(٤) انظر الدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤/٢٦، ٥٠،
والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، ضبط محمد سالم هاشم: ١/٤٨٠، وتفسير أبي السعود:
٣/١٦٨ و٥/١٥٤.

(٥) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٣/١٤٢، والدر المصون، للسمين الحلبي: ١/٢٦٦،
وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ٧/٤٠٩.

(٦) انظر: شأن الدعاء للخطابي: ص ١٤٤، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ٣/١٤٢.

المحور السادس: استعمالات (سبحان) في اللغة ٥١

وكلا القولين المذكورين صحيح؛ لأن المصدر، وكذا اسم المصدر، يضاف إلى الفاعل تارة وإلى المفعول تارة^(١)، ولكن إضافة (سبحان) إلى الفاعل - وهو الله عز وجل - أقوى، لأمر:

أحدها: أن المصدر لا بد له من فاعل، إما مذكور وإما مقدر^(٢)، وليس هو كذلك مع المفعول.

والثاني: أن (سبحان) المضاف قد عطف عليه فعل (تعالى) في مواضع من القرآن^(٣)، مثل قوله عز وجل: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] وقوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

وهذا العطف دليل على مناسبة تامة بينهما فإن (تعالى) فعل ماضٍ، وفاعله مقدر بما أضيف إليه لفظ (سبحان)، فيستفاد منه أن هذا المضاف إليه فاعل في المعنى وأن قوله: (سبحان الله) كقوله (تعالى الله)^(٤) غير أن الفاعل مجرور مع (سبحان) من أجل الإضافة، ومرفوع مع (تعالى)، لأنه فعل.

ولهذا فسر قوله عز وجل: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾ [الأنعام: ١٠٠] بمعنى تنزه الله

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٣٨/١٠.

(٢) انظر: المصدر السابق الموضع نفسه وبدائع الفوائد لابن القيم: ١/٣٧٧.

(٣) عدتها سبعة مواضع.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٢٦، ٥٠.

وتعالى^(١)، فظهر في التفسير أنه فاعل .

والثالث: أن قول العبد: (سبحان الله) إن قدر لفظ الجلالة فيه فاعلاً، كان خبراً عن الله تعالى بأنه تنزه عن كل ما لا يليق به. وإن قدر مفعولاً به، كان خبراً من العبد عن نفسه بأنه ينزه الله عما لا يليق به.

عن الله ولا شك أن كونه خبراً عن الله تعالى أفضل وأبلغ في الثناء، فإن الكلام إما إخبار وإما إنشاء، وأفضل الأخبار ما كان خبراً تعالى، والخبر عن الله أفضل من الخبر عن غيره ومن الإنشاءات^(٢).

- الحالة الثانية - استعماله مفرداً غير منون، أي: مقطوعاً عن الإضافة مع ترك تنوينه . ولم يستعمل (سبحان) على هذه الحالة إلا نادراً، إذ لم يذكر العلماء له - فيما وقفت عليه - إلا شاهداً واحداً، وهو قول الشاعر:

«أقول لما جاءني فخره سبحان علقمة الفاخر»^(٣).

وبهذا البيت استدلل من ذهب من العلماء إلى أن (سبحان) اسم علم للتسبيح^(٤) قالوا: إن الشاعر ترك تنوينه ؛ لأنه ممنوع من الصرف

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥/٢٩٣، والبحر المحيط، لأبي حيان: ٦/٣٧ - ٣٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/٤٤٤، وتفسير أبي السعود: ٥/١٥٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق ص ٤٥٨، ٣٦٠.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٢/٣٧٦.

(٣) سبق ذكر هذا البيت وتخرجه ص ٤٣.

(٤) انظر ما سبق في ص ٤٤، بالإضافة إلى: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٤.

للعلمية وزيادة الألف والنون^(١).

وقد رد هذا القول كثير من العلماء، وقالوا: إن (سبحان) ليس اسم علم، وإن الشاعر لم يترك تنوينه في البيت المذكور لكونه علماً، بل ترك تنوينه لأنه مضاف إلى محذوف مقدر الثبوت، والأصل: سبحان الله من علقمة، فحذف المضاف إليه لضرورة الشعر للعلم به وأبقى (سبحان) على فتحه بغير تنوين مراعاة لأغلب أحواله، وهو التجرد عن التنوين^(٢).

- الحالة الثالثة - استعماله مفرداً منوناً. واستعمل (سبحان) على هذه الحالة نادراً، كما في قول الشاعر:

«سبحانه ثم سبحانا نعوذ له وقبلنا سبح الجودي والحمد»^(٣)

(١) انظر: الأمل الشجرية: ١٨/٣٤٨، وشرح المفصل، لابن يعيش: ١/١١٩، ونور المسرى، لأبي شامة ص ٥١، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ص ٢٢٨، وروح المعاني، للآلوسي: ١/٢٢٦ و ١٥/٣، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٧/٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) انظر: مسألة سبحان لنفطويه ص ٢٩ - ٣٠، وشرح الكافية الشافية، لابن مالك: ٢/٩٥٩ - ٩٦٠، وشرح رضي الدين الاسترأبادي لكتابه الكافية في النحو لابن الحاجب: ٢/١٣٣، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٣/٣٩٧ و ٧/٢٣٤ - ٢٣٥، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢/٢١٢.

(٣) وقع اضطراب في نسبة هذا البيت وفي رواياته فقد نسبته سيبويه إلى أمية بن أبي الصلت كتاب سيبويه [١/٣٢٦]، وهو في ديوان أمية، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي: ص ٣٧٦. ونسبه السيرافي إلى زيد بن عمرو بن نفيل [شرح أبيات سيبويه: ١/١٩٤]. ونسبه البغدادي إلى ورقة بن نوفل لخزانة الأدب: ٣/١٣٨٨ - ٣٨٩ ويروى شطره الأول: سبحانه ثم سبحانا نعوذ له، ويروى أيضاً: ثم سبحانا نعوذ به وانظر اختلاف هذه الروايات مع شرحها في شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ١/١٩٤ - ١٩٥، ونور المسرى، لأبي شامة: ص ٥٨ - ٦٠، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٣/٣٨٨ - ٣٩٣ و ٧/٢٤٢.

ويروى أيضاً:

«سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له رب البرية فردوا أحد صمد»^(١)
وهذا يدل على أن (سبحان) مصدر أو اسم مصدر، وليس علماً؛
لأن الشاعر نونه - في قوله: (ثم سبحاناً) - عند ما لم يصفه لفظاً ولا
تقديراً.

والذين زعموا أن (سبحان) علم، قالوا: إن الشاعر نونه في هذا
البيت لضرورة الشعر^(٢).

ولم يقم دليل على علميته - كما سبق بيانه -، فلا معنى لحمل تنوينه
على الضرورة، بل التنوين دليل على أنه نكرة^(٣)، وإذا أضيف كان
معرفة بالإضافة.

- الحالة الرابعة - استعماله محلياً بآل.

واستعمل (سبحان) محلياً بآل، وذلك نادر أيضاً، كما في قول

(١) ذكر هذا البيت أبو شامة ونسبه إلى زيد بن عمرو بن نفيل [نور المسرى: ص ٥٨].

(٢) انظر: المقتضب للمبرد: ٣٠/٢١٧ - ٢١٨، وشرح أبيات سيويه، للسيراقي: ١/١٩٤، وشرح
المفصل لابن يعيش: ١/٣٧ - ٣٨، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٥، وتفسير أبي السعود
١/٨٥، وخزانة الأدب، للبغدادى: ٣/٣٨٨ و٧/٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) انظر: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده: ٣/١٥٤، والأمالى الشجرية لابن الشجري:
١/٣٤٨، ونور المسرى، لأبي شامة: ص ٥٦، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي: ص ٢٢٩، وتاج العروس،
للزبيدي: ٦/٤٤٧.

المحور السادس: استعمالات (سبحان) في اللغة ٥٥

الراجز: «سبحانك اللهم ذا السبحان»^(١). واستعماله على هذه الحالة دليل آخر على أنه ليس علماً، حيث جاء معرفاً بأل، والأعلام لا تعرف لأنها معرفة^(٢).

- ويتلخص مما سبق الكلام فيه في هذا المطلب: أن (سبحان) أكثر ما يستعمل في كلام العرب مضافاً واستعمل مقطوعاً عن الإضافة نادراً في الشعر خاصة للضرورة. وجاء في حال عدم الإضافة منوناً مرة، وغير منون مرة، ومحلى بأل مرة أخرى.

فتبين أن (سبحان) ليس معرفة بالعلمية بل هو معرفة بالإضافة لفظاً أو تقديرًا، أو بأل، وإلا فهو نكرة، والله تعالى أعلم.

(١) لم أقف على هذا الرجز منسوباً في شيء من المصادر التي أوردته، وقد ورد في الأمالي الشجرية، لابن الشجري: ١/٣٤٨، والكافية الشافية وشرحها، لابن مالك: ٢/٩٥٨ - ٩٦١، وشرح الرضي لكتاب الكافية في النحو لابن الحاجب: ١٣٣٢، وخزانة الأدب للبغدادي: ٧/٢٤٣، وأضواء البيان، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢/٢١٢. و(ذا) في الرجز بمعنى صاحب، منصوب لأنه تابع للهم على المحل [خزانة الأدب: ٧/٢٤٣].

(٢) انظر: خزانة الأدب، للبغدادي: ٧/٢٤٣.

المحور السابع: إعراب سبحان

من متممات الكلام على لفظ (سبحان) في اللغة بيان إعرابه، كما سبق بين ماهيته وحالات استعماله .

وقد تبين مما سبق أن (سبحان) يستعمل منصوباً في جميع حالاته، ما عدا حالة واحدة استعمل فيها مجروراً بالإضافة، وهي حالة استعماله محلى بأل، كقول الراجز: «سبحانك اللهم ذا السبحان»^(١)، حيث وقع السبحان مجروراً بإضافة (ذا) إليه، ف (ذا) -بمعنى صاحب- مضاف، والسبحان مضاف إليه.

ونص بعض العلماء على أن (سبحان) من الأسماء اللازمة النصب^(٢)، معتبرين مجيئه بالجر في الرجز السابق شاذاً^(٣)، لكونه مخالفاً

(١) سبق في ص ٥٢ . وانظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/٤١٤ .

(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش: ١/١١٩، وغرائب التفسير، للكرماني: ١/٦١٩، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٥، وتاج العروس، للزبيدي: ٦/٤٤٧ .

(٣) قال ابن مالك وشذ قول راجز رباني: سبحانك اللهم ذا السبحان [الكافية الشافية بشرحها: ٢/٩٥٨].

لأكثر الاستعمال.

وذكر بعضهم أن (سبحان) لا يجري بوجوه الإعراب لقلة تمكنه^(١)، كأنهم يذهبون إلى أنه اسم علم ممنوع من الصرف، للعلمية وزيادة الألف والنون كما قال بذلك جماعة من العلماء. وقد تقدم أن هذا القول ضعيف، وأن (سبحان) ليس علماً، بل هو نكرة تعرف بالإضافة، أو بآل^(٢).

وجمهور أهل الإعراب على أن (سبحان) منصوب على المصدرية^(٣)، أي: على المفعولية المطلقة^(٤). وعلى أن ناصبه فعل مقدر متروك إظهاره^(٥)، ولكنهم اختلفوا في تقدير هذا الفعل:

(١) انظر: المصادر السابقة والمحضر الوجيز لابن عطية: ١٠/٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠/٢٠٤.

(٢) انظر ما سبق في ص ٥٢.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء تحقيق محمد علي النجار: ٢/١٠٥، ومعاني القرآن، وإعرابه للزجاج: ٣/٢٢٥ ومسألة سبحان، لنفطويه: ص ٢٩، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد: ص ١٦٠، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن: ١/٨٦، وإعراب القرآن، لقوام السنة التيمي: ص ١٩٧، والمغرب، للمطرزي: ١/٣٧٨.

(٤) انظر نور المسرى لأبي شامة: ص ٦١، وتاج العروس، للزبيدي: ٦/٤٤٥، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور: ١/٤١٤، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢/٢١١.

(٥) انظر: تفسير البضاوي: ١/٥٦٣، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦، والعلم الهيب في شرح الكلم الطيب، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري: ص ١٠٠، وتفسير أبي السعود ١/ ١٥٠ و ٣/ ١٦٨، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢١١٢ وتفسير النسفي: ٢/٢٤٤.

المحور السابع: إعراب سبحان ٥٩

فقدرة بعضهم: سبح - بتخفيف الباء - الله سبحانه^(١)، أي: تنزه الله وتباعد عن السوء تنزهاً وتباعداً^(٢).

وقدره بعضهم: أسبح الله سبحانه، أي تسبيحاً^(٣)، بمعنى: نزهته عن السوء تنزيهاً

وقدره آخرون فعلاً من معناه لا من لفظه، فالتقدير عندهم أنزه الله تنزيهاً، وأبرئه تبرئة، فوقع (سبحان) مكان (تنزيهاً، وتبرئة)^(٤).

وإنما قدره هؤلاء هكذا لزمهم أن (سبحان) لم يجز من لفظه فعل، فهو على هذا مثل: قعد القرفصاء^(٥)، واشتمل الصماء^(٦)^(٧).

والذين قدروه (سبح) - بتخفيف الباء - أصوب طريقة لما سبق

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش: ١/١١٩. أحمد العيني.

(٢) انظر: الدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦.

(٣) انظر كتاب سيويه: ١/٣٢٢، وتفسير النسفي: ٢/٢٤٤، وتفسير أبي السعود: ١/١٥٠ و ٣/١٦٨، وتاج العروس للزبيدي: ٦/٤٤٥، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢١١٢.

(٤) انظر كتاب سيويه: ١/٣٢٤، والمحزر الوجيز لابن عطية: ١٠/٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠/٢٠٤، وفتح البيان، لصديق حسن القنوجي: ٧/٣٤٧.

(٥) القرفصاء - بضم القاف وسكون الراء أو ضمها على الاتباع: نوع من الجلوس، وهو أن يجلس على أليته ويلصق فخذه ببطنه، ويحتبي يديه يضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبته منكباً، ويلصق بطنه بفخذه ويتأبط كفيه [القاموس المحيط للفيروز آبادي / مادة (قرفص): ص ٨٠٨ - ٨٠٩].

(٦) اشتمل الصماء أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر، ثم يرد ثانيه من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن، فيغطيها جميعاً. أو الاشتغال بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه [القاموس المحيط مادة (صمم): ص ١٤٥٩].

(٧) انظر المحزر الوجيز لابن عطية: ١٠/٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠/٢٠٤، وفتح البيان لصديق بن حسن القنوجي: ٧/٣٤٧.

٦٠..... موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

أن (سبحان) مصدر ورد من لفظه فعل ثلاثي مجرد^(١)

ومن قدره أسبَح، أو سَبَّح، فليس ببعيد عن الصواب؛ لأن (سبحان) يكون - حينئذ - اسم مصدر لهذا الفعل الرباعي، كما سبق بيانه^(٢).

وأما من قدره فعلاً من معناه فحسب، فقد أبعد، إذ لا حاجة مع ورود الفعل من لفظه، والله أعلم.

لذلك كما اختلفوا من وجه آخر في الفعل المقدر: هل يجوز أن يقدر أمراً، أو يلزم أن يقدر خبراً؟

ووقفت في كلام لأبي شامة المقدسي على جواب لهذه المسألة، يقول فيه: «ثبت أن (سبحان الله) حيثما جاء منصوباً نصب [على] المفعول المطلق اللازم إضمار فعله وفعله إما أمر أو خبر، وهو في هذه السورة^(٣) محتمل للأمرين أي سبحوا الذي أسرى بعبده، أو أسبح الذي أسرى بعبده على أن يكون ابتداء ثناء من الله تعالى على نفسه، كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وفي قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧] يظهر أن

(١) انظر ص ٤١.

(٢) انظر: ص ٤٥.

(٣) يعني سورة الإسراء التي: أولها: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

المحور السابع: إعراب سبحان ٦١

المقدر فعل أمر، ولا سيما إذا جعلنا المعنى فيه: الأمر بالصلاة في هذه الأوقات، فيكون كقوله تعالى: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ [محمد: ٤]، أي: اضربوها ضرباً^(١).

وعند التأمل في كلمة (سبحان الله) وما تدل عليه من التنزيه لله تعالى عما لا يليق بجلاله وعظمته يتبين أن تقدير الفعل خبراً أرجح من تقديره أمراً، لكون الخبر أمكن في الدلالة، وأنسب بالمقام من الإنشاء، والله تعالى أعلم.

واتفق العربون على أن الفعل المقدر - خبراً كان أو أمراً - لا يجوز إظهاره، بل يجب إخماره لأن (سبحان) قد نزل منزلته، فسد مسده، وصار بدلاً من اللفظ به^(٢)، كما كان قولهم: (مرحباً) بدلاً من رحبت بلادك^(٣).

وقيل - في إعراب (سبحان) - : إنه منصوب على النداء، فتقديره: يا سبحان الله^(٤).

(١) نور المسرى في تفسير آية الإسراء: ص ٦١ - ٦٢. وانظر: المصدر نفسه: ص ٩٧.

(٢) انظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٣/١٥١، وكتاب سيبويه: ١/٣٢٢، ٣٢٧ ومعاني القرآن للأخفش: ١/٢٢٠، وتهذيب اللغة، للأزهري: ٤/٣٣٨، والعلم الهيب للعيني ص ١٠٠، وتاج العروس، للزبيدي: ٦/٤٤٥، وفتح البيان، للقنوجي: ٧/٣٤٧.

(٣) انظر كتاب سيبويه: ١/٣٢٧.

(٤) انظر: إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ص ١٦٠، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ٢/٢٤، وإعراب القرآن، لأبي القاسم التيمي: ص ١٩٨، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦.

٦٢..... موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

ويعزى القول بهذا الإعراب إلى أبي عبيدة^(١)، والكسائي^(٢).

وأبى جمهور العلماء هذا الإعراب؛ لأنه لا معنى له^(٣)، والله تعالى أعلم.

(١) هو معمر بن المثنى، أبو عبيدة التيمي مولاهم، البصري، الحافظ اللغوي الأخباري، من مصنفاته مجاز القرآن، وتوفي سنة (٢٠٨هـ)، وقيل: بعد ذلك، وقد قارب المائة، رحمه الله، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ٣٧١/١ - ٣٧٢، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ٢/٢٧١.

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن الأسدي مولاهم أبو الحسن الكوفي، الملقب بالكسائي لكسائه أكرم فيه وقيل كان يلتف به. كان إمام أهل الكوفة في النحو، واختار قراءة اشتهرت وصارت إحدى السبع، وله تصانيف عدة. توفي سنة (١٨٩هـ) رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/١٣١ - ١٣٤، وبغية الوعاة للسيوطي: ١٦٢/٢ - ١٦٥.

(٣) انظر: إعراب القرآن لأبي القاسم التيمي: ص ١٩٨، والمحذر الوجيز، لابن عطية: ١٠/٢٥٦، ونور المسرى، لأبي شامة ص ٦٢، والدر المصون للسمين الحلبي: ١/٢٦٦.



تقسيم آيات التسبيح في القرآن المجيد

ورد في القرآن الكريم عدة ألفاظ للتسبيح فتارة يأتي على نحو صيغة الأمر (سَبِّحْ) وتارة أخرى بصيغة الماضي أو المضارع .. يسبح .. تسبِّح .. وسبحان الله .. وهذا يعني أن التسبيح له صفة الاستمرارية في كل شيء وكما قلنا فالكون كله يسبح .. الخ . وإذا تفحصنا القرآن الكريم نجد زخماً كبيراً من الآيات المباركة تصل العشرات تؤكد على مسألة إستمرارية التسبيح ومنها: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣. إذن رحلة التسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً كل ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح في القرآن الكريم إيمانا عظيما وكبيرا وأفضل وأعظم ما يكون عليه الإيمان، حتى يصل إلى مراتب الكمال والسمو من خلال هذه التعليمات من سور وآيات.

ولقد بلغ العدد الكلي لآيات التسبيح الواردة في القرآن الكريم خمسةً وثمانين آية، نوردها وفقاً للمشتقات الصياغية لألفاظ التسبيح في القرآن الكريم كالآتي:

٦٦.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

أولاً: الآيات المُشتملة على صيغة الفعل الماضي للتسييح، بلغ عددها أربع آياتٍ كريمات.

الألفاظ: لفظ (سَبَّحَ) ثلاث آيات - لفظ (سَبَّحُوا) آيةً واحدة.

ثانياً: الآيات المُشتملة على صيغة فعل الأمر للتسييح، بلغ عددها سبعة عشر آيةً كريمة.

الألفاظ: لفظ (سَبَّحَ) اثنتا عشرة آية - لفظ (سَبَّحُهُ) ثلاث آيات - لفظ (سَبَّحُوا) آيةً واحدة - لفظ (سَبَّحُوهُ) آيةً واحدة

ثالثاً: الآيات المُشتملة على صيغة الفعل المضارع للتسييح، بلغ عددها ثمانية وستين آيةً كريمة.

الألفاظ: لفظ (سَبَّحَ) سبع آيات - لفظ (تُسَبِّحُ) آيةً واحدة - لفظ (تُسَبِّحُوهُ) آيةً واحدة - لفظ (تُسَبِّحُونَ) آيةً واحدة - لفظ (يُسَبِّحُونَ) خمس آيات - لفظ (يُسَبِّحُونَ) آيتين - لفظ (يُسَبِّحْنَ) آيتين - لفظ (يُسَبِّحُونَهُ) آيةً واحدة - لفظ (نُسَبِّحُكَ) آيةً واحدة - لفظ (نُسَبِّحُ) آيةً واحدة - لفظ (سُبِّحَانَ) ثمانية عشر آية - لفظ (سَبَّحَا) آيتين - لفظ (سُبِّحَانِكَ) تسع آيات - لفظ (سُبِّحَانُهُ) أربع عشرة آية - لفظ (تُسَبِّحُوهُ) آيةً واحدة - لفظ (تُسَبِّحُهُمْ) آيةً واحدة - لفظ (تَسْبِيحُهُ) آيةً واحدة.

كما أنه افتتحت سبع سورٍ في القرآن الكريم بالتسييح وتُسمى

المحور السابع: إعراب سبحان ٦٧

بالسور المسبحات وهي:

١ / سورة الحديد قال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]

٢ / سورة الحشر قال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]

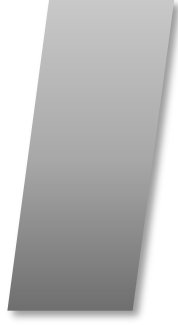
٣ / سورة الصف قال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

٤ / سورة الجمعة قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١]

٥ / سورة التغابن قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]

٦ / سورة الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ۖ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۖ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]

٧ / سورة الأعلى قال تعالى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]



فهرس آيات التسبيح في القرآن المجيد

بلغ عدد آيات التسييح الواردة في القرآن الكريم (٨٥ آية)، وقد تضمنت هذه الآيات (٨٩ لفظة) من ألفاظ التسييح، موجودة في (٤٩ سورة) من سور القرآن الكريم، فجعلناها تحت (٢٢ عنوان) بعدد الصيغ التي وردت بها هذه الألفاظ الشريفة، وبناء عليه جاء هذا التقسيم الآتي:

أولاً: الآيات التي ورد فيها لفظ (سَبَّح)

الآية الأولى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

الآية الثانية: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

الآية الثالثة: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: ٥٥].

الآية الرابعة: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

٧٢..... موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الآية الخامسة: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

الآية السادسة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

الآية السابعة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].

الآية الثامنة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

الآية التاسعة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

الآية العاشرة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

الآية الحادية عشرة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

الآية الثانية عشرة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

ثانياً: الآيات التي ورد فيها لفظ (سَبَّحَ)

الآية الثالثة عشرة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١].

الآية الرابعة عشرة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١].

المحور السابع: إعراب سبحانه ٧٣

الآية الخامسة عشرة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

ثالثاً: الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُ)

الآية السادسة عشرة: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيَفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

الآية السابعة عشرة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

الآية الثامنة عشرة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُو يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]

الآية التاسعة عشرة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]

الآية العشرون: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]

الآية الواحدة والعشرون: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

٧٤..... موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

اَلْمَلِكِ اَلْقُدُّوسِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ ﴿١﴾ [الجمعة: ١]

الآية الثانية والعشرون: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]

رابعاً: الآية التي ورد فيها لفظ (تُسَبِّحُ)

[نفس الآية رقم ١٧] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

(وهي آية مكررة ثلاث مرات لتعدد صيغ التسبيح فيها).

خامساً: الآية التي ورد فيها لفظ (تُسَبِّحُوهُ)

الآية الثالثة والعشرون: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]

سادساً: الآية التي ورد فيها لفظ (تُسَبِّحُونَ)

الآية الرابعة والعشرون: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]

سابعاً: الآيات التي ورد فيها لفظ (يُسَبِّحُونَ)

الآية الخامسة والعشرون: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]

المحور السابع: إعراب سبحانه ٧٥

الآية السادسة والعشرون: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥]

الآية السابعة والعشرون: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٦]

الآية الثامنة والعشرون: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨]

الآية التاسعة والعشرون: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٥٠]

ثامناً: الآيتين اللاتي ورد فيهن لفظ (يسبحون)

الآية الثلاثون: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]

الآية الحادية والثلاثون: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۗ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]

تاسعاً: الآيتين اللاتي وردَ فيهنَ لفظ (يُسَبِّحُنَ)

الآية الثانية والثلاثون: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّ عَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]

الآية الثالثة والثلاثون: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]

عاشراً: الآية التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُونَهُ)

الآية الرابعة والثلاثون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

أحد عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (نُسَبِّحُكَ)

الآية الخامسة والثلاثون: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣]

اثنا عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (نُسَبِّحُ)

الآية السادسة والثلاثون: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]

ثلاثة عشر: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سُبْحَانَ)

الآية السابعة والثلاثون: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

المحور السابع: إعراب سبحان ٧٧

الآية الثامنة والثلاثون: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)

الآية التاسعة والثلاثون: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣)

الآية الأربعون: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (الإسراء: ١٠٨)

الآية الحادية والأربعون: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)

الآية الثانية والأربعون: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩١)

الآية الثالثة والأربعون: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٨)

الآية الرابعة والأربعون: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨)

٧٨.....موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الآية الخامسة والأربعون: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]

الآية السادسة والأربعون: ﴿سُبِّحْنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]

الآية السابعة والأربعون: ﴿فَسُبِّحْنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]

الآية الثامنة والأربعون: ﴿سُبِّحْنَ اللَّهَ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩]

الآية التاسعة والأربعون: ﴿سُبِّحْنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠]

الآية الخمسون: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبِّحْنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]

الآية الحادية والخمسون: ﴿سُبِّحْنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢]

الآية الثانية والخمسون: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبِّحْنَ اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]

المحور السابع: إعراب سبحان ٧٩

الآية الثالثة والخمسون: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]

الآية الرابعة والخمسون: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩]

أربعة عشر: الآيتين اللاتي ورد فيهن لفظ (سبحاً)

الآية الخامسة والخمسون: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧]

الآية السادسة والخمسون: ﴿وَالسَّيِّحَتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣]

خمسة عشر: الآيات التي ورد فيها لفظ (سبحانك)

الآية السابعة والخمسون: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

الآية الثامنة والخمسون: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

الآية التاسعة والخمسون: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي

٨٠.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ [المائدة: ١١٦]

الآية الستون: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَفَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]

الآية الحادية والستين: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠]

الآية الثانية والستين: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]

الآية الثالثة والستون: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦]

الآية الرابعة والستون: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: ١٨]

الآية الخامسة والستون: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١]

ستة عشر: الآيات التي ورد فيها لفظ (سُبْحَانَهُ)

الآية السادسة والستون: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٦]

الآية السابعة والستون: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١]

الآية الثامنة والستون: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠]

الآية التاسعة والستون: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]

الآية السبعون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]

الآية الحادية والسبعون: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ

٨٢.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَىٰ
اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ [يونس: ٦٨]

الآية الثانية والسبعون: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [النحل: ١] .

الآية الثالثة والسبعون: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنٰتِ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا
يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧] .

الآية الرابعة والسبعون: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا
﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٣] .

الآية الخامسة والسبعون: ﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ
إِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ٣٥]

الآية السادسة والسبعون: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ
عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦]

الآية السابعة والسبعون: ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ
وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٤٠]

الآية الثامنة والسبعون: ﴿لَوْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفٰى مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤]

المحور السابع: إعراب سبحان ٨٣

الآية التاسعة والسبعون: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]

سبعة عشر: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحَهُ)

الآية الثمانون: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]

الآية الحادية والثمانون: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]

الآية الثانية والثمانون: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبَّحَهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]

ثمانية عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحُوا)

الآية الثالثة والثمانون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]

تسعة عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحُوا)

الآية الرابعة والثمانون: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥]

عشرون: الآية التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحُوهُ)

الآية الخامسة والثمانون: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]

واحد وعشرون: الآية التي ورد فيها لفظ (تَسْبِيحُهُمْ)

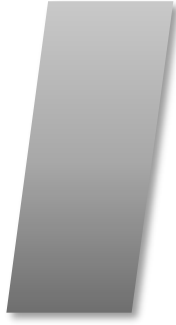
[نفس الآية رقم ١٧] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]

(وهي آية مكررة ثلاث مرات لتعدد صيغ التسييح فيها).

اثنان وعشرون: الآية التي ورد فيها لفظ (تَسْبِيحُهُ)

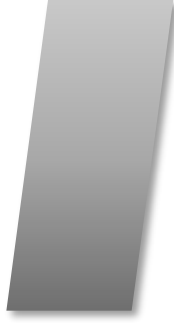
[نفس الآية رقم ١٩]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا
يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١]

(وهي آية مكررة لتعدد صيغ التسييح فيها).



القسم الأول

التسبيح في القرآن الكريم



الفصل الأول

الآيات المشتملة على لفظ (سَبَّح)

"البالغ عددها اثنتا عشر آيةً كريمة"

الآية الأولى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ

﴿١٣٠﴾ [طه: ١٣٠].

الآية الثانية: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾﴾ [ال عمران: ٤١].

الآية الثالثة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥].

الآية الرابعة: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩].

الآية الخامسة: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور: ٤٨].

الآية السادسة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

الآية السابعة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٨].

٩٠..... موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الآية الثامنة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

الآية التاسعة: ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢].

الآية العاشرة: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

الآية الحادية عشرة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

[النصر: ٣].

الآية الثانية عشرة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ

وَكَفَى بِهِ بَذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

الآية الأولى

الآية الأولى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

إطالة حول الآية الكريمة

تُشير الآية إلى عدّة إشارات كالاتي:

الأولى: الخطاب إلى حامل الرسالة النبي الأعظم ﷺ من الله ﷻ، أن يتصف بهذه الأمور: الصبر ثم بالحمد المقترن بالتسبيح والمحافظة على أوقات الصلوات الخمس وبلوغ مقام الرضا، وهذه الإشارة تتناول خطابين خطاباً خاصاً لحامل الرسالة لما له من مقام عظيم وقرب وأشرفيّة وهو الفرد الواحد المتربع في سماء العظمة نبينا محمد ﷺ، بينما الخطاب الآخر وجه عامّة لكل من يتحلى بالقيادة.

الثانية: تُشير الآية كذلك إلى أن يتحلى النبي بالصبر لما يتلقى من جاهلية قومه وقد صدرت الخطابات له بالصبر في عدة من الآيات

الكريمة لأن عبدة الأصنام يؤذونه نفسياً من كيل الاتهامات من كذبٍ وسحرٍ وشعرٍ إلى غير ذلك من نبزٍ ولمزٍ، بل أكثر من ذلك منهم مَنْ هَمَّ بقتله ﷺ حتى أنه قال: (ما أودى نبي مثلاً أوديت).

الثالثة: تُشير الآية أيضاً أن أمر التسييح جاء مُقترناً بالحمد لأن المشركين يصفون الله جل وعلا بما لا يليق بجلال قُدسيته فالنبي ﷺ، ينزه الله عن تلك الصفات فالتسييح تنزيه والحمد حمدٌ وثناء على الله بصفات الكمال والجمال يتسلى بها خاطره لما يسمع من الكفار.

الرابعة: تُشير الآية كذلك إلى الأثر المترتب في المحافظة على الصلوات اليومية في أوقاتها المقررة من أثرٍ نفسيٍّ إيجابيٍّ وطاقةٍ روحيةٍ تتعلق بالواحد القهار المتصف بالجبروت والعظمة من خلال مُعطيات الصلوات الواجبة والصلوات المستحبة المتعددة.

الخامسة: هنا إشارة إلى مقام من مقامات الرسول الأعظم ﷺ وبلوغه مقام الرضا الإلهي، وهذه نتيجة ما تحمله، فالله يتطلب رضى رسوله ﷺ بما يرضيه من الجزاء، من الغلبة والنصر وإظهار الدين والشفاعة الكبرى وغيرها، فعطاء الله غير محدود.

وبعد هذه الإطلالة: لنبحر في تفسير الآية على رأي عدّة من العلماء المفسرين المعاصرين وهم: السيد محمد حسين الطباطبائي في كتاب الميزان في تفسير القرآن، والشيخ محسن قرائتي في كتاب تفسير النور،

والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، علي رضا برازش في كتاب تفسير أهل البيت.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٤)

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إلخ، يأمره بالصبر على ما يقولون ويفرعه على ما تقدم كأنه قيل: إذا كان من قضاء الله أن يؤخر عذابهم ولا يعاجلهم بالانتقام على ما يقولون فلا يبقى لك إلا أن تصبر راضياً على ما قضاه الله من الأمر وتنزهه عما يقولونه من كلمة الشرك ويواجهونك به من السوء، وتحمده على ما تواجهه من آثار قضائه فليس إلا الجميل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك لعلك ترضى.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي نزهه متلبساً بحمده والثناء عليه فإن هذه الحوادث التي يشق تحملها والصبر عليها لها نسبة إلى فواعلها وليست إلا سيئة يجب تنزيهه تعالى عنها ولها نسبة بالإذن إليه تعالى وهي بهذه النسبة جميلة لا يترتب عليها إلا مصالح عامة يصلح بها النظام الكوني ينبغي أن يحمد الله ويشني عليه بها.

وقوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ ظرفان متعلقان بقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾. وقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَايَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ الجملة نظيرة قوله: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، والآناء على أفعال جمع إني أو إني

بكسر الهمزة بمعنى الوقت و﴿مِنْ﴾ للتبعيض والجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾ دال على ظرف في معناه متعلق بالفعل والتقدير وبعض آناء الليل سبح فيها.

وقوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ منصوب بنزع الخافض على ما ذكروا معطوف على قوله: ﴿وَمِنْ عَائِنَايَ﴾ والتقدير وسبح في أطراف النهار وهل المراد بأطراف النهار ما قبل طلوع الشمس وما قبل غروبها، أو غير ذلك؟ اختلفت فيه كلمات المفسرين وسنشير إليه.

وما ذكر في الآية من التسييح مطلق لا دلالة فيها من جهة اللفظ على أن المراد به الفرائض اليومية من الصلوات وإليه مال بعض المفسرين لكن أصر أكثرهم على أن المراد بالتسييح الصلاة تبعا لما روي عن بعض القدماء كقتادة وغيره، قالوا: إن مجموع الآية يدل على الأمر بالصلوات الخمس اليومية فقوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح، وقوله: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر وقوله: ﴿وَمِنْ عَائِنَايَ اللَّيْلِ﴾ صلاتا المغرب والعشاء، وقوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صلاة الظهر.

ومعنى كونها في أطراف النهار مع أنها في منتصفه بعد الزوال أنه لو نصف النهار حصل نصفان: الأول والأخير وصلاة الظهر في الجزء الأول من النصف الثاني فهي في طرف النصف الأول لأن آخر النصف الأول ينتهي إلى جزء يتصل بوقتها، وفي طرف النصف الثاني

لأنه يبتدئ من جزء هو وقتها فوقتها على وحدته طرف للنصف الأول باعتبار وطرف للنصف الثاني باعتبار فهو طرفان اثنان اعتبارا.

وأما إطلاق الأطراف - بصيغة الجمع - على وقتها وإنما هو طرفان اعتبارا فباعتبار أن الجمع قد يطلق على الاثنين وإن كان الأشهر الأعراف كون أقل الجمع في اللغة العربية ثلاثة. وقيل: المراد بالنهار الجنس فهو في نهر لكل فرد منها طرفان فيكون أطرافا، وقد طال البحث بينهم حول التوجيه اعتراضا وجوابا.

لكن الإنصاف أن أصل التوجيه تعسف بعيد من الفهم فالذوق السليم - بعد اللتيا والتي - يأبى أن يسمي وسط النهار أطراف النهار بفروض واعتبارات وهمية لا موجب لها في مقام التخاطب من أصلها ولا أمرا يرتضيه الذوق ولا يستبشعه.

وأما من قال: إن المراد بالتسبيح والتحميد غير الفرائض من مطلق التسبيح والحمد إما بتذكر تنزيهه والثناء عليه تعالى قلبا وإما بقول مثل آيات التسبيح في تفاسير القرآن الكريم سبحانه الله والحمد لله لسانا أو الأعم من القلب واللسان فقالوا: المراد بما قبل طلوع الشمس وما قبل غروبها وآناء الليل الصبح والعصر وأوقات الليل وأطراف النهار الصبح والعصر.

وأما لزوم إطلاق الأطراف وهو جمع على الصبح والعصر وهما

اثنان فقد أجابوا عنه بمثل ما تقدم في القول السابق من اعتبار أقل الجمع اثنين.

وأما لزوم التكرار بذكر تسبيح الصباح والعصر مرتين فقد التزم به بعضهم قائلًا إن ذلك للتأكيد وإظهار مزيد العناية بالتسبيح في الوقتين، ويظهر من بعضهم أن المراد بالأطراف الصباح والعصر ووسط النهار.

وأنت خير بأنه يرد عليه نظير ما يرد على الوجه السابق بتفاوت يسير، والإشكال كله ناشئ من ناحية قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ من جهة انطباقه على وسط النهار أو الصباح والعصر.

والذي يمكن أن يقال إن قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ مفعول معه وليس بظرف بتقدير في وإن لم يذكره المفسرون على ما أذكر، والمراد بأطراف النهار ما قبل طلوع الشمس وما قبل غروبها بالنظر إلى كونها وقتين ذوي سعة لكل منهما أجزاء كل جزء منها طرف بالنسبة إلى وسط النهار فيصح أن يسميا أطراف النهار كما يصح أن يسميا طرفي النهار وذلك كما يسمى ما قبل طلوع الشمس أول النهار باعتبار وحدته وأوائل النهار باعتبار تجزيه إلى أجزاء، ويسمى ما قبل غروبها آخر النهار، وأواخر النهار.

فيؤول معنى الآية إلى مثل قولنا: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴿١﴾ وهي أطراف النهار، وبعض أوقات الليل سبح فيها مع أطراف النهار التي أمرت بالتسبيح فيها.

فإن قلت: كيف يستقيم كون ﴿أَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ مفعولا معه وهو ظرف للتسبيح بتقدير في نظير ظرفية ﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ له؟. قلت: آناء الليل ليس ظرفا بلفظه كيف؟ وهو مدخول من ولا معنى لتقدير في معه وإنما يدل به على الظرف، ومعنى ﴿وَمِنْ ءَانَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ وبعض آناء الليل سبح فيه، فليكن ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ كذلك، والمعنى مع أطراف النهار التي تسبح فيها والظرف في كلا الجانبين مدلول عليه مقدر.

هذا فلو قلنا: إن المراد بالتسبيح في الآية غير الصلوات المفروضة كان المراد التسبيح في أجزاء من أول النهار وأجزاء من آخره وأجزاء من الليل بمعية أجزاء أول النهار وآخره ولم يلزم محذور التكرار ولا محذور إطلاق لفظ الجمع على ما دون الثلاثة، وهو ظاهر.

ولو قلنا إن المراد بالتسبيح في الآية الفرائض اليومية كانت الآية متضمنة للأمر بصلاة الصبح وصلاة العصر وصلاتي المغرب والعشاء فحسب نظير الأمر في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]، ولعل التعبير عن الوقتين في الآية المبحوث عنها بأطراف النهار للإشارة إلى سعة الوقتين.

ولا ضير في اشتمال الآية على أربع من الصلوات الخمس اليومية

فإن السورة- كما سنشير إليه- من أوائل السور النازلة بمكة وقد دلت الأخبار المستفيضة التي رواها العامة والخاصة أن الفرائض اليومية إنما شرعت خمسا في المعراج كما ذكرت في سورة الإسراء النازلة بعد المعراج خمسا في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، فلعل التي شرعت من الفرائض اليومية حين نزول سورة طه وكذا سورة هود- وهما قبل سورة الإسراء نزولا- كانت هي الأربع ولم تكن شرعت صلاة الظهر بعد بل هو ظاهر الآيتين: آية طه وآية هود.

ومعلوم أنه لا يرد على هذا الوجه ما كان يرد على القول بكون المراد بالتسييح الصلوات الخمس وانطباق أطراف النهار على وقت صلاة الظهر وهو وسط النهار.

هذا وقوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ السياق السابق وقد ذكر فيه إعراضهم عن ذكر ربهم ونسيانهم آياته وإسرافهم في أمرهم وعدم إيمانهم ثم ذكر تأخير الانتقام منهم وأمره بالصبر والتسييح والتحميد يقضي أن يكون المراد بالرضا الرضا بقضاء الله وقدره، والمعنى: فاصبر وسبح بحمد ربك ليحصل لك الرضا بما قضى الله سبحانه فيعود إلى مثل معنى قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

والوجه فيه أن تكرار ذكره تعالى بتنزيه فعله عن النقص والشين

وذكره بالثناء الجميل والمداومة على ذلك يوجب أنس النفس به وزيادته وزيادة الأنس بجمال فعله ونزاهته توجب رسوخه فيها وظهوره في نظرها وزوال الخطورات المشوشة للإدراك والفكر، والنفس مجبولة على الرضا بما تحبه ولا تحب غير الجميل المنزه عن القبح والشين فإدامة ذكره بالتسبيح والتحميد تورث الرضا بقضائه.

وقيل: المراد لعلك ترضى بالشفاعة والدرجة الرفيعة عند الله. وقيل: لعلك ترضى بجميع ما وعدك الله به من النصر وإعزاز الدين في الدنيا والشفاعة والجنة في الآخرة.

وجاء تحت عنوان بحث روائي: وفي الدر المنثور، أخرج الطبراني وابن مردويه وابن عساكر عن جرير عن النبي ص: في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ - قال: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح - وقبل غروبها صلاة العصر. وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَمَّا أَيْلٍ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ - قال: بالغداة والعشي. أقول: وهو يؤيد ما قدمناه.

وفي الكافي، بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (١)؟ قال: يعني تطوع بالنهار.

أقول: وهو مبني على تفسير التسبيح بمطلق الصلاة أو بمطلق التسبيح.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

* [أمر] الله تعالى النبي ﷺ في القرآن الكريم بالصبر في تسعة عشر مورداً.

* هذه الآية، وكما هو حال الآية القرآنية ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، تدعو النبي ﷺ إلى الصبر والتحمل والحمد وتعظيم الله تعالى، ومع أن المخاطب بهذه الآية ظاهراً هو النبي محمد ﷺ إلا أنها تعمُّ الناس بالبداية.

* ورد في بعض الروايات وآراء بعض المفسرين تفسير هذه الآية بالصلاة اليومية ليلاً ونهاراً، والمراد من الصلاة في أطراف النهار النوافل اليومية^(١).

النعاليم

١ . الالتفات إلى تدبير الله وتقنيته للجزاء والعذاب وكذا الالتفات إلى السنن الإلهية كل ذلك يعد مقدمة للصبر والتسبيح والتحميد، ﴿فَاصْبِرْ﴾ (بالنظر إلى الآيات السابقة).

٢ . يجب أن يكون الصبر على الأمور بمقدار المشكلات، (أي أن الصبر على كل شيء بحسبه)، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٤٤.

الآية الأولى..... ١٠١

٣. حمد الله وتسبيحه وسائل لشدّ العزيمة في مقابل اللجاج والعناد ودعاية الأعداء، ﴿...وَسَبِّحْ﴾.

٤. تنزيه الله يتم عبر تعظيمه وتسبيحه وحمده، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ﴾.

٥. التخلية من الرذائل مقدمة على التحلية بالفضائل، التسبيح مقدم على التحميد، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ﴾.

٦. استفاد القرآن الكريم من الوسائل والمعايير الطبيعية لتحديد أوقات الإتيان بالتكاليف، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

٧. تسبيح الله وحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لهما آثار خاصة، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

٨. لنملاً أوقاتنا بذكر الله تعالى لئلا يبقى مجال لسائر الأفكار الباطلة، ﴿وَأَظْرَافَ النَّهَارِ﴾.

٩. الليل ليس للنوم والاستراحة فقط بل لا بد من أن نخصص وقتاً منه للعبادة، ﴿وَمِنْ عَآئِي اللَّيْلِ﴾.

١٠. إذا قمنا بذكر الله بشرطه وشروطه فسيكون منتجاً وذا أثر، ﴿لَعَلَّكَ﴾^(١)

(١) قوله «لعلك» معناه أن الوصول إلى هذا المقام ليس محتوماً وقطعياً، بل ربما يحصل لك ذلك (أي أن النسبة ليست مئة في المائة (١٠٠٪) بل هي بعض النسبة المئوية)؛ والسبب في ذلك أن ذكر الله وحده لا يكفي بل لا بد من شرائط أخرى كالسعي، والوحدة، والإخلاص، وغيرها من الشروط التي لا بد من أن

١٠٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

١١ . مقام «الرضا» أعلى درجات التكامل، ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾؛
للتكامل درجات: أولها: الصبر ﴿فَاصْبِرْ﴾، وثانيها: تنزيه الله
﴿فَسَبِّحْ﴾، وثالثها: الشكر لله وتحميده ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ورابعها:
الرضا بقضاء الله ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال (ج ١٠)

ثمَّ يُوَجِّهُ الْخُطَابَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فيقول: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾
ومن أجل رفع معنويات النبي ﷺ وتقوية قلبه، وتسليية خاطره، فإنه
يؤمر بمناجاة الله والصلاة والتسبيح فيقول: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَانَائِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَى﴾ ولا يتأثر قلبك جرّاء كلامهم المؤلم.

لا شك أنّ هذا الحمد والتسبيح محاربة للشرك وعبادة الأصنام،
وفي الوقت نفسه صبر وتحمل أمام أقوال المشركين السيئة، وكلامهم
الخشن. إلا أنّ هناك بحثاً بين المفسرين في أنّ المقصود من الحمد
والتسبيح هل الحمد والتسبيح المطلق، أم أنّه إشارة إلى خصوص
الصلوات الخمس اليومية؟ فجماعة يعتقدون أنّه يجب أن يبقى ظاهر
العبارات على معناه الواسع، ومن ذلك يستفاد أنّ المراد هو التسبيح
والحمد المطلق.

يُضَمُّ بعضها إلى بعضها الآخر لنحصل على نتيجة ١٠٠٪.

الآية الأولى..... ١٠٣

في حين أن جماعة أخرى ترى أنه إشارة إلى الصلوات الخمس، وهي على النحو التالي.

﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ وهي إشارة إلى صلاة الصبح.

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وهي إشارة إلى صلاة العصر، أو أنها إشارة إلى صلاتي الظهر والعصر، واللذان يمتدّ وقتهما إلى الغروب.

﴿وَمِنْ عَآئِي اللَّيْلِ﴾ وهي إشارة إلى صلاتي المغرب والعشاء، وكذلك صلاة الليل.

أما التعبير بـ﴿أَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ فهو إما إشارة إلى صلاة الظهر، لأنّ أطراف جمع طرف، وهو يعني الجانب، وإذا قسّمنا اليوم نصفين، فإنّ صلاة الظهر ستكون في أحد طرفي النصف الثاني.

ويستفاد من بعض الروايات - أيضا - أنّ ﴿أَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ إشارة إلى الصلوات المستحبة التي يستطيع الإنسان أو يؤدّيها في الأوقات المختلفة، لأنّ أطراف النهار هنا قد وقعت في مقابل آناء الليل، هي تتضمّن كلّ ساعات اليوم.

وخاصّة أنّنا إذا لاحظنا أنّ كلمة أطراف قد وردت بصيغة الجمع، في حين أنّ لليوم طرفين لا أكثر، فسيّضح أنّ للأطراف معنى واسعا يشمل ساعات اليوم المختلفة.

وهناك احتمال ثالث أيضا، وهو أنه إشارة إلى الأذكار الخاصة التي وردت في الروايات الإسلامية في هذه الساعات المخصصة، فمثلا نقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية محل البحث أنه قال: «فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرّات وقبل غروبها عشر مرّات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير».

إلا أن هذه التفسير لا منافاة بينها على كل حال، ويمكن أن تكون الآية إشارة إلى التسبيحات وإلى الصلوات الواجبة والمستحبة في الليل والنهار، وبهذا فسوف لا يكون هناك تضاد بين الروايات الواصلة في هذا الباب، لأنّ الجملة فسّرت في بعض الروايات بالأذكار الخاصة، وفي بعضها بالصلاة.

والجدير بالذكر أنّ جملة ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ في الحقيقة نتيجة حمد الله وتسبيحه، والصبر والتحمّل في مقابل قول أولئك، لأنّ هذا الحمد والتسبيح وصلوات الليل والنهار تحكم الرابطة بين الإنسان وربّه إلى درجة لا يفكر فيها بأي شيء سواه، فلا يخاف من الحوادث الصعبة، ولا يخشى عدوّا باعتماده على هذا السند والعماد القوي، وبهذا سيملاً الهدوء والاطمئنان وجوده.

ولعلّ التعبير ب (لعلّ) إشارة إلى ذلك المطلب الذي قلناه فيما

مضى في تفسير هذه الكلمة، وهو أن (لعل) عادة إشارة إلى الشروط التي تكون لازمة لتحصيل النتيجة، فمثلا لكي تكون الصلاة وذكر الله سببا لحصول الاطمئنان، يجب أن تقام مع حضور القلب وآدابها الكاملة.

ثم إنَّ المخاطب في هذه الآية وإن كان النبي الأكرم ﷺ، إلا أنَّ القرائن تدلُّ على أنَّ هذا الحكم يتَّصف بالعموم.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت (روائي)

١-١ - الباقر عليه السلام - هَلَقَامٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ قَالَ دَفَعَهُمْ وَلَايَةَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. (١)

١-٢ - الصادق عليه السلام - عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ مَنْ صَبَرَ صَبَرَ قَلِيلاً وَإِنَّ مَنْ جَزَعَ جَزَعَ قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ فَأَلْزَمَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ الصَّبْرَ فَتَعَدَّوْا فَذَكَّرُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَذَّبُوهُ فَقَالَ قَدْ صَبَرْتُ فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَعِرْضِي وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى ذِكْرِ إِلَهِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ فَصَبَرَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ثُمَّ بَشَّرَ فِي عِثْرَتِهِ بِالْأَيْمَةِ. (٢)

١-٣ - الصادق عليه السلام - عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ

(١) ج ٩، ص ٣١٢ - بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٢٦٢ / المناقب؛ ج ٣، ص ٢٠٦.

(٢) ج ٩، ص ٣١٢ - وسائل الشيعة؛ ج ١٥، ص ٢٦١.

١٠٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

إِنَّهُ سَأَلَ أَبَاهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ ... فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ ﷺ نَفْسَكَ وَذُرِّيَّتَكَ عَلَى مَا يَقُولُونَ. (١)

١-٤ - الصَّادِقُ ﷺ - عَنْ الْكَرَّاجِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ ﷺ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ فَإِنِّي مُنْتَقِمٌ مِنْهُمْ بِرَجُلٍ مِنْكَ وَهُوَ قَائِمِي الَّذِي سَلَّطْتُهُ عَلَى دِمَاءِ الظَّالِمَةِ (٢).

١-٢ - الصَّادِقُ ﷺ - إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَقَالَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قَالَ فَقُلْتُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي فَقَالَ يَا هَذَا لَا شَكَّ فِي أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُمِيتُ وَيُحْيِي وَلَكِنْ قُلْ كَمَا أَقُولُ. (٣)

٢-٢ - الرَّسُولُ ﷺ - فِي كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَنْ

(١) ج ٩، ص ٣١٢ - تأويل الآيات الظاهرة؛ ص ٣١٤.

(٢) ج ٩، ص ٣١٢ - بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٢٢٠.

(٣) ج ٩، ص ٣١٢ - بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٢٥٠ / الخصال، ج ٢، ص ٤٥٢ / وسائل الشيعة؛ ج ٧، ص ٢٢٦ / نور الثقلين.

النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ عَنْ مَسَائِلَ : وَأَمَّا صَلَاةُ الْفَجْرِ فَإِنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَطْلُعُ عَلَى قَرْنِي شَيْطَانٍ فَأَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ أُصَلِّيَ صَلَاةَ الْغَدَاةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لَهَا الْكُفَّارُ فَتَسْجُدُ أُمَّتِي لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ. (١)

٣-١ - الصادق عليه السلام - عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ مَا جَرَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ ثَمَانُ رَكَعَاتٍ الزَّوَالِ وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَانِ قَبْلَ الْعَصْرِ وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَمِنْهَا الْوَتْرُ وَرَكَعَتَا الْفَجْرِ قُلْتُ فَهَذَا جَمِيعُ مَا جَرَتْ بِهِ السُّنَّةُ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو الْحَطَّابِ أَفَرَأَيْتَ إِنْ قَوِيَ فَزَادَ قَالَ فَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ إِنْ قَوِيَ فَصَلَّاهَا كَمَا كَانَتْ تُصَلَّى وَكَمَا لَيْسَتْ فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ فَلَيْسَتْ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ وَمِنْ أَنْاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ. (٢)

٣-٢ - الباقر عليه السلام - عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لَهُ أَنْاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قَالَ يَعْنِي صَلَاةَ اللَّيْلِ. (٣)

٣-٣ - علي بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - وَمِنْ أَنْاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ

(١) ج ٩، ص ٣١٢ - نور الثقلين.

(٢) ج ٩، ص ٣١٤ - تهذيب الأحكام؛ ج ٢، ص ٧ / وسائل الشيعة؛ ج ٤، ص ٥٩.

(٣) ج ٩، ص ٣١٤ - الكافي؛ ج ٣، ص ٤٤٤ / البرهان.

١٠٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

وَأَطْرَافَ النَّهَارِ قَالَ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. (١)

٤-١ - الباقر عليه السلام - عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ
وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى قَالَ يَعْنِي تَطَوُّعٌ بِالنَّهَارِ. (٢)

(١) ج ٩، ص ٣١٤ - نور الثقلين.

(٢) ج ٩، ص ٣١٤ - الكافي؛ ج ٣، ص ٤٤٤ / بحار الأنوار، ج ٧٩؛ ص ٣٢٣ / وسائل الشيعة؛ ج ٤، ص ٧٣ / نور الثقلين.

الآية الثانية

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ
وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [آل عمران: ٤١]

إضاءة حول الآية

نبي الله زكريا، ذُكر في القرآن المجيد في ستة من المواضع وإليكم تلك الموارد الكريمة:

المورد الأول: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ
يَمْرَأَتُ أُنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]

المورد الثاني: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]

المورد الثالث: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

المورد الرابع: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]

المورد الخامس: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ

مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]

المورد السادس: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]

فتأسيساً على ما تقدم من ذكرٍ لموارد تلك الآيات العطرة، لما كان
نبي الله زكريا قد تكفل أمرَ مريم بحفظها وحراستها ورأى الآيات
الباهرة لمريم عليها السلام من إشراق المحراب والموائد الشتوية في وقت
الصيف وفواكه الصيف في وقت الشتاء هناك سأل زكريا ربه أن يرزقه
ذريةً طيبة، وهو في سن الكبر عتيا وزوجته عاقراً قد بلغت سن اليأس،
ومفاد القصة كما هو مذكور في قصص الأنبياء أن نبي الله زكريا من
سادات رؤساء بني إسرائيل وأحبارهم وعبادهم وإليه تُسلم النذور
والهدايا إلى بيت المقدس، لذا سأل ربه لحفظ تلك الأمانات الذرية
الطيبة التي تتحمل مسؤولية حفظ تلك الأمانات من الضياع من قبل
الموالي وغيرهم، فطلب من الله أن يرزقه فجاءته البشارة بالحمل
وطلب العلامة وفي ذلك سرٌّ وحكمة وكتب التفاسير تكفلت بيان
تلك المعجزة.

وبعد ما تقدم، لنقتبس من الأضواء القدسية التي استضاء بها أولئك العلماء المفسرون

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٤)

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ ءَآيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۖ﴾ إلى آخر الآية، قال في المجمع، الرمز للإيماء بالشفقتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجب والعين واليد، والأول أغلب، انتهى، والعشي الطرف المؤخر من النهار، وكأنه مأخوذ من العشوة وهي الظلمة الطارئة في العين المانعة عن الإبصار فأخذوا ذلك وصفا للوقت لرواحه إلى الظلمة، والإبكار صدر النهار والطرف المقدم منه، والأصل في معناه الاستعجال.

ووقوع هذه الآية في ولادة يحيى من وجوه المضاهاة بينه وبين عيسى فإنها تضاهي قول عيسى لمريم بعد تولده: ﴿فَإِمَّا تَرِينِ مِنْ أَلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: [مريم- ٢٦].

وسؤاله عليه السلام من ربه أن يجعل له آية والآية هي العلامة الدالة على الشيء - هل هو ليستدل به على أن البشارة إنما هي من قبل ربه، وبعبارة أخرى هو خطاب رحماني ملكي لا شيطاني؟ أو لأنه أراد أن يستدل بها على حمل امرأته، ويعلم وقت الحمل، خلاف بين

المفسرين.

والوجه الثاني لا يخلو عن بعد من سياق الآيات وجريان القصة لكن الذي أوجب تحاشي القوم عن الذهاب إلى أول الوجهين أعني كون سؤال الآية لتمييز أن الخطاب رحماني هو ما ذكره: أن الأنبياء لعصمتهم لا بد أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان، ولا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الإفهام.

وهو كلام حق لكن يجب أن يعلم أن تعرفهم إنما هو بتعريف الله تعالى لهم لا من قبل أنفسهم واستقلال ذواتهم، وإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يتعرف زكريا من ربه أن يجعل له آية يعرف به ذلك؟ وأي محذور في ذلك؟ نعم لو لم يستجب دعاءه ولم يجعل الله له آية كان الإشكال في محله.

على أن خصوصية نفس الآية - وهي عدم التكليم ثلاثة أيام - تؤيد بل تدل على ذلك فإن الشيطان وإن أمكن أن يمس الأنبياء في أجسامهم أو بتخريب أو إفساد في ما يرجونه من نتائج أعمالهم في رواج الدين واستقبال الناس أو تضعيف أعداء الدين كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص- ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ

ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ عَائِيَّتَهُ ﴿الآية: [الحج - ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾: [الكهف - ٦٣].

لكن هذه وأمثالها من مس الشيطان وتعرضه لا تنتج إلا إيذاء النبي وأما مسه الأنبياء في نفوسهم فالأنبياء معصومون من ذلك وقد مر في ما تقدم من المباحث إثبات عصمتهم ﷺ، والذي جعله الله تعالى آية لذكرا على ما يدل عليه قوله ﴿عَائِيَّتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ هو أنه كان لا يقدر ثلاثة أيام على تكليم أحد ويعتقل لسانه إلا بذكر الله وتسبيحه، وهذه آية واقعة على نفس النبي ولسانه وتصرف خاص فيه لا يقدر عليه الشيطان لمكان العصمة فليس إلا رحمانيا، وهذه الآية كما ترى متناسبة مع الوجه الأول دون الوجه الثاني.

فإن قلت لو كان الأمر كذلك فما معنى قوله ﴿قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ الآية، فإن ظاهره أنه خاطب ربه وسأله ما سأل ثم أجيب بما أجيب فما معنى هذه المخاطبة لو كان شاكا في أمر النداء؟ ولو لم يكن شاكا عندئذ فما معنى سؤال التمييز؟.

قلت: مراتب الركون والاعتقاد مختلفة فمن الممكن أن يكون قد اطمأنت نفسه على كون النداء رحمانيا من جانب الله ثم يسأل ربه من

كيفية الولادة التي كانت تتعجب منه نفسه الشريفة كما مر فيجواب
بنداء آخر ملكي تطمئن إليه نفسه ثم يسأل ربه آية توجب اليقين بأنه
كان رحمانيا فيزيد بذلك وثوقا وطمأنينة.

ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، فإن النداء إنما
يكون من بعيد ولذلك كثر إطلاق النداء في مورد الجهر بالقول لكونه
عندنا من لوازم البعد، وليس بلازم بحسب أصل معنى الكلمة كما
يشهد به قوله تعالى في ما حكى فيه دعاء زكريا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً
خَفِيًّا﴾: [مريم- ٣] فقد أطلق عليه النداء بعناية تذلل زكريا، وتواضعه
قبال تعزز الله سبحانه وترفعه وتعالاه، ثم وصف النداء بالخفاء
فالكلام لا يخلو عن إشعار بكون زكريا لم ير الملك نفسه، وإنما سمع
صوتا يهتف به هاتف.

وقد ذكر بعض المفسرين: أن المراد من جعله تعالى عدم التكليم
آية نهيه عن تكليم الناس ثلاثة أيام، والانقطاع فيها إلى ذكر الله
وتسبيحه دون اعتقال لسانه، قال: الصواب أن زكريا أحب بمقتضى
الطبيعة البشرية أن يتعين لديه الزمن الذي ينال به تلك المنحة الإلهية
ليطمئن قلبه ويبشر أهله فسأل عن الكيفية، ولما أجيب بما أجيب به
سأل ربه أن يخصه بعبادة يتعجل بها شكره، ويكون إتمامه إياها آية
وعلامه على حصول المقصود، فأمره بأن لا يكلم الناس ثلاثة أيام بل
ينقطع إلى الذكر والتسبيح مساء صباحا مدة ثلاثة أيام فإذا احتاج إلى

خطاب الناس أو ما إليهم إيماء، على هذا تكون بشارته لأهله بعد مضي الثلاث الليال، انتهى.

وأنت خير بأنه ليس لما ذكره (من مسألته عبادة تكون شكرا للمنحة، وانتهائها إلى حصول المقصود، وكون انتهائها هو الآية، وكون قوله: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ﴾ مسوقا للنهي التشريعي وكذا إرادته بشارة أهله) في الآية عين ولا أثر.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

النعاليم

١. الله القادر على حبس اللسان عن تكليم الناس، وإطلاقه عند ذكر الله، لقادر على أن يرزق الأب الشائخ والأم العاقر مولوداً، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ... أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾.

٢. يسعى الأنبياء لبلوغ مرتبة اليقين والشهود، ﴿أَجْعَلْ لِّي ءَايَةً﴾.

٣. يجب أن نزداد ذكراً لله كلما زادت ألطافه، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾.

٤. كلما زاد ذكر الله تعالى كان ذلك أفضل، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾.

٥. للتسبيح منزلة خاصة بين كل الأذكار الإلهية، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ...

وَسَبِّحْ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ٢)

هنا يطلب زكريّا من الله إِمارة على بشارته بمجيء يحيى. إنّ إظهار دهشته - كما قلنا - وكذلك طلب علامة من الله، لا يعنينا أبداً أنّه لا يثق بوعده الله، خاصّة وأنّ ذلك الوعد قد توكّد بقوله: كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. إنّما كان يريد زكريّا أن يتحوّل إيمانه بهذا إيماناً شهودياً.

كان يريد أن يمتلئ قلبه بالاطمئنان، كما كان إبراهيم يبحث عن اطمئنان القلب والهدوء الناشئين عن الشهود الحسيّ.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

«الرمز» إشارة بالشفة، والصوت الخفي. ثمّ اتّسع المعنى في الحوار العادي، فأطلق على كلّ كلام وإشارة غير صريحة إلى أمر من الأمور. أجاب الله طلب زكريّا هذا أيضاً، وعيّن له علامة، وهي أنّ لسانه كفّ عن الكلام مدّة ثلاثة أيّام بغير أيّ نقص طبيعي، فلم يكن قادراً على المحادثة العادية.

ولكن لسانه كان ينطلق إذا ما شرع يسبّح الله ويذكره، هذه الحالة العجيبة كانت علامة على قدرة الله على كلّ شيء.

فالله القادر على فكّ لجام اللسان عند المباشرة بذكره، قادر على أن يفكّ عقم رحم امرأة فيخرج منه ولداً مؤمناً هو مظهر ذكر الله،

وهكذا تتضح العلاقة بين هذه العلامة وما كان يريده زكريّا، هذا المضمون يرد في الآيات الأولى من سورة مريم أيضا.

وفي الوقت نفسه يمكن أن تحمل هذه العلامة معنى آخر في طيّاتها، وهو أنّ إلحاح زكريّا على طلب العلامة والآية - وإن لم يكن أمرا محرّما ولا مكروها - كان من نوع «ترك الأولى».

لذلك قرّر له علامة، إضافة إلى ما فيها من بيان لقدرة الله، طافحة بالإشارة إلى تركه للأولى.

يتبادر هنا للذهن سؤال: أيتسق بكم نبيّ مع مقام النبوة وواجب الدعوة والتبليغ؟

ليس من الصعب الإجابة على هذا السؤال، إذ أنّ هذه الحالة لا تتسق مع مقام النبوة عند استمرارها مدة طويلة. أمّا حدوثها لفترة قصيرة يستطيع النبيّ خلالها اعتزال الناس والتوجّه إلى عبادة الله، فلا مانع فيه، كما أنّه خلال هذه المدة يستطيع أن يخاطب الناس بالإيماء في الأمور الضرورية، أو بتلاوة آيات الله، التي تعتبر ذكرا لله، وتبليغا للرسالة الإلهية. وهذا ما قام به فعلا، إذ كان يدعو الناس إلى ذكر الله بالإشارة.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

«العشي» تطلق عادة على أوائل ساعات الليل، كما يقال «الإبكار»

للساعات الأولى من النهار.

وقيل إنّ «العشي» هو من زوال الشمس حتى غروبها، و«الإبكار» من طلوع الفجر حتى الظهر.

والراغب الاصفهاني يقول في «المفردات»: إنّ «العشي» من زوال الشمس حتى الصباح، و«الإبكار» أوائل النهار.

وفي الآية يأمر الله ذكرياً بالتسبيح. إنّ هذا التسبيح والذكر على لسان لا ينطق موقناً دليل على قدرة الله على فتح المغلق، وكذلك هو أداء لفريضة الشكر لله الذي أنعم عليه بهذه النعمة الكبرى.

من الآيات الأولى لسورة مريم يستفاد أنّ ذكرياً لم ينفذ هذا البرنامج وحده، بل طلب من الناس إيماء أن يسبحوا الله صباح مساء شكراً على ما أنعم عليهم من موهبة ترتبط بمصير مجتمعهم ومن قائد كفوء مثل يحيى، وأضحت هذه الأيام أيام شكر وتسبيح عام.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - عليّ بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - أنّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَنَّ أَنَّ الَّذِينَ بَشَرُوهُ هُمُ الشَّيَاطِينُ وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا فخرسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.^(١)

٢ - الصادق عليه السلام - دَعَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ فَقَالَ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

(١) ج ٢، ص ٥٦٠ - بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٦٨ / القمى، ج ١، ص ١٠١.

وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبَيْحِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ وَخَافَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ أَنِّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً فَأُسْكِتَ فَعَلِمَ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. (١)

٣- الصادق عليه السلام - إِنَّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِمَا نَادَتْهُ بِهِ فَأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتَ مِنَ اللَّهِ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّ آيَةَ ذَلِكَ أَنْ يُمَسِكَ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قَالَ لَمَّا أُمْسِكَ لِسَانَهُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا. (٢)

٤- الصادق عليه السلام - لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ ذَكَرًا فَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا فَكَانَ يَوْمِي بِرَأْسِهِ وَهُوَ الرَّمْزُ. (٣)

٥- أمير المؤمنين عليه السلام - قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَأَلُوهُ عَنْ مَعْنَى الْوَحْيِ فَقَالَ مِنْهُ وَحْيُ النُّبُوَّةِ وَمِنْهُ وَحْيُ الْإِلْهَامِ وَمِنْهُ وَحْيُ الْإِشَارَةِ وَسَاقَهُ إِلَى أَنْ قَالَ وَأَمَّا وَحْيُ الْإِشَارَةِ فَقَوْلُهُ ﷺ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا أَيْ أَشَارَ

(١) ج ٢، ص ٥٦٠ - بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٨٠.

(٢) ج ٢، ص ٥٦٠ - بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٨٤ / العياشي، ج ١، ص ١٧٢ / نور الثقلين / البرهان.

(٣) ج ٢، ص ٥٦٢ - بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٨٥ / العياشي، ج ١، ص ١٧٢ / البرهان.

١٢٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

إِلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا. (١)

(١) ج ٢، ص ٥٦٢ - بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٨٠ / بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٦.

الآية الثالثة

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]

في ظلال الآية

هذه الآية الكريمة تتضمن برنامجاً للقدوة ولكل فرد يتحمل مسؤولية، بل للفرد إذا أراد أن يسلك سبيل الطاعة لله عز وجل، من خلال الاستعداد النفسي، وذلك بالتحلي بالصبر والثقة التامة بما وعد الله ﷻ بالنصر على العدو النفسي الداخلي، والعدو الخارجي، وذلك بالانشغال بالتسبيح المقرون بالحمد والثناء على الله عظمته قدرته وجلت عظمتة سبحانه، لاسيما في تلك الأوقات المحددة بالعشي والإبكار، فهذا هو طريق وبرنامج التكامل والاستعداد الروحي.

فلنتجول في بساين الآية العطرة التي تفيأ بها أولئك المعاصرون من المفسرين الكبار.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٧)

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتْلَهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٥٥-٦٠].

بيان

لما قص قصة موسى وإرساله بالحق إلى فرعون وقومه، ومجادلتهم في آيات الله بالباطل ومكرهم فيها ونصره تعالى لنبيه وإبطاله كيدهم وما آل إليه أمرهم من خيبة السعي وسوء المنقلب فرع على ذلك أمر نبيه ﷺ بالصبر منبها له أن وعد الله بالنصر حق وأن كيد قومه وجدالهم بالباطل واستكبارهم عن قبول دعوته سيبطل ويعود وبالا على أنفسهم فليسوا بمعجزتي الله وستقوم الساعة الموعودة ويدخلون جهنم داخرين.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ إلى آخر الآية. تفریع على

ما تقدم من الأمر بالاعتبار في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وما أورد بعده من قصة موسى ومآل أمر المستكبرين المجادلين بالباطل ونصره تعالى للحق وأهله.

والمعنى: إذا كان الأمر على ذلك فاصبر على إيذاء المشركين ومجادلتهم بالباطل إن وعد الله حق وسيفي لك بما وعد، والمراد بالوعد ما في قوله قبيل هذا: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية من وعد النصر.

وقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾ أمر له بالاستغفار لما يعد بالنسبة إليه ذنبا وإن لم يكن ذنبا بمعنى المخالفة للأمر المولوي لمكان عصمته ﷺ، وقد تقدم كلام في معنى الذنب والمغفرة في أواخر الجزء السادس من الكتاب.

وللذنوب المنسوب إليه ﷺ معنى آخر سنشير إليه في تفسير أول سورة الفتح إن شاء الله تعالى، وقيل: المراد بذنبه ﷺ ذنب أمته أعطي الشفاعة فيه.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ أي نزهه سبحانه مصاحبا لحمده على جميل آلائه مستمرا متواليا بتوالي الأيام أو في كل صباح ومساء، وكونه بالعشي والإبكار على المعنى الأول من قبيل الكناية. وقيل: المراد به صلاتا الصبح والعصر، والآية مدنية.

وفيه أن المسلم من الروايات ومنها أخبار المعراج أن الصلوات الخمس فرضت جميعاً بمكة قبل الهجرة فلو كان المراد به الفريضتين كان ذلك بمكة قبل فرض بقية الصلوات الخمس.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

إشارات

تُثبت الأدلة العقلية والنقلية عصمة الأنبياء ﷺ، ولذلك لأنهم لو لم يكونوا معصومين لم يكن من معنى للأمر بطاعتهم المطلقة، بل لا بد أن تكون طاعتهم مشروطة، كطاعة الوالدين فإنها مشروطة بأن لا يدعو إلى الشرك والمعصية، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى حاجتنا إلى النبي والأئمة ﷺ تتمثل بالأمن من الانحراف عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف ممكناً في حقهم فهذا يعني أن الحجة لم تتم لله ﷻ على عباده، مع أن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(١).

إذا، الرسول الذي يقول الله ﷻ إن طاعته من طاعتي ومعصيته من معصيتي لا بد أن يكون معصوماً. وعليه، ففي موارد كهذه الآية حيث تتعرض لمسألة ذنب النبي، لا بد أن يكون المراد من الذنب ترك الأولى أي ترك فعل ما هو الأفضل وليس ترك فعل ما هو واجب.

ونذكر بعض الأمثلة التي يمكن أن تبين ذلك:

(١) سورة الانعام: الآية ١٤٩.

لو أنّ إنساناً أراد أن يبسط قدمه بسبب ألم فيها في مجلس فيه بعض الشخصيات من ذوي المكانة والاحترام، فإنّه يطلب العذر من الحضور أولاً.

ولو أنّ مديعاً تلفزيونياً أُصيب بالسعال فإنّه يطلب المَعذرة من المشاهدين، ولو أنّ صاحب بيت لم يوفّر طعاماً من الصنف الأوّل لضيوفه فإنّه يطلب العذر منهم، مع علمنا بأنّ المريض في مدّه لقدمه أو المذيع الذي أُصيب السعال أو صاحب البيت الذي وفّر الطعام دون المقام لا يعدّ مذنباً، ولكنّ الإنسان عندما يكون في محضر الكبار أو عندما يكون أمام المشاهدين أو عندما يرى طعامه أقلّ شأنًا من شأن المدعوّين يطلب العذر.

فإذاً ليس كلّ طلبٍ للعذر بحالٍ عن المعصية، بل قد يكون أحياناً من باب الأدب واحترام الكبار وأصحاب الشأن.

عصمة الأنبياء واستغفارهم

إذا دخلت إلى مكانٍ وبرفتك ضوء خافت فإنّك لن ترى سوى الأشياء الكبيرة، ولكنّك إذا دخلت ذلك المكان وبرفتك نور قويّ فإنّك سوف ترى حتّى نواة التمر أو أصغر من ذلك.

فنور الإيمان إذا كان ضعيفاً فإنّه لن يرى سوى الذنوب الكبيرة، ولكن نور الإيمان إذا غمر وجود الإنسان كلّهُ، فإنّه سوف يرى حتّى الذنوب الصغار.

١٢٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

وسوف يجتنب عن تلك الذنوب. وأنبياء الله ﷺ ونظراً لما يملكونه من إيمان كامل ومن تقوى فإنهم يجتنبون حتى تلك الذنوب الصغيرة، ولذا يُطلق عليهم أنهم معصومون.

قد يكون الخطاب في بعض آيات القرآن الكريم موجّهاً للنبي ﷺ ولكن المراد به غيره.

ففي الآية ٢٣ من سورة الإسراء نقراً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾، مع أننا نعلم بأن نبي الإسلام ﷺ فقد والديه وهو صغير السن، ولا مجال لأن يُخاطب بـ (عندك الكبر)، فخطاب (عندك) هو لأمة النبي ﷺ.

وكذلك الحال في الآية التي نحن بصدد تفسيرها أي قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾، فإن المخاطب وإن كان هو النبي ﷺ، ولكن المخاطب الأساسي هم المذنبون من أمة النبي وإن عليهم الاستغفار من ذنوبهم، وإن كان المخاطب هو شخص النبي ﷺ فالمراد طلب الاستغفار لما ترتكبه أمته من ذنوب.

استغفار الأنبياء في القرآن

تعرضت العديد من الآيات لاستغفار الأنبياء، ونعرض هنا بعضاً من هذه الآيات:

- استغفار النبي آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾^(١).
- استغفار النبي موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾^(٢).
- استغفار النبي سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾^(٣).
- استغفار النبي نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾^(٤).
- استغفار النبي داود عليه السلام: ﴿وَهَذَا دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَتَّهُ فَأَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ﴾^(٥).
- استغفار النبي يونس عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦).
- استغفار النبي محمد ﷺ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدَنِّكَ﴾^(٧).

النعاليم

- ١ - بملاحظة الوعد الإلهي بنصرة الأنبياء في الآية السابقة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا...﴾ تأمر هذه الآية بالصبر ﴿فَأَصْبِرْ﴾.
- ٢ - سبب الصبر الوصول إلى الوعد الإلهي ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾^{ووصط}.

(١) [الأعراف: ٢٣].

(٢) [القصص: ١٦].

(٣) [ص: ٣٥].

(٤) [نوح: ٢٨].

(٥) [ص: ٢٤].

(٦) [الأنبياء: ٨٧].

(٧) [غافر: ٥٥].

٣- النبي ﷺ مأمور بالاستغفار أيضاً ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾.

٤- تنزيه الله عز وجل إذا كان مع حمده والثناء عليه كان أرقى وأفضل ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٥- لعنصر الزمان تأثيره على الدعاء والعبادة ﴿سَبِّح... بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

كما ورد في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١).
﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾^(٢).

٦- التسبيح والحمد إنما يكون سبباً للرقى والتربية وسبباً لتقوية التوحيد متى كان دائماً في الصباح والساء، ولم يكن آنياً مؤقتاً ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٥)

الآية الأخيرة- من المقطع الذي بين أيدينا تنطوي على وصايا وتعليمات مهمة للرسول ﷺ وهي في واقعها تعليمات عامة للجميع، بالرغم من أن المخاطب بها هو شخص الرسول الكريم ﷺ.

يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

عليك أن تصبر على عناد القوم ولجاجة الأعداء.

عليك أن تصبر حيال جهل بعض الأصدقاء والمعارف، وتحمل أحياناً أذاهم وتحاذلهم.

وعليك أيضاً أن تصبر إزاء العواطف النفسية.

إنَّ سرَّ انتصارك في جميع الأمور يقوم على أساس الصبر والاستقامة.

ثم اعلم أنَّ وعد الله بنصرك وأمتك لا يمكن التخلف عنه، وإيمانك - وإيمانهم - بحقانية الوعد الإلهي يجعلك مطمئناً ومستقيماً في عملك، فتَهون الصعاب عليك وعلى المؤمنين.

لقد أمر الله تعالى رسوله مرَّات عديدة بالصبر، والأمر بالصبر جاء مطلقاً في بعض الموارد، كما في الآية التي بصددِها، وجاء مقيداً في موارد أخرى ويختص بأمر معين، كما في الآيتين (٣٩ - ٤٠) من سورة ﴿ق﴾: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ.

وكذلك يخاطبه تعالى في الآية (٢٨) من سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۖ﴾.

إنَّ جميع انتصارات الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل إنما تمت

١٣٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

بفضل الصبر والاستقامة واليوم لا بدّ أن نسير على خطى رسول الله،
ونصبر كما صبر الرّسول وأصحابه إذ لولاه لما حالفنا النصر مقابل
أعدائنا الألداء.

الفقرة الأخرى من التعليقات الربانية تقول: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ﴾.

واضح أنّ رسول الله ﷺ معصوم لم يرتكب ذنبا ولا معصية،
لكنّا قد أشرنا في غير هذا المكان إلى أنّ أمثال هذه التعابير في القرآن
الكريم، والتي تشمل في خطابها الرّسول الأكرم وسائر الأنبياء، إنّما
تشمل ما نستطيع تسميته ب (الذنوب النسبية) لأنّ من الأعمال ما هو
عبادة وحسنة بالنسبة للناس العاديين، بينما هي ذنب للرسول والأنبياء
لأنّ: (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

فالغفلة - مثلا لا تليق بمقامهم، ولو لحظة واحدة. وكذلك الحال
بالنسبة لترك الأولى، إذ أن منزلتهم الرفيعة ومعرفتهم العالية تتوجب
أن يحذروا هذه الأمور ويستغفروا منها متى ما صدرت عنهم.

وما ذهب إليه البعض من أنّ المقصود بالذنوب هي ذنوب
المجتمع، أو ذنوب الآخرين التي ارتكبوها بشأن رسول الله ﷺ أو
أنّ الاستغفار تعبدي فهو بعيد.

الفقرة الأخيرة في الآية الكريمة تقول: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ
وَالْإِبْكَارِ.

«العشي» فترة ما بعد الظهر إلى قبل غروب الشمس، أما «الإبكار» فهو ما بين الطلوعين.

ويمكن أن تطلق لفظتا (العشي والإبكار) على الوقت المعين بالعصر والصباح، حيث يكون الإنسان مهياً للحمد وتسبيح خالقه تبارك وتعالى بسبب عدم شروعه بعد بعمله اليومي، أو أنه قد انتهى منه.

وقد اعتبر البعض أن هذا الحمد والتسبيح إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، أو الصلوات اليومية الخمس، في حين أن ظاهر الآية ينطوي على مفهوم أوسع من ذلك الصلوات هي إحدى مصاديقها.

في كلّ الأحوال تعتبر التعليمات الثلاث الآنف الذكر شاملة بناء الإنسان وإعداده للراقي في ظل اللطف والرعاية الإلهية، وهي إلى ذلك زاده في سيره للوصول نحو الأهداف الكبيرة.

فهناك أولاً- وقبل كلّ شيء- التحمّل والصبر على الشدائد والصعوبات، ثمّ تطهير النفس من آثار الذنوب. وأخيراً تكليل كلّ ذلك بذكر الله، حيث تسبيحه وحمده يعني تنزيهه من كلّ عيب ونقص، وحمده فوق كلّ حسن وكمال.

إنّ الحمد والتسبيح الذي يكون لله تعالى يؤثر في قلب الإنسان ويظهره من جميع العيوب، ومن سيئات الغفلة واللهو، ويجعله يتصف

باليقظة والكمال.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

- ١- ابن عباس (رحمة الله عليه) - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رحمة الله عليه) الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ^(١).
- ٢- الرَّسُولُ ﷺ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: يَا ابْنَ آدَمَ عَلَيْكَ إِذْ كُنْتَنِي بَعْدَ الْغَدَاةِ سَاعَةً وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ^(٢).

(١) ج ١٣، ص ٤٣٢ - بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٣٢٦.

(٢) ج ١٣، ص ٤٣٢ - بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ٩٩.

الآية الرابعة

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

تعبئة روحية

تتضمن هذه الآية الكريمة خطاباً إلى المصطفى ﷺ من الجليل
جلّ جلاله، على أن يصبر على ما يقوله المشركون من الخرافات
والدعاوى الباطلة تجاه الله ﷻ، ويعزز مكانة الصبر والاستقامة
بالتسبيح المنزه لله عما يقوله المشركون؛ لما للتسبيح من طاقة جسدية
وتعبئة روحية، سواء التسبيح اللفظي أو المراد بتسبيح الصلوات أو ما
هو أعم في تلك الأوقات، قبل طلوع الشمس أو الغروب، لما له من
هالة ونور وبداية نشاط وختم للقاء شاق مع المجتمع المشرك.

فبعد ما تقدم لنستضيء مما استضاء به أعلام المفسرين من هذه
الآية.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

خاتمة السورة يُؤمّر النبي ﷺ فيها أن يصبر على ما يقولون مما يرمونه بنحو السحر والجنون والشعر، وما يتعنتون به باستهزاء المعاد والرجوع إلى الله تعالى فيأمره ﷺ بالصبر وأن يعبدربه بتسييحه وأن يتوقع البعث بانتظار الصيحة، وأن يذكر بالقرآن من يخاف الله بالغيب.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ تفريع على جميع ما تقدم من إنكار المشركين للبعث، ومن تفصيل القول في البعث والحجة عليه، ومن وعيد المنكرين له المكذبين للنبي ﷺ وتهديدهم بمثل ما جرى على المكذبين من الأمم الماضية.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ إلخ، أمر بتنزيهه تعالى عما يقولون مصاحباً للحمد ومحصله إثبات جميل الفعل له ونفي كل نقص وشين عنه تعالى، والتسييح قبل طلوع الشمس يقبل الانطباق على صلاة الصبح، والتسييح قبل الغروب يقبل الانطباق على صلاة العصر أو عليها وعلى صلاة الظهر.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ أي ومن الليل

فسبحه فيه، ويقبل الانطباق على صلاتي المغرب والعشاء.

وقوله: ﴿وَأَذْبَرَ السُّجُودَ﴾ الأدبار جمع دبر وهو ما ينتهي إليه الشيء وبعده، وكان المراد بأدبار السجود بعد الصلوات فإن السجود آخر الركعة من الصلاة فينطبق على التعقيب بعد الصلوات، وقيل: المراد به النوافل بعد الفرائض، وقيل: المراد به الركعتان أو الركعات بعد المغرب وقيل: ركعة الوتر في آخر الليل.

بحث روائي

في الدر المنثور، أخرج الطبراني في الأوسط، وابن عساكر عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ: في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ قبل طلوع الشمس صلاة الصبح، وقبل الغروب صلاة العصر.

وفي المجمع، روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ فقال: تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له - له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

أقول: هو مأخوذ من إطلاق التسبيح في الآية وإن كان خصوص مورده صلاتي الصبح والعصر فلا منافاة.

١٣٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

وفي الكافي، بإسناده عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال:
قلت:

﴿وَأَذْبَرَ السُّجُودَ﴾ قال: ركعات بعد المغرب.: أقول: ورواه القمي
في تفسيره، بإسناده عن ابن أبي نصر عن الرضا عليه السلام ولفظه قال: أربع
ركعات بعد المغرب.

وفي الدر المنثور، أخرج مسدد في مسنده، وابن المنذر وابن مردويه
عن علي بن أبي طالب قال: سألت رسول الله ﷺ عن أدبار النجوم
والسجود- فقال: أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وأدبار
النجوم الركعتان قبل الغداة: .

أقول: وروي مثله عن ابن عباس وعمر عنه عليه السلام، وأسنده في
مجمع البيان، إلى الحسن بن علي عليه السلام أيضا عن النبي ص.
وفي تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ
وَعِيدِ﴾ قال: ذكر يا محمد ما وعدناه من العذاب.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- يدعو الإسلام إلى تسبيح الله في الفرح والحزن:
ففي الفرح يقول الله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ... فَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿١﴾.

وفي الحزن يدعو: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾.

- لقد كانت كلمات المشركين وسخافاتهم تؤذي النبي ﷺ فيضيق صدره من أقوالهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾^(٢)؛ ولذلك كان الله سبحانه يدعو إلى الصبر وتحمل هذا الأذى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

- يخبرنا الله سبحانه ببعض عقائد المشركين الدينية، ولو كانت باطلة، فيخبرنا:

- أنهم كانوا يعتقدون أن الأوثان واسطة في الفيض ولها مرتبة الشفاعة.

- أنهم كانوا يعتقدون أو على الأقل يتهمون النبي ﷺ بالسحر تارة والجنون تارة أخرى، وبالكهانة والشعر أحياناً.

ويدعو الله نبيه إزاء هذه الاتهامات الباطلة إلى الصبر والثبات، والتسلح بذكر الله وتسبيحه.

- تقترن الإشارة إلى التسبيح في القرآن بذكر الحمد، وربما كان

(١) سورة النصر: الآيات ١-٣ .

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٧ .

١٣٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

سبب ذلك أنّ الإنسان ناقص والله سبحانه منزّه عن النقص، فعندما ينزّه الإنسان ربّه عن النقص، يكمل الله نقصه، فيتوفّر داعي الحمد على نعمة الكمال.

- يدعو الله النبيّ ﷺ في القرآن إلى الصبر ثماني عشرة مرّة، وفي أربع منها يدعو إلى الصبر على أذى المشركين، وذلك في سورة طه الآية ١٣٠، وسورة ص الآية ١٧، وسورة المزمل الآية ١٠، وسورة ق الآية ٣٩.

- عن ابن عبّاس أنّ المقصود من وقت ما قبل الطلوع صلاة الفجر، وقبل الغروب صلاة الظهر والعصر، والمراد من الليل صلاتا المغرب والعشاء، ومن ﴿أَدْبَرَ السُّجُودَ﴾ صلاة النوافل^(١).

- وعن الإمام الباقر عليه السلام، أنّ المراد من ﴿أَدْبَرَ السُّجُودَ﴾ صلاة النافلة بعد فريضة المغرب^(٢).

- سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، فقال: تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله

(١) تفسير المراغي.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٧٣.

الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير^(١).

- علامات الأوقات الشرعية في الإسلام هي، علامات طبيعية بسيطة تسهل معرفتها على جميع الناس: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.

النعاليم

١ - الالتفات إلى قدرة الله من العوامل المساعدة على الصبر والثبات، في مقابل الأمور المزعجة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ... فَأَصْبِرْ...﴾.

٢ - الإرشاد والهداية، وتحمل مسؤولية تعليم الناس وتربيتهم، تحتاج إلى الصبر وطول الأناة: ﴿فَأَصْبِرْ﴾.

٣ - يتابع الأنبياء مسيرتهم في هداية الناس تحت عين العناية والتوجيه الإلهي: ﴿فَأَصْبِرْ﴾.

٤ - الصبر على الاتهام والأذى بالقول من الأمور التي تحتاج إلى طاقة وجهد؛ ولذلك يوصي الله بها أنبياءه: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٥ - ذكر الله من العوامل المساعدة على الصبر: ﴿فَأَصْبِرْ... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٦ - ينبغي أن يقترن التسبيح بالحمد، ولا يفي التسبيح دون الحمد

(١) مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٥٠.

١٤٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

بحقّ الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٧- ربوبية الله تعالى من الدوافع إلى حمده سبحانه وتنزيهه،
والتسبيح من أسباب الكمال: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٨- تسبيح الله مقدّم على حمده: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٩- بعض الأوقات أفضل من بعضها الآخر للعبادة: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَ...﴾.

١٠- يتوقّف التكامل الإنساني على تكرار العبادة ودوامها: ﴿قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ اللَّيْلِ﴾.

١١- المؤمنون بالنبی ﷺ يقضون شرطاً من الليل بالعبادة:
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾.

١٢- يدعو الله المؤمنين إلى بعض الأعمال العبادية التي تزيد على
الواجبات والفرائض: ﴿وَأَذْكُرِ السُّجُودَ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ١٧)

النفسير

خالق السموات والأرض قادر على إحياء الموات

تعقيباً على ما ورد في الآيات آنفة الذكر ودلائلها المتعددة في شأن
المعاد، تشير الآيات محلّ البحث إلى دليل آخر من دلائل إمكان المعاد

.. ثم تأمر النبي بالصبر والاستقامة والتسبيح بحمد الله ليبطل دسائس المتآمرين وما يحكي كونه ضده، فتقول الآية الأولى من هذه الآيات: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ.

«اللغوب» بمعنى «التعب» وبديهي أن من لديه قدرة محدودة وأراد أن يعمل عملاً فوق طاقته وقدرته فإنه يتعب ويناله اللغوب والنصب، إلا أن من كان ذا قدرة لا نهاية لها، وقوة لا حد لها فإن التعب والنصب واللغوب لا تعني شيئاً لديه .. فعلى هذا من كان قادراً على إيجاد السماوات والأرض وخلق الكواكب والمجرات وأفلاكها جميعاً، قادر على إعادة الإنسان بعد موته وأن يلبسه ثوباً جديداً من الحياة.

بعض المفسرين ذكر في شأن نزول الآية أن اليهود كانوا يتصورون أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام «ستة أيام من أيام الأسبوع»! ثم استراح في اليوم السابع «السبت» فوضع رجلاً على رجل أخرى!! وهكذا فإنهم يرون أن الجلوس على هذه الشاكلة غير لائق، وأنه خاص بالله، فنزلت الآية آنفة الذكر وحسمت الكلام في مثل هذه الخرافات المضحكة^(١)!

إلا أن هذا الشأن لا يمنع من أن يتابع مسألة إمكان المعاد في الوقت

(١) راجع تفسير الدر المنثور، ج ٦، ص ١١٠.

الذي هو دليل على توحيد الله وقدرته وعلمه، إذ خلق السماوات والأرض بما فيها من عجائب و(ملايين) الأحياء والأسرار المذهلة ونظمها الخاصة بحيث أن التفكير في زاوية واحدة من هذا الخلق يسوقنا إلى الخالق الذي حرّكت يد قدرته هذه الكواكب ونثرت نور الحياة في كل مكان ليكون دليلا عليه.

وقد تكرّر موضوع خلق السماوات والأرض في ستّة أيام في آيات متعدّدة من القرآن^(١).

وكلمة «يوم» يراد منها الفترة الزمنية لا بمعنى أربع وعشرين ساعة أو اثنتي عشرة ساعة، كأن نقول «كان الناس يعيشون في ظلّ النبي يوما، وسلّط عليهم بنو أميّة يوما وبنو العبّاس يوما آخر! .. إلخ».

وواضح أن كلمة «اليوم» في هذه التعبيرات وأمثالها يراد منها الفترة الزمانية سواء كانت سنّة أو شهرا أو جيلا .. أو آلاف السنين .. فنقول مثلا: كانت الكرة الأرضية قطعة متلهّبة يوما، وبردت يوما فغدت مهيبّة للحياة، فجميع هذه التعبيرات تشير إلى الفترات الزمنية.

فيستفاد من التعبيرات الواردة في الآية أنّ الله خلق جميع السماوات والأرض والموجودات الأخرى في ستّ مراحل أو ستّ فترات زمانية. «وتفصيل هذا الكلام مبين في ذيل الآية ٥٤ من سورة

(١) راجع سورة الأعراف الآية ٥٤، سورة يونس الآية ٣، سورة هود الآية ٧، سورة السجدة الآية ٤، الحديد الآية ٤، الفرقان الآية ٥٩.

الأعراف فلا بأس بمراجعتة».

إذا، لا يبقى مجال للسؤال بأنه لم يكن قبل خلق السماء والأرض ليل أو نهار فكيف خلقتهما في ستة أيام؟! وبعد ذكر دلائل المعاد المختلفة وتصوير مشاهد المعاد ويوم القيامة المتعددة فإن القرآن يخاطب النبي ويأمره بالصبر - لأن هناك طائفة لا تدعن للحق وتصّر على الباطل فيقول: فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ إذ بالصبر والاستقامة - وحدهما - يستطيع التغلب على مثل هذه المشاكل.

وحيث أن الصبر والاستقامة يحتاجان إلى دعامة ومعتمد، فخير دعامة لهما ذكر الله والارتباط بالمبدأ - مبدأ العلم القادر على إيجاد العالم - لذلك فإن القرآن يضيف تعقياً على الأمر بالصبر قائلاً: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكذلك: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾.

فهذا الذكر والتسبيح المستمر ينصبّ على صعيد قلبك كإنصباب الغيث على الأرض ليهبها الحياة ويسقيها الرواء، فالتسبيح أيضاً يلهم قلبك النشاط والاستقامة بوجه الأعداء المعاندين.

وهناك أقوال مختلفة بين المفسرين في المراد من «التسبيح» في الأوقات الأربعة «قبل طلوع الشمس وبعد الغروب ومن الليل وأدبار السجود!».

فبعضهم يعتقد أنّ المراد من هذه التعبيرات هو الصلوات الخمس اليومية .. وبعضاً من النوافل الفضلى على الترتيب والنحو التالي.

ف﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ إشارة إلى صلاة الصبح، لأنّ في آخر وقتها تطلع الشمس فينبغي أدائها قبل طلوع الشمس.

﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ إشارة إلى صلاتي الظهر والعصر لأنّ الشمس تغرب آخر وقتيهما.

أمّا قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ فيشير إلى صلاتي المغرب والعشاء وقوله: ﴿وَأَذْبَرَ السُّجُودِ﴾ ناظر إلى النوافل بعد صلاة المغرب، وقال ابن عباس بهذا التفسير - مع هذا القيد - وهو أنّ المراد من إدبار السجود هو جميع النوافل التي تؤدّى بعد الفرائض ولكن حيث أنّا نعتقد بأنّ ما يؤدّى من النوافل اليومية بعد الفرائض هما نافلة المغرب ونافلة العشاء فحسب، فلا يصحّ هذا التعميم آنفاً.

كما فسّر بعضهم قوله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ بصلاة الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ بصلاة العصر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ بصلاتي المغرب والعشاء، فلم يذكروا شيئاً عن صلاة الظهر هنا، وهذا دليل على ضعف هذا التفسير.

ونقرأ في بعض الروايات المنقولة عن الإمام الصادق أنّه حين سئل عن الآية:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ .. قال ﷺ:
«تقول حين تصبح وتمسي عشر مرّات لا إله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير»^(١).
ولا يتنافى هذا التفسير مع التفسير الأوّل ويمكن أن يجتمعا في
الآية معا.

ومّا ينبغي الالتفات إليه هو ورود نظير هذا المعنى باختلاف يسير
في الآية.

(١٣٠) من سورة طه أيضا إذ تقول الآية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ عَائِي اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَى﴾.

جملة ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ - تدلّ على أنّ لهذا التسبيح والذكر في هذه
الأوقات أثرا مهما في اطمئنان القلب ورضا الخاطر، إذ يمنح القلب
قوة وشدة بوجه الحوادث.

وهناك لطيفة تسترعي النظر وهي أنّ الآية (٤٩) من سورة الطور
تقول هكذا:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾^(٢).

(١) مجمع البيان - ذيل الآيات محلّ البحث -.

(٢) ينبغي الالتفات إلى أنّ إدبار هنا جاءت بالكسر على زنة «إقبال» أمّا في الآية محلّ البحث فجاءت

وقد ورد في حديث عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «المراد بـ ﴿أَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ ركعتا نافلة تؤدّيان بعد صلاة المغرب «ينبغي الالتفات إلى أنّ نافلة المغرب أربع ركعات وقد أشير إلى إثنين منهما هنا فحسب» وإدبار النجوم ركعتا نافلة الصبح إذ تؤدّيان عند غروب النجوم وتفرّقها وقبل صلاة الصبح»^(١).

كما ورد في رواية أخرى أنّ المراد من ﴿أَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ هو نافلة الوتر التي تؤدّى آخر الليل^(٢).

وعلى كلّ حال فإنّ التفسير الأوّل أقرب من الجميع وأكثر تناسبا وإن كان مفهوم التسبيح وسعته شاملا لكثير من التفاسير المشار إليها في الروايات آنفا.

ملاحظة

الصبر مفتاح لكّد فلاح

لم يكن تعويل القرآن واعتماده على الصبر بوجه المشاكل لأوّل مرّة هنا فحسب، فطالما أمر النبي والمؤمنون عامّة في الآيات مرارا بالصبر وأكد على هذا الموضوع كما أنّ التجارب تدلّ على أنّ النصر والغلبة

أدبار بفتح الهمزة على زنة أفكار، وهي هنا جمع دبر ومعناه العقب، فيكون المعنى في أدبار السجود أي بعد كلّ سجدة، وأمّا معنى إدبار النجوم أي عند تفرّق النجوم.

(١) مجمع البيان، ذيل الآية محلّ البحث -.

(٢) المصدر آنف الذكر.

من نصيب أولئك الذين تمتّعوا بالصبر والاستقامة.

ففي حديث عن الإمام الصادق أنّه أمر بعض أصحابه [ولعله كان لا يطيق بعض الظروف الصعبة في ذلك الزمان]: «عليك بالصبر في جميع أمورك».

ثم قال ﷺ: إنّ الله بعث محمّدا وأمره بالصبر والمداواة فصبر حتى نسبوا إليه ما لا يليق فضاق صدره فأنزل الله عليه الآية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

فصبر فكذبوه أيضا، ورشقوه بنبال التّهم من كلّ جانب فحزن وتأثر لذلك، فأنزل الله عليه تسليّة قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.

ثم يضيف الإمام ﷺ: أنّ النبي واصل صبره إلّا أنّهم تجاوزوا الحدّ فكذبوا الله فقال النبي ﷺ قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ .. أي خلقنا السماوات والأرض في عدّة فترات ولم نعجل ولم يمسنّا تعب ونصب، فعليك أن تصبر، فصبر النبي في جميع أحواله ما كان يواجهه حتى

انتصر على أعدائه»^(١).

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

١-١ - الصادق عليه السلام - يَا حَفْصُ إِنَّ مَنْ صَبَرَ صَبَرَ قَلِيلاً وَإِنْ مَنْ جَزَعَ جَزَعَ قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ ... فَالْزَمَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ الصَّبَرَ فَتَعَدَّوْا فَذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَذَّبُوهُ فَقَالَ قَدْ صَبَرْتُ فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَعَرِضِي وَلَا صَبَرَ لِي عَلَى ذِكْرِ إِلَهِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ فَصَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ.^(٢)

١-٢ - الصادق عليه السلام - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَقَالَ تَقُولُ حِينَ تُصْبِحُ وَحِينَ تُمَسِي عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) راجع اصول الكافي، طبقاً لما ورد في تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) ج ١٥، ص ٨٨ - الكافي، ج ٢، ص ٨٨ / بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٠٢ / القمي، ج ١، ص ١٩٦؛ «بتفاوت لفظي» / نور الثقلين.

قَدِيرٌ^(١).

٢-٢- ابن عباس (رحمة الله عليه) - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أَيْ وَصَلِّ
حَمْدًا لِلَّهِ تَعَالَى؛ سَمَّى الصَّلَاةَ تَسْبِيحًا لِأَنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى
التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ.^(٢)

٢-٣- الرَّسُولُ ﷺ - مَا عَجَّتِ الْأَرْضُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّوَجَلَّ
كَعَجِيجِهَا مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ يُسْفِكُ عَلَيْهَا أَوْ اغْتِسَالٍ مِنْ زَنَى أَوْ
النَّوْمِ عَلَيْهَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.^(٣)

٢-٤- أمير المؤمنين عليه السلام - اظْلُبُوا الرِّزْقَ فِيمَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَإِنَّهُ أَسْرَعُ لَطَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ
وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي يَقْسِمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِيهَا الْأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ.^(٤)

٢-٥- على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
حِينَ تَقُومُ قَالَ: لِصَلَاةِ اللَّيْلِ.^(٥)

(١) ج ١٥، ص ٩٠ - بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٣٢٨ / نور الثقلين.

(٢) ج ١٥، ص ٩٠ - بحر العرفان، ج ١٥، ص ١٢٨.

(٣) ج ١٥، ص ٩٠ - من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٠ / نور الثقلين.

(٤) ج ١٥، ص ٩٠ - تحف العقول، ص ١٠٦ / نور الثقلين.

(٥) ج ١٥، ص ٩٠ - بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ١٤٠.

الآية الخامسة

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾

[الطور: ٤٨]

العناية الربانية

تُشير هذه الآية الكريمة خطاباً من الله ﷻ إلى نبيه محمد ﷺ، على أن يتصف بالصبر الذي هو ثباتٌ للنفس وعدم اضطرابها حين الشدائد والمصائب لما يقوله المشركون في الله المنزه عن كل نقص عما يقولون من الخرافات، وتكذيب القرآن الكريم، وعما يهتمون نبي الله من شعرٍ وسحر وكذب وإرادتهم لقتله وأذيته وقتل لمن آمن بدعوته... الخ، فالله جلّ جلاله وعلى سُلطانه يُبشر نبيه ﷺ بعنايته الربانية له في جميع حالاته ففي قوله تعالى ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ فأَيُّ اتهام أو أذية، ومن كان يؤمن بأن الله معه بالطفافِ وعطفه ورحمته وتأييده فهو أشجع الناس قلباً ويداً وموقفاً، لذا في جميع ما تُلاقيه وتتحرك وفي جميع حالاتك كُن مسبحاً لله ومُنزهاً له سبحانه لنيل حفظه وكرم عنايته

الربانية.

بعد استيضاح قطرة من إرشادات الله جلّ وعلا لنيل عنايته
الربانية، إليكم ما استضاء به العلماء المفسرون من هذه الآية الجليلة.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ٢٠)

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٤٥ إلى ٤٩]

﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ٤٥ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤٦ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٧ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ٤٨ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾ ٤٩ ﴿

بيان

الآيات تحتّم السورة وتأمّر النبي ﷺ أن يترك أولئك المكذّبين
وشأنهم ولا يتعرض لحالهم، وأن يصبر لحكم ربه ويسبح بحمده، وفي
خلالها مع ذلك تكرار إيعادهم بما أوعدهم به في أول السورة من
عذاب واقع ليس له من دافع، وتضيف إليه الإيعاد بعذاب آخر دون
ذلك للذين ظلموا.

قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ذرهم
أمر بمعنى اتركهم وهو فعل لم يستعمل من تصريفاته إلا المستقبل
والأمر، و﴿يُصْعَقُونَ﴾ من الإصعاق بمعنى الإماتة وقيل: من الصعق

بمعنى الإماتة.

لما أُنذر سبحانه المكذبين لدعوته بعذاب واقع لا ريب فيه ثم رد جميع ما تعلل به أو يفرض أن يتعلل به أولئك المكذبون، وذكر أنهم في الإصرار على الباطل بحيث لو عاينوا أوضح آية للحق أولوه وردوه، أمر نبيه ﷺ أن يتركهم وشأنهم، وهو تهديد كنائي بشمول العذاب لهم وحالهم هذه الحال.

والمراد باليوم الذي فيه يصعقون يوم نفخ الصور الذي يصعق فيه من في السماوات والأرض وهو من أشراط الساعة قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: [الزمر: ٦٨].

ويؤيد هذا المعنى قوله في الآية التالية: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ فإن انتفاء إغناء الكيد والنصر من خواص يوم القيامة الذي يسقط فيه عامة الأسباب والأمر يومئذ لله.

واستشكل بأنه لا يصعق يوم النفخ إلا من كان حيا وهؤلاء ليسوا بأحياء يومئذ والجواب أنه يصعق فيه جميع من في الدنيا من الأحياء ومن في البرزخ من الأموات وهؤلاء إن لم يكونوا في الدنيا ففي البرزخ.

على أنه يمكن أن يكون ضمير ﴿يُصْعَقُونَ﴾ راجعا إلى الأحياء يومئذ، والتهديد إنما هو بالعذاب الواقع في هذا اليوم لا بالصعقة التي فيه.

وقيل: المراد به يوم بدر وهو بعيد، وقيل: المراد به يوم الموت، وفيه أنه لا يلائم السياق الظاهر في التهديد بما وقع في أول السورة وهو عذاب يوم القيامة لا عذاب يوم الموت.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يبعد أن يكون المراد به عذاب القبر، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مشعر بأن فيهم من يعلم ذلك لكنه يصر على كفره وتكذيبه عنادا وقيل: المراد به يوم بدر لكن ذيل الآية لا يلائمه تلك الملاءمة.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ عطف على قوله: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ وظاهر السياق أن المراد بالحكم حكمه تعالى في المكذبين بالإمهال والإملاء والطبع على قلوبهم، وفي النبي ﷺ أن يدعو إلى الحق بما فيه من الأذى في جنب الله فالمراد بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ إنك بمرأى منا نراك بحيث لا يخفى علينا شيء من حالك ولا نغفل عنك ففي تعليل الصبر بهذه الجملة تأكيد للأمر بالصبر وتشديد للخطاب.

وقيل: المراد بقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ إنك في حفظنا وحراستنا فالعين مجاز عن الحفظ، ولعل المعنى المتقدم أنسب للسياق.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾ الباء في ﴿بِحَمْدِ﴾ للمصاحبة أي سبح ربك ونزهه حال كونه

مقارنا لحمده.

والمراد بقوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ قيل هو القيام من النوم، وقيل: هو القيام من القائلة، فهو صلاة الظهر، وقيل: هو القيام من المجلس، وقيل: هو كل قيام، وقيل: هو القيام إلى الفريضة وقيل: هو القيام إلى كل صلاة، وقيل: هو الركعتان قبل فريضة الصبح سبعة أقوال كما ذكره الطبرسي.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي من الليل فسبح ربك فيه، والمراد به صلاة الليل، وقيل: المراد صلاتا المغرب والعشاء الآخرة.

وقوله: ﴿وَإِذْ بَرَ الْتُجُومِ﴾ قيل: المراد به وقت إدبار النجوم وهو اختفاؤها بضوء الصبح، وهو الركعتان قبل فريضة الصبح، وقيل: المراد فريضة الصبح، وقيل: المراد تسبيحه تعالى صباحا ومساء من غير غفلة عن ذكره.

بحث روائي

في تفسير القمي: في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: لصلاة الليل ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ قال: صلاة الليل. أقول: وروي هذا المعنى في مجمع البيان، عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام.

وفيه، بإسناده عن الرضا عليه السلام قال: أدبار السجود أربع ركعات

بعد المغرب وإدبار النجوم ركعتان قبل صلاة الصبح.: أقول: وروي
ذيله في المجمع، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، والقمي، بإسناده
عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام.

وقد ورد من طرق أهل السنة في عدة من الروايات: أن
النبي ﷺ كان إذا قام من مجلسه - سبّح الله وحمده - ويقول: إنه كفارة
المجلس لكنها غير ظاهرة في كونها تفسيراً للآية.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

إشارات

افتتحت هذه السورة بالقسم بمحلّ المناجاة وهو الطور، وختمت
بالدعوة إلى المناجاة والتسبيح في الليل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾.

رغم أن أعمال العباد جميعاً في عين الله وتحت رقابته الدائمة، إلا أنه
سبحانه يولي عناية واهتماماً خاصاً بأوليائه وعباده الصالحين، حيث
يقول سبحانه للنبي نوح عليه السلام: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، ويقول للنبي
محمد ﷺ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

التسبيح أهم من الحمد، ولذلك تكرّرت الدعوة إلى التسبيح
مرتين، بخلاف الأمر بالحمد فقد ذكر مرة واحدة.

"إدبار النجوم" هو وقت الفجر عندما تغيب النجوم قبيل طلوع الشمس. ويرى المفسرون أن المراد من التسبيح في الآية هو صلاة الليل ووقتها في السحر. وورد في الحديث في تفسير تعبير "إدبار النجوم": "ركعتان قبل الصبح".^(١)

النعاليم

- ١ - على الداعي إلى الله أن يتحلّى بالصبر والثبات في مواجهة المعاندين، فالدعوة إلى الله والحق ليست سياحة أو متعة بل هي عمل مضمّن يحتاج إلى صبر وطول أناة: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٢ - الإصرار على الموقف يجب أن يكون صبراً لحكم الله، وإلا يكون عناداً: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٣ - الأحكام الإلهية تصبّ في النهاية في خدمة تربية الإنسان ورعاية الله له: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - لا يستغني النبي عن الحماية والرعاية الإلهية: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط﴾.
- ٥ - الالتفات إلى العناية الإلهية يحرض الإنسان على الصبر والثبات: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط﴾.
- ٦ - ذكر الله وتسبيحه من الأمور المعينة على الصبر والثبات: ﴿وَأَصْبِرْ

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٤٤.

... وَسَبِّحْ ﴿٤٨﴾.

٧- تسبيح الله مقدّم على حمده، فعلينا أن ننزه الله أولاً ثم نحمده ونشني عليه ثانياً.

٨- مناجاة الله في الليل، تعين الإنسان على أعمال النهار وأعبائه: ﴿وَأَصْبِرْ ... وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾.

٩- للدعاء والمناجاة أوقات تمتاز خاصّة، يترتب على المناجاة فيها آثار ربّية لا تترتب في غيرها:

﴿حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ ... وَإِذْبَرِ النُّجُومَ﴾.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ١٧)

الآيات [سورة الطور (٥٢): الآيات ٤٤ الى ٤٩]

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

التفسير

إنك باعينا!

تعقبا على البحث الوارد في الآيات المتقدمة الذي يناقش المشركين والمنكرين المعاندين، هذا البحث الذي يكشف الحقيقة ساطعة لكل إنساني طلب الحق، تميّط الآيات محلّ البحث النقاب عن تعصّبهم وعنادهم فتقول: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾.

هؤلاء المشركون معاندون إلى درجة إنكارهم الحقائق الحسيّة وتفسيرهم الحجارة الساقطة من السماء بالسحاب، مع أنّ كلّ من رأى السحاب حين ينزل ويقترب من الأرض لم يجده سوى بخار لطيف، فكيف يتراكم هذا البخار اللطيف ويتبدّل حجرا؟!؟

وهكذا يتّضح حال هؤلاء الأشخاص إزاء الحقائق المعنوية! أجل إنّ ظلمة الإثم وعبادة الهوى والعناد كلّ ذلك يحجب أفق الفكر السليم فيجعله متجهّما حتّى تنجرّ عاقبة أمره إلى إنكار المحسوسات وبذلك ينعدم الأمل في هدايته.

و«المركوم» معناه المتراكم، أي ما يكون بعضه فوق بعض! لذلك فإنّ الآية التالية تضيف بالقول: ﴿فَذَرُهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

١٦٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

وكلمة ﴿يُصْعَقُونَ﴾ مأخوذة من صعق، والإصعاق هو الإهلاك، وأصله مشتق من الصاعقة، وحين أن الصاعقة تهلك من تقع عليه فإن هذه الكلمة استعملت بمعنى الإهلاك أيضا.

وقال بعض المفسرين أن هذه الجملة تعني الموت العام والشامل الذي يقع آخر هذه الدنيا مقدمة للقيامة.

إلا أن هذا التفسير يبدو بعيدا، لأنهم لا يقون إلى ذلك الزمان بل الظاهر هو المعنى الأول، أي دعهم إلى يوم موتهم الذي يكون بداية لمجازاتهم والعقاب الاخروي! ويتبين مما قلنا أن جملة ﴿ذَرَهُمْ﴾ أمر يفيد التهديد، والمراد منه أن الإصرار على تبليغ مثل هؤلاء الأفراد لا يجدي نفعا إذ لا يهتدون.

فبناء على ذلك لا ينافي هذا الحكم إدامة التبليغ على المستوى العام من قبل النبي ﷺ ولا ينافي الأمر بالجهاد.

فما يقوله بعض المفسرين أن هذه الآية نسخت آيات الجهاد غير مقبول! ثم يبين القرآن في الآية التالية هذا اليوم فيقول: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

أجل: من يمت تقم قيامته الصغرى «من مات قامت قيامته».

وموته بداية للثواب أو العقاب الذي يكون قسم منه في البرزخ والقسم الآخر في القيامة الكبرى، أي القيامة العامة، وفي هاتين

المرحلتين لا تنفع ذريعة متذرّع ولا يجد الإنسان ولياً من دون الله ولا نصيراً.

ثم تضيف الآية أنه لا ينبغي لهؤلاء أن يتصوّروا أنّهم سيواجهون العذاب في البرزخ وفي القيامة فحسب، بل لهم عذاب في هذه الدنيا أيضاً: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أجل، إنّ على الظالمين أن ينتظروا في هذه الدنيا عذاباً كعذاب الأمم السابقة كالصاعقة والزلازل والكسف من السماء والقحط أو القتل على أيدي جيش التوحيد كما كان ذلك في معركة بدر وما ابتلي به قادة المشركين فيها إلا أنّ يتقّطوا ويتوبوا ويعودوا إلى الله آيين منيين. وبالطبع فإنّ جماعة منهم ابتلوا بالقحط والمحل، ومنهم من قتل في معركة بدر كما ذكرنا آنفاً - إلا أنّ طائفة كبيرة تابوا وأنبأوا والتحقوا بصفوف المسلمين الصادقين فشمّلتهم الله بعفوه. ^(١)

وجملة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون تشير إلى أنّ أغلب أولئك الذين ينتظرهم العذاب في الدنيا والآخرة هم جهلة، ومفهومها أنّ القليل منهم يعرف هذا المعنى، إلا أنّه في الوقت ذاته يصرّ على المخالفة لما فيه من اللجاجة والعناد عن الحقّ.

وفي الآية التالية يخاطب القرآن نبيّه ويدعوه إلى الصبر أمام هذه

(١) من قال بأنّ جملة فيه يصعقون تشير إلى يوم القيامة فسّر العذاب «في الآية» محلّ البحث بعذاب البرزخ في القبر، إلا أنّه حيث كان تفسيرها ضعيفاً فهذا الاحتمال ضعيف أيضاً.

التَّهْمِ والمثبَّطات وأن يستقيم فيقول: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾^(١).

فإذا ما اتَّهموك بأنك شاعر أو كاهن أو مجنون فاصبر، وإذا زعموا بأن القرآن مفترى فاصبر، وإذا أصرّوا على عنادهم وواصلوا رفضهم لدعوتك برغم كلّ هذه البراهين المنطقية فاصبر، ولا تضعف همّتك ويفتر عزمك: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾!

نحن نرى كلّ شيء ونعلم بكلّ شيء ولن ندعك وحدك.

وجملة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ تعبير لطيف جدّا حاك عن علم الله وكذلك كون النبي مشمولاً بحماية الله الكاملة ولطفه! أجل، إنّ الإنسان حين يحسب أنّ قادراً كبيراً ينظره ويرى جميع سعيه وعمله ويحميه من أعدائه فإنّ إدراك هذا الموضوع يمنحه الطاقة والقوّة أكثر كما يحسّ بالمسؤولية بصورة أوسع.

وحيث أنّ الحاجة لله وعبادته وتسييحه وتقديسه وتنزيهه والالتجاء إلى ذاته المقدّسة كلّ هذه الأمور تمنح الإنسان الدّعة والاطمئنان والقوّة، فإنّ القرآن يعقّب على الأمر بالصبر بالقول: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

(١) قد يكون المراد من «حكم ربّك» هو تبليغ حكم الله الذي امر النبي به، فعليه أن يصبر عند إبلاغه، أو أنّه عذاب الله الذي وعد أعداؤه به أي: اصبر يا رسول الله حتّى يعذبهم الله، أو المراد منه أوامر أي بما إنّ الله أمرك فاصبر لحكمه، والجمع بين هذه المعاني وإن كان ممكناً إلّا أنّ التفسير الأوّل يبدو أقرب خاصّة بملاحظة فإنّك بأعيننا.

سَبَّحْه حين تقوم سحرا للعبادة وصلاة الليل.... وحين تنهض
من نومك لأداء الصلاة الواجبة.... وحين تقوم من أي مجلس ومحفل،
فسبِّحه واحمده.

وللمفسرين أقوال مختلفة في تفسير هذه الآية، إلا أن الجمع بين
هذه الأقوال ممكن أيضا، سواء كان الحمد التسبيح سحرا، أو عند
صلاة الفريضة، أو عند القيام من أي مجلس كان.

أجل، نور روحك وقلبك بتسبيح الله وحمده فإنَّهما يمنحان
الصفاء .. وعطر لسانك بذكر الله .. واستمد منه المدد واستعدَّ
لمواجهة أعدائك!.

وقد جاء في روايات متعددة أنَّ النبي ﷺ حين كان يقوم من
مجلسه كان يسبِّح الله ويحمده ويقول: «إنَّه كفَّارة المجلس»^(١).

ومن ضمن ما كان يقول بعد قيامه من مجلس كما جاء في بعض
الأحاديث عنه: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك!».

وسأل بعضهم رسول الله ﷺ عن هذه الكلمات فقال: «هنَّ
كلمات علمنيهنَّ جبرئيل كفَّارات لما يكون في المجلس»^(٢).

(١) تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٤.

(٢) الدرّ المشور، ج ٦، ص ١٢٠.

ثم يضيف القرآن في آخر آية من الآيات محلّ البحث قائلاً: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾.

وقد فسّر كثير من المفسّرين جملة {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} بصلاة الليل، وأمّا إدبار النجوم فقالوا هي إشارة إلى «نافلة الصبح» التي تؤدّى عند طلوع الفجر واختفاء النجوم بنور الصبح كما ورد في حديث عن عليّ عليه السلام أنّ المراد من ﴿إِدْبَرَ الْجُومِ﴾ هو «ركعتان قبل الفجر».

نافلة الصبح اللتان تؤدّيان قبل صلاة الصبح وعند غروب النجوم، أمّا ﴿أَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ الوارد ذكرها في الآية ٤٠ من سورة ﴿ق﴾ فإشارة إلى «ركعتان بعد المغرب» «و بالطبع فإنّ نافلة المغرب أربع ركع إلا أنّ هذا الحديث أشار إلى ركعتين منها فحسب»^(١).

وعلى كلّ حال، فإنّ العبادة والتسييح وحمد الله في جوف الليل وعند طلوع الفجر لها صفائوها ولطفها الخاص، وهي في منأى عن الرياء، ويكون الاستعداد الروحي لها أكثر في ذلك الوقت، لأنّ الإنسان يكون فيه بعيداً عن أمور الدنيا ومشاكلها، والاستراحة في الليل تمنح الإنسان الدّعة، فلا صخب ولا ضجيج، وفي الحقيقة هذه الفترة تقترن بالوقت الذي عرج بالنبي إلى السماء، فبلغ قاب قوسين

(١) مجمع البيان ذيل الآية (٤٠)، سورة ق، ج ٩، ص ١٥٠.

أو أدنى يناجي ربّه ويدعوه في الخلوة! ولذلك فقد عوّلت الآيات محلّ البحث على هذين الوقتين، ونقرأ حديثاً عن النبي ﷺ يقول فيه: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها^(١).

اللَّهُمَّ وفقنا للقيام في السحر ومناجاتك طوال عمرنا. اللَّهُمَّ اجعل قلوبنا بعشقتك مطمئنة ونورها بمحبتك وأملها بلطفك.

اللَّهُمَّ منّ علينا بالصبر والاستقامة بوجه قوى الشياطين ومؤامرات أعدائك وكيدهم لتتأسى برسولك فنعيش على هديه ونموت على سنته. آمين يا رب العالمين انتهاء سورة الطور.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

[سورة الطور (٥٢): آية ٤٨]

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا^ط وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾

١- على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - قوله فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا أي بِحِفْظِنَا وَحِرْزِنَا وَنِعْمَتِنَا^(٢).

٢- الصادق عليه السلام - عَنْ عَطِيَّةِ بْنِ نَجِيجٍ بْنِ مُطَهَّرٍ رَازِيٍّ وَإِسْحَاقِ بْنِ عَمَّارٍ: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعَفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ (رحمة الله عليه) حِينَ حُمِلَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ يُعَزِّيهِ عَمَّا صَارَ إِلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ

(١) تفسير القرطبي ج ٩ ص ٦٢٥١ ذيل الآيات محلّ البحث.

(٢) ج ١٥، ص ٢١٤ - بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٣٩ / القمى، ج ٢، ص ٣٣٢ / البرهان.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِلَى الْخَلْفِ الصَّالِحِ وَالذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ وَلَدِ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ أَمَّا بَعْدُ فَلَيْتَنِي كُنْتُ قَدْ تَفَرَّدْتُ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ بِمَنْ حُمِلَ مَعَكَ بِمَا أَصَابَكُمْ فَمَا انْفَرَدْتُ بِالْحُزْنِ وَالْغَيْظِ وَالْكَآبَةِ وَالْإِلِيمِ وَجَعِ الْقَلْبِ دُونِي فَلَقَدْ نَالَني مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْجَزَعِ وَالْقَلَقِ وَحَرِّ الْمُصِيبَةِ مِثْلُ مَا نَالَكَ وَلَكِنْ رَجَعْتُ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ بِهِ الْمُتَّقِينَ مِنَ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْعَزَاءِ حِينَ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا. (١)

١ - الصادق عليه السلام وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ قَالَ أَمَرُهُ أَنْ يُصَلِّيَ بِاللَّيْلِ. (٢)

٢ - علي بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ قَالَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ. (٣)

٣ - ابن عباس (رحمة الله عليه) - وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ... قِيلَ الرَّكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ. (٤)

(١) ج ١٥، ص ٢١٤ - مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٤١٥ / بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٢٩٨ / بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ١٤٥ / إقبال الأعمال، ص ٥٧٨.

(٢) ج ١٥، ص ٢١٤ - بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ١٥٩ / دعايم الإسلام، ج ١، ص ٢١٠.

(٣) ج ١٥، ص ٢١٤ - بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٣٩ / بحار الأنوار ج: ٨٤، ص ١٤٠ / القمى، ج ٢، ص ٣٣٢ / البرهان / نور الثقلين.

(٤) ج ١٥، ص ٢١٤ - بحر العرفان، ج ١٥، ص ١٧١.

الآية السادسة

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]

النعم الإلهية

هذه الآية الكريمة وردت مُتكررةً في القرآن الكريم ثلاث مرات، ففي سورة الواقعة ذُكرت مرتين (الآية ٧٤ و الآية ٩٦) وفي سورة الحاقة ذُكرت مرةً واحدة (الآية ٥٢)، فنجد أن الآيات تتضمن ارتباطين وثيقين، فالأول من الآية الأولى في سورة الواقعة ارتباط لما تقدمها من آيات في تعدادٍ للنعم الإلهية المتعددة، من نعمةٍ للوجود من العدم وأصلٌ للخلقة لهذا الإنسان ولأطوار تطوراتهِ في نشأته من الخالق العظيم ربنا ورب الناس أجمعين، وكما من نعمٍ ماديةٍ ومعنويةٍ متعددةٍ منها: نعمة الماء والغذاء والهواء والمأوى... إلخ، وكذلك النعم المعنوية الكثيرة والمتمثلة في نعمة الهداية قوله تعالى في سورة طه آية ٥٠: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ فالعقل والحواس الخمس نعمٍ معنوية، فالخطاب الموجه إلى النبي الأعظم

صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وكذلك خطاباً عاماً لكافة المخلوقات والذي منهم البشر، أن ينزه الخالق المصور عن الشرك في ذاته وأسمائه وصفاته وعن كل ما لا يليق بساحة قدسه، هذا ويتمثل في الربوبية (سبح باسم ربك)، بينما الارتباط الثاني للآيتين هو: إنكار المشركين البعث والنشور وعالم الآخرة فالآيات تُبين لما لله من قدرة على إحياء للموتى، ومجازاتهم لأعمالهم الصالحة، ومعاقبة للمجرمين على أعمالهم الطالحة، لهذا جاء خطاب التسييح باسم الصفتين، صفة الرب والعظيم.

ومسك الختام لهاتين الصفتين نذكر ما أفاده العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي:

الرب: هو في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل.

وقيل: هو نعت ربّه يرّبّه فهو ربّ، ثم سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربّيه، ولا يطلق على غير الله تعالى إلا مقيداً، كقولنا: ربّ الضيعة، ومنه: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف آية ٥٠].

واختلف في اشتقاقه على أربعة أوجه:

أ: أنه مشتق من المالك، كما يقال: ربّ الدار، أي: مالكها، قال بعضهم: لئن يرّبني رجل من قریش أحب إلي من أن يرّبني رجل من

هوازن، أي: يملكني.

ب: أنه مشتق من السيد، ومنه: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ وَخَمْرًا﴾ يوسف آية ٤١. أي: سيده.

ج: أنه المدبر، ومنه قوله: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ [يوسف ٤٤]. وهم: العلماء، سموا بذلك لقيامهم بتدبير الناس وتعليمهم، ومنه: ربّة البيت، لأنها تدبره.

د: أنه مشتق من التربية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبِّبُكُمُ﴾ [النساء آية ٢٣]. سمي ولد الزوجة ربيبة لتربية الزوج له. فعلى هذا إن قيل: بأنه تعالى ربّ سيّد مالك، فذلك من صفات ذاته، وإن قيل: لأنه مدبر لخلقه أو مربّيهم، فذلك من صفات أفعاله^(١).

العظيم: قال الشهيد: هو الذي لا تحيط بكنهه العقول^(٢).

وقال البادرائي: هو ذو العظمة والجلال، أي: عظيم الشأن جليل القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام.

وقيل: إنه تعالى سمي العظيم، لأنه الخالق للخلق العظيم، كما أن معنى اللطيف هو الخالق للخلق اللطيف^(٣).

(١) الكفعمي، الشيخ تقي الدين، المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، ص ٩٧-٩٨.

(٢) القواعد والفوائد ٢: ١٦٨.

(٣) الكفعمي، الشيخ تقي الدين، المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، ص ٦٣-٦٤.

فبعد ما تقدم من حديث يسير حول النعم الإلهية والصفتين العظيمتين الواردتين في الآية الكريمة، إليكم تفسير الآية من قبل أعلام مذهبنا من المفسرين

أولاً : وفقاً لتفسير الميزان

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ خطاب للنبي ص. لما ذكر سبحانه شواهد ربوبيته لهم وأنه الذي يخلقهم ويدبر أمرهم ومن تدبيره أنه سيبعثهم ويجزيهم بأعمالهم وهم مكذبون بذلك أعرض عن خطابهم والتفت إلى خطاب النبي ﷺ إشعاراً بأنهم لا يفقهون القول فأمر النبي ﷺ أن ينزله تعالى عن إشراكهم به وإنكارهم البعث والجزاء.

فقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ﴾ إلخ، الفاء لتفريع التسبيح على ما تقدم من البيان، والباء للاستعانة أو الملابس، والمعنى: فإذا كان كذلك فسبح مستعينا بذكر اسم ربك، أو المراد بالاسم الذكر لأن إطلاق اسم الشيء ذكر له كما قيل أو الباء للتعدية لأن تنزيه اسم الشيء تنزيه له، والمعنى: نزه اسم ربك من أن تذكر له شريكاً أو تنفي عنه البعث والجزاء، والعظيم صفة الرب أو الاسم.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ

الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسْيًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾.

إشارات

- ﴿تُورُونَ﴾ من الوري وهو إظهار الخفي، والمراد من التعبير في هذه الآية الإشارة إلى استعمال العرب بعض أنواع الأشجار بحكّها بعضها ببعض واستعمالها لإشعال النار، وبعبارة أخرى، كأنه سبحانه يقول: أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب أنتم أنشأتم شجرتها، يعني التي يكون منها الزناد وهي المرخ والعفار.

- «المقوين» من القواية أي الصحراء والبرية، والمقوي هو المسافر في الصحراء.

- أشارت الآية ٤٧ إلى الشكّ في المعاد والرجوع إلى الحياة بعد الموت، وفي هذه الآيات يحدث الله الناس، ويشير إلى أدلة معرفته أكثر من عشرين مرة ليرفع أيّ شكّ وتردد.

- يحدثنا الله سبحانه في هذه الآيات عن العناصر الأربعة، وهي: التراب، والماء، والهواء، والنار، وهي جميعاً تحت سلطته، وقدرته، وخاضعة لمشيئته.

- يسأل الله سبحانه الناس أربع مرّاتٍ عن خلقهم، وعن الماء

١٧٢ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

الذي ينزل إليهم من الغيم، وعن نموّ النبات، وعن النار التي يصطلون بها؟ ليتنزع منهم الإقرار له بالربوبية والخلق.

- الحاجة إلى النار في الصحراء، أوضح من الحاجة إليها في محلّ السكن، فالمسافر يحتاج إلى النار للتدفئة، وللاستئناس بها في الظلام، والأمن بها من الحيوانات المفترسة.

النعاليم

١ - الله الذي يخرج النار من الشجر الرطب، هو القادر على إعادة الحياة إلى الأجساد الميتة: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾.

٢ - خروج النار من الشجر الأخضر، يذكر بالآخرة من جهتين، إحداها جهة خروج النار الكامنة في الخشب، وهذا يلفت إلى إمكان عودة الأجساد الميتة إلى الحياة، والثانية أن نار الدنيا تذكر بنار الآخرة: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَهَا تَذْكِرَةً﴾.

٣ - يدعو الله النبي ﷺ إلى تسبيح الله وتنزيهه: بغضّ النظر عن إيمان الناس واتّعاظهم بهذه المواعظ المنبّهات أو عدم اتّعاظهم: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال (ج ١٧)

بعد ذكر النعم الثلاث (الحبوب الغذائية، والماء، والنار) والتي روعي ترتيب أهميّتها وفق تسلسل طبيعي - لأنّ اهتمام الإنسان يبدأ

أولاً بالحبوب الغذائية ثم يمزجها بالماء ومن ثم يطهوها ويهيئها للغذاء بواسطة النار- يستنتج سبحانه نتيجة مهمة بعد ما ركز على أهمية هذه النعم للإنسان وذلك بتسبيحه والشكر له تعالى باعتباره المصدر الوحيد لهذه النعم .. فيقول سبحانه في آخر آية مورد البحث: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(١).

نعم، إن الله الذي خلق كل هذه النعم، والتي كل منها تذكرنا بقدرته وتوحيده وعظمته ومعاده، لائق للتسبيح والتزويه من كل عيب ونقص.

إنه رب، وكذلك فإنه ﴿عَظِيمٌ﴾ وقادر ومقتدر، وبالرغم من أن المخاطب في هذه الآية هو الرسول الأعظم ﷺ إلا أن من الواضح أن جميع البشر هم المقصودون.

نعقيب

من المناسب هنا الإشارة إلى بعض الأحاديث الشريفة- حول الآيات أعلاه- عن الرسول الأعظم ﷺ وكذلك عن الإمام علي عليه السلام.

أولاً: نقرأ في تفسير روح المعاني حديثاً للإمام علي عليه السلام أنه في إحدى الليالي كان الإمام يصلي ويقرأ سورة الواقعة- ولما وصل إلى

(١) الباء في (باسم ربك) يمكن أن تكون للتعدي (حيث إن الفعل المتعدي سبَّح يؤخذ بمنزلة اللازم) واحتمل البعض أيضاً أن الباء هنا جاءت للاستعانة أو زائده أو ملابسة، إلا أن المعنى الأول هو الأنسب.

الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ قال ثلاث مرّات: بعد انتهاء صلاته «بل أنت يا رب» وعند ما وصل إلى الآية: ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ قال ثلاث مرّات «بل أنت يا رب» وعند ما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ءَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ قال ثلاث مرّات أيضا «بل أنت يا رب» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ءَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ قل ثلاث مرّات «بل أنت يا رب». (١)

وموضع العبرة في هذا الحديث هي ضرورة ملاحظة هذه الآيات التي وردت في القرآن الكريم بعنوان استفهام تقريرى وأن يعطى الإنسان جوابا إيجابيا لله سبحانه الذي يتحدّث معه لتركيز هذه الحقائق في روحه ونفسه، وعليه أن يتعمّق في ذلك من خلال القراءة المتدبّرة الواعية، ولا يقتنع بالتلاوة الفارغة.

ثانيا: جاء في حديث رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا تمنعوا عباد الله فضل ماء ولا كلاً ولا نار فإنّ الله تعالى جعلها متاعاً للمقوين، وقوّة للمستضعفين» (٢).

ثالثا: ونقرأ في حديث آخر أنّ الرّسول ﷺ قال حينما نزلت الآية

(١) تفسير روح المعاني، ج ٢٧، ص ١٣٠.

(٢) الدرّ المشثور، ج ٦، ص ١٦١.

الكريمة:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: «اجعلوها في ركوعكم»^(١). أي قولوا في ركوعكم: سبحان ربّي العظيم وبحمده.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - الرسول ﷺ - لما أنزل الله تبارك وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال النبي ﷺ اجعلوها في ركوعكم^(٢).

٢ - أمير المؤمنين عليه السلام - يا رسول الله ﷺ ما أقول في السجود في الصلاة فنزل سبّح اسم ربك الأعلى قال فما أقول في الركوع فنزل فسبح باسم ربك العظيم فكان أول من قال ذلك وأنه صلى قبل الناس كلهم سبع سنين وأشهُراً مع النبي ﷺ وصلى مع المسلمين أربع عشرة سنة وبعد النبي ثلاثين سنة^(٣).

٣ - أمير المؤمنين عليه السلام - روي عن جويرية بن مُسهر في خبر رد الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام بابل أنه قال فالتفت إلي وقال يا

(١) ذكر هذا الحديث المرحوم الطبرسي في مجمع البيان بكونه حديثاً صحيحاً، ج ٩، ص ٢٢٤، وجاء أيضاً في كتاب (من لا يحضره الفقيه) مطابقاً لنقل نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٢٥، وكذلك في تفسير الدر المنثور، ج ٦، ص ١٦٨.

(٢) ج ١٥، ص ٥١٢ - من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣١٥ / نور الثقلين / تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٣١٣ / بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٠٥ / عوالي اللآلي، ج ٢، ص ٣٥ / مستدرک الوسائل، ج ١٦، ص ٤٣٧.

(٣) ج ١٥، ص ٥١٢ - بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٢٠٣.

١٧٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ مُسْهِرٍ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ وَإِنِّي
سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ فَرَدَّ عَلَيَّ الشَّمْسَ (١).

(١) ج ١٥، ص ٥١٢ - من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٣ / بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٤٣٩ / من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣١٥ / نور الثقلين.

الآية السابعة

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨]

التسبيح والسجود

إنَّ للتسبيح أثراً كبيراً على نفسية المُسَبِّح، وفعال سريع في تهدئة النفس من الانفعالات مما يواجهه من المجتمع الجاهلي على أنَّ ضيق صدر النبي الأعظم صل الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، مما يسمع من تكذيب وجعل إلهاً مع الله المنزّه عن الشرك والنقص ﷺ عما يقوله المشركون، كما أن الله عَظَم النبي الأعظم ﷺ، وأقسمَ به وأضاف نفسه المقدسة المتعالية إلى نبيه ﷺ، من خلال الآيات المباركة ثم أمره بتسبيحه وحمده، والسجود سواء على المعنى الخاص مثل قول: سبحان الله والحمد لله في سجود الصلاة، أو المعنى العام من كلا الأمرين: التسبيح والسجود، توجه إلى الله حيثُ هو مصدر الفيض والرحمة والاطمئنان، لذا الآية أشارت، إلى عدّة إشارات حيال مواطن التسبيح والحمد في السجود، فإشارة التسبيح إشارةً إلى أسماء الله

الجلالية، نزه ربك عن كل نقصٍ وشركٍ وحاجة.... إلخ، ففيه سلوةٌ لك عما يقولون. بينما الحمد إشارةٌ إلى أسماء الله المقدسة المباركة المتصفة بالكمال والجمال... إلخ.

بعد ما تقدم من إيضاحٍ لاقتران التسبيح بالسجود في هذه الآية الكريمة، إليكم تفسير الآية على مائدة المفسرين.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ١٨ ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ وصاه سبحانه بالتسبيح والتحميد والسجدة والعبادة أو إدامة العبودية مفرعاً ذلك على ضيق صدره بما يقولون ففي ذلك استعانة على الغم والمصيبة، وقد أمره في الآيات السابقة بالصفح والصبر، ويستفاد الأمر بالصبر أيضاً من قوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فإن ظاهره الأمر بالصبر على العبودية حتى حين، وبذلك يصير الكلام قريب المضمون من قوله تعالى لدفع الشدائد والمقاومة على مر الحوادث: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾: [البقرة: ١٥٣].

وبذلك يتأيد أن المراد بالساجدين المصلين وأنه أمر بالصلاة وقد سميت سجوداً تسمية لها باسم أفضل أجزائها ويكون المراد بالتسبيح والتحميد اللفظي منهما كقول سبحانه الله والحمد لله أو ما في معناهما

نعم لو كان المراد بالصلاة في آية البقرة التوجه إلى الله سبحانه أمكن أن يكون المراد بالتسبيح والتحميد - أو بهما وبالسجود - المعنى اللغوي وهو تنزيهه تعالى عما يقولون والثناء عليه بما أنعم به عليه من النعم والتدلل له تدلل العبودية.

وأما قوله: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فإن كان المراد به الأمر بالعبادة كان كالمفسر للآية السابقة وإن كان المراد الأخذ بالعبودية - كما هو ظاهر السياق، وخاصة سياق الآيات السابقة الآمرة بالصفح والإعراض ولازمهما الصبر كان بقرينة تقييده بقوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أمرا بانتهاج منهج التسليم والطاعة والقيام بلوازم العبودية.

وعلى هذا فالمراد بإتيان اليقين حلول الأجل ونزول الموت الذي يتبدل به الغيب من الشهادة ويعود به الخبر عيانا، ويؤيد ذلك تفريع ما تقدم من قوله: ﴿فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾ على قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ﴾ فإنه بالحقيقة أمر بالعفو والصبر على ما يقولون لأن لهم يوما ينتقم الله منهم ويجازيهم بأعمالهم فيكون معنى الآية دم على العبودية واصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى مَرٍّ ما يقولون حتى يدركك الموت وينزل عليك عالم اليقين فتشاهد ما يفعل الله بهم.

وفي التعبير بمثل قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إشعار أيضا بذلك

١٨٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

فإن العناية فيه بأن اليقين طالب له وسيدركه فليعبد ربه حتى يدركه ويصل إليه وهذا هو عالم الآخرة الذي هو عالم اليقين العام بما وراء الحجاب دون الاعتقاد اليقيني الذي ربما يحصل بالنظر أو بالعبادة.

وبذلك يظهر فساد ما ربما قيل: إن الآية تدل على ارتفاع التكليف بحصول اليقين، وذلك لأن المخاطب به النبي ﷺ وقد دلت آيات كثيرة من كتاب الله أنه من الموقنين وأنه على بصيرة وأنه على بينة من ربه وأنه معصوم وأنه مهدي بهداية الله سبحانه إلى غير ذلك.

مضافاً إلى ما قدمناه من دلالة الآية على كون المراد باليقين هو الموت. وسنفرد لدوام التكليف بحثاً عقلياً بعد الفراغ عن البحث الروائي إن شاء الله تعالى.

بحث روائي

وفي الدر المنثور، أخرج ابن مردويه والديلمي عن أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أوحى إليّ أن أكون تاجراً ولا أجمع المال متكاثراً ولكن أوحى إليّ: أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

أقول: وروي ما في معناه أيضاً عن ابن مردويه عن ابن مسعود عنه ﷺ.

وفيه، أخرج البخاري وابن جرير عن أم العلاء: أن رسول الله

ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وقد مات فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال: وما يدريك أن الله أكرمه؟ أما هو فقد جاءه اليقين إني لأرجو له الخير.

وفي الكافي، بإسناده عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله ﷺ: إن من صبر صبر قليلا ومن جزع جزع قليلا. ثم قال: عليك بالصبر في جميع أمورك فإن الله عز وجل بعث محمدا وأمره بالصبر والرفق فقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣١) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥).

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

الحجر: ٩٧-٩٩

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩)

إشارات

- اشتهر بين المفسرين بأن المراد من كلمة ﴿الْيَقِينُ﴾ في هذه الآية هو الموت باعتباره أكثر الأمور يقيناً عند البشر، وإلى هذا المعنى تشير الآيتان (٤٦) و(٤٧) من سورة المدثر على لسان الكفار بقولهم:

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤٦ ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ ٤٧. ورغم ذلك فإن معنى ﴿الْيَقِينَ﴾ ليس الموت لكن هذا الأخير يبقى عاملاً أساسياً لليقين والتأكيد فعند حضوره ودنوه تُراح به جميع الحُجُب عن عين الإنسان ليرى ما لم يكن يراه من قبل.

- اتخذ بعض الضالين آية ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ذريعة لهم فقالوا: ما فائدة العبادة وقد أتى اليقين؟ وهؤلاء يجهلون أن الله سبحانه يُخاطب في هذه الآية نبيه الكريم ﷺ الذي كان قد توصل إلى اليقين منذ بداية عهده بالوحي، وهو الذي كان يقول للكفار رغم تهديدهم له وتوعدهم به: "لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ"، وظلَّ يعبد ربه بذلك اليقين حتى آخر لحظة من عمره الشريف.

النعاليه

١- إذا عَلِمَ كُلُّ مَنْ بَانَ اللهُ سبحانه ناظر لما نُعانيه وعالم به، هانت علينا كل المشاكل، ﴿نَعْلَمُ﴾.

٢- طاقة كل البشر وقدراتهم محدودة بما فيهم الأنبياء ﷺ، ﴿يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾.

٣- تؤدّي اللجاجة والعناد أحياناً إلى أن يضيق صدر أكثر الأفراد تحملاً وصبراً، ﴿يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾؛ رغم قوله تعالى لرسوله الكريم

ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

٤- لم يضق صدر النبي ﷺ لا في الحروب ولا في المعارك، لكنه لم يتحمل الكلام الجارح للمشركين، ﴿يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

٥- الصلوة وتسبيح الله تعالى وحمده هي الدواء الناجع للضغط النفسية، ﴿يَضِيقُ ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... وَأَعْبُدْ﴾. وفي رواية نقلاً عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنه) أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة^(١).

٦- الاستمرار في العبادة أهم من العبادة، ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

٧- الثبات على العبودية الحقّة عامل من عوامل الوصول إلى اليقين، ﴿وَأَعْبُدْ ... يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨)

ثم يطمئن الله تعالى نبيه ﷺ تقوية لقلبه: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}.
أنّ مجيء الفعل بصيغة الماضي في هذه الآية مع أنّ المراد المستقبل يشير إلى حتمية الحماية الربّانية، أي: سندفع عنك شهر المستهزئين،

(١) تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٧، ص ١١٩.

حتما مقضيا.

وقد ذكر المفسرون رواية تتحدث عن ست جماعات (أو أقل) كان منهم يمارس نوعا من الاستهزاء تجاه النبي ﷺ.

فكلما صدع النبي ﷺ بالدعوة قاموا بالاستهزاء تفريقا للناس من حوله ﷺ، إلا أن الله تعالى ابتلى كلا منهم بنوع من البلاء، حتى شغلهم عن النبي ﷺ، (وقد ورد تفصيل تلك الابتلاءات في بعض التفاسير).
ثم يصف المستهزين: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

كأن القرآن يريد أن يقول: إن أفكار وأعمال هؤلاء بنفسها عبث سخف حيث يعبدون ما ينحتونه بأيديهم من حجر وخشب، ودفعهم جهلهم لأن يجعلوا مع الله ما صنعوا بأيديهم آلهة! ومع ذلك .. يستهزون بك! ولمزيد من التأكيد على اطمئنان قلب النبي ﷺ، يضيف تعالى قائلا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.
فروحك اللطيفة وقلبك الطيب الرقيق لا يتحملان تلك الأقوال السيئة وأحاديث الكفر والشرك، ولذلك يضيق صدرك.

ولكن لا تحزن من قبح أقوالهم ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّن السَّاجِدِينَ﴾.

لأن تسييح الله يذهب أثر أقوالهم القبيحة من قلوب أحباء الله،

هذا أولاً ..

وثانياً، يعطيك قدرة وقوة ونورا وصفاء، ويخلق فيك تجلياً وانفتاحاً، ويقوي ارتباطك مع الله، ويقوي إرادتك ويثبت فيك قدرة أكبر للتحمل والثبات والمجاهدة في قبال أعداء الله. ولهذا نقرأ

في رواية نقلا عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة.

ثم يعطي الله نبيه ﷺ آخر أمر في هذا الشأن: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

المعروف والمشهور بين المفسرين أن المقصود من ﴿الْيَقِينُ﴾ هنا الموت، وسمي باليقين لحتميته، فربما يشك الإنسان في كل شيء، إلا الموت فلا يشك فيه أحد قط.

أو لأن الحجب ت زال عن عين الإنسان عند الموت فتتضح الحقائق أمامه ويحصل له اليقين.

وفي الآيتين السادسة والأربعين والسابعة والأربعين من سورة المدثر نقرأ عن لسان أهل جهنم: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ أي الموت.

ومن هنا يتضح خطأ ما نقل عن بعض الصوفية من أن الآية أعلاه

١٨٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

دليل على ترك العباداة. فقالوا: اعبد الله حتى تحصل على درجة اليقين، فإذا حصلت عليها فلا حاجة للعبادة بعدها! ونقول:

أولاً: اليقين هنا بمعنى الموت بشهادة الآيات القرآنية المشار إليها، وهو ما يحصل للمؤمن والكافر سواء.

ثانياً: المخاطب بهذه الآية هو النبي ﷺ، ومقام اليقين للنبي من المسلمين، وهل يجرؤ أحد أن يدعي أن النبي ﷺ لم يصل لدرجة اليقين، حتى يخاطب بالآية المذكورة؟!!

ثالثاً: المقطوع به أن النبي ﷺ لم يترك العباداة حتى آخر لحظات عمره الشريف، وكذا الحال بالنسبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام وهو المستشهد في المحراب، وهو ما سار عليه بقية الأئمة عليهم السلام.

بحوث

١ - بداية الدعوة العلنية للإسلام

المستفاد من بعض الروايات أن الآيتين: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ نزلتا في مكة بعد أن قضى رسول الله ﷺ ثلاث سنوات في الدعوة السرية لرسالته، ولم يؤمن به إلا القليل من المقربين إليه، وأول من آمن من النساء خديجة عليها السلام ومن الرجال علي عليه السلام.

من البديهي، أن الدعوة إلى التوحيد الخالص المصاحبة لتحطيم

نظام الشرك وعبادة الأصنام في تلك البيئة وفترتها كانت في الواقع عملاً عجيباً ومخيفاً، واستهزاء المشركين وسخريتهم كان معلوماً عند الله من قبل أن يمارس، ولهذا أراد الله تعالى تقوية قلب نبيه ﷺ كي لا يخشى المستهزئين، ويعلن رسالته بكل قوة على الملأ ويشرع بجهاد منطقي معهم^(١).

٢ - الأثر الروحي لذكر الله

إن حياة الإنسان (كانت وما زالت) زاخرة بالمشاكل بحسب ما تقتضيه طبيعة الحياة الدنيا، وكلما علا الإنسان درجة كثرت مشاكله وتعددت، ومن هنا نفهم شدة ما واجهه النبي ﷺ من مشاكل وصعاب في طريق دعوته الكبيرة.

ويكون العلاج الرباني لتجاوز العقبات عبارة عن محاولة تحصيل القوة من مصدرها الحق مع التحلي بسعة الصدر، فيأمر نبيه ﷺ بالتسبيح والذكر والدعاء والسجود، لما للعبادة من أثر عميق في تقوية روح الإنسان وإيمانه وإرادته.

ونستفيد من روايات مختلفة أن الأئمة عليهم السلام إذا واجهتهم المصاعب الشداد والبلاء، لجؤوا إلى الله وشرعوا بالعبادة والدعاء، كي يستمدوا القوة من معينها الأصيل.

(١) راجع تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٢.

٣- العبادة والتكامل

وكما هو معلوم فإنَّ الإنسان قد بدأ انطلاقته في الحياة من نقطة العدم ولا يزال يسير نحو المطلق، ولن تتوقف عجلة تكامله (ما دام مداوماً على الطريق) كما أنَّه يمتلك مقومات السير ويمتاز بقابلية فائقة واستعداد كامل في طلبه للتكامل، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى - تعتبر العبادة مدرسة عالية للتربية، لأنَّها توظف عقل الإنسان، وتوجه فكره نحو المطلق، وتغسل غبار الذنوب والغفلة من قلبه وروحه، وتنمي فيه الصفات الإنسانية الرفيعة، وتقوي إيمانه وتجعله أكثر وعياً وأكبر مسؤوليّة.

فلا يمكن للإنسان الواقعي أن يستغني عن هذه المدرسة الراقية، أمّا الذين يعتقدون بأنَّ الإنسان قد يصل إلى درجة معينة لا يحتاج عندها إلى العبادة، فأولئك إمّا أنَّهم يعتبرون عملية تكامل الإنسان محدودة وتنتهي بحدٍّ معين، أو أنَّهم لم يدركوا معنى العبادة حقاً.

وللعلامة الطّباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان بيان بهذا الشأن، إليك ملخصه، (إن كل نوع من أنواع الموجودات له غاية كمالية، وكذلك الإنسان له غاية تكاملية لا ينالها إلا بالاجتماع المدني، ولهذا فهو اجتماعي بالطبع، وإن تحقق هذا الاجتماع فسيحتاج أفراد المجتمع إلى أحكام وقوانين ينتظم باحترامها والعمل بها شتات أمورهم، وترتفع بهذا اختلافاتهم الضرورية، ويقف بها كل منهم في موقفه الذي ينبغي

له، ويجوز بها سعادته وكماله الوجودية.

وبعبارة أخرى: إن كان المجتمع الإنساني صالحاً أمكن لأفراده الوصول إلى هدفهم النهائي في الكمال، وإن فسد المجتمع تخلف أفراده عن هذا التكامل.

وإن هذه الأحكام والقوانين سواء كانت اجتماعية أو عبادية، لا تكون مؤثرة إلا إذا أخذت من طريق النبوة والوحي السماوي لا غير. ونعلم أيضاً أن الأحكام العبادية تشكل جزءاً من هذا التكامل الفردي والاجتماعي.

وبهذا يتبين أن التكليف الإلهي يلزم الإنسان ما عاش في هذه النشأة الدنيوية، وأن تجويز ارتفاع التكليف ملازم لتجويز تخلفه عن الأحكام والقوانين، وهذا يوجب فساد المجتمع! ومن الجدير بالملاحظة أن الأعمال الصالحة والعبادات منيع للملكات النفسانية الفاضلة فإذا أدت هذه الأعمال بقدر كاف، وقويت تلك الملكات الفاضلة في نفس الإنسان، فستكون نفسها منبعاً جديداً لأعمال صالحة أكثر وطاعات وعبادات أفضل.

ومن هنا يظهر فساد ما ربّما يتوهم أن الغرض من التكليف هو تكميل الإنسان فإذا كمل لم يكن لبقاء التكليف معنى، وما ذلك إلا مغالطة ليس أكثر، لأن الإنسان لو تخلف عن التكليف الإلهي فإن

١٩٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

المجتمع سيسير نحو الفساد فوراً، فكيف يتسنى للفرد الكامل أن يعيش في هكذا مجتمع! وكذلك فرضية تخلف الإنسان عند امتلاكه الملكات الفاضلة عن العبادات وطاعة الله، فإنّها تعني تخلف هذه الملكات عن آثاره^(١) - فتأمل.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

سورة الحجر (١٥): آية ٩٥

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾

سبب نزول

١ - على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - ولما أتى على رسول الله ﷺ زمانٌ عند ذلك أنزل الله عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فخرج رسول الله ﷺ وقام على الحجر وقال يا معشر قريش يا معشر العرب أذعوكم إلى عبادة الله وخلع الأنداد والأصنام وأذعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ﷺ فأجيئوني تملكون بها العرب وتدين لكم بها العز وجل وتكونون ملوكاً فاستهزؤوا منه وضحكوا وقالوا جنّ محمد بن عبد الله ﷺ وأذوه بالستهم^(٢).

(١) تفسير الميزان، ج ١٢، ص ١٩٩.

(٢) ج ٧، ص ٥٧٨ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٨٥ / إعلام الوري، ص ٣٩ / قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣١٨.

١-١ - على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - وَكَانَ الْمُسْتَهْزِؤُونَ
 بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَةَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ
 بْنُ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ بَلَغَهُ مِنْ إِيْذَائِهِ
 وَاسْتِهْزَائِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَهُ وَأَثْكِلْهُ بَوْلِدِهِ فَعَمِيَ بَصَرُهُ وَقَتِلَ وَلَدُهُ
 بِدَرٍّ وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ وَالْحَارِثُ بْنُ طَلَّاطَةَ الْخَزَاعِيُّ فَمَرَّ
 الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ جَبْرِئِيلُ فَقَالَ جَبْرِئِيلُ
 ﷺ يَا مُحَمَّدُ ﷺ هَذَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ وَهُوَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِكَ قَالَ
 نَعَمْ وَقَدْ كَانَ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خَزَاعَةٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَرِيشُ نَبَالًا
 لَهُ فَوَطِئَ عَلَى بَعْضِهَا فَأَصَابَ أَسْفَلَ عَقِبِهِ قِطْعَةً مِنْ ذَلِكَ فَدَمِيتَ فَلَمَّا
 مَرَّ بِجَبْرِئِيلَ ﷺ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَرَجَعَ الْوَلِيدُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَامَ
 عَلَى سَرِيرِهِ وَكَانَتْ ابْنَتُهُ نَائِمَةً أَسْفَلَ مِنْهُ فَانْفَجَرَ الْمَوْضِعُ الَّذِي أَشَارَ
 إِلَيْهِ جَبْرِئِيلُ ﷺ أَسْفَلَ عَقِبِهِ فَسَالَ مِنْهُ الدَّمُ حَتَّى صَارَ إِلَى فِرَاشِ ابْنَتِهِ
 فَانْتَبَهَتْ ابْنَتُهُ فَقَالَتْ الْجَارِيَةُ أَنْحَلِّ وَكَأَنَّ الْقُرْبَةَ قَالَ الْوَلِيدُ مَا هَذَا وَكَأَنَّ
 الْقُرْبَةَ وَلَكِنَّهُ دَمُ أَبِيكَ فَاجْمَعِي لِي وَلَدِي وَوُلْدَ أَخِي فَإِنِّي مَيِّتٌ
 فَجَمَعَتْهُمْ فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ إِنَّ عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بَارِضُ
 الْحَبَشَةِ بَدَارٍ مَضِيعَةٍ فَخُذْ كِتَابًا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَنْ يَرُدَّهُ ثُمَّ
 قَالَ لِابْنِهِ هَاشِمٍ وَهُوَ أَصْغَرُ وَلَدِهِ يَا بَنِي أَوْصِيكَ بِخَمْسِ خِصَالٍ
 فَاحْفَظْهَا أَوْصِيكَ بِقَتْلِ أَبِي رُهِمِ الدَّوْسِيِّ وَإِنْ أَعْطَوْكُمْ ثَلَاثَ دِيَّاتٍ
 فَإِنَّهُ غَلَبَنِي عَلَى امْرَأَتِي وَهِيَ بِنْتُهُ وَلَوْ تَرَكَهَا وَبَعَلَهَا كَانَتْ تِلْدُ لِي ابْنًا

مِثْلَكَ وَدَمِي فِي خُرَاعَةٍ وَمَا تَعَمَّدُوا قَتْلِي وَأَخَافُ أَنْ تَنْسُوا بَعْدِي
وَدَمِي فِي بَنِي خُزَيْمَةَ بْنِ عَامِرٍ وَدِيَاتِي فِي سَقِيفٍ فَخُذْهُ وَلَا تُسْقِفْ
نَجْرَانَ عَلَى مِائَتَا دِينَارٍ فَاقْضِهَا ثُمَّ فَاضَتْ نَفْسُهُ وَمَرَّ أَبُو زَمْعَةَ الْأَسْوَدُ
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَشَارَ جَبْرِئِيلُ ﷺ إِلَى بَصَرِهِ فَعَمِيَ وَمَاتَ وَمَرَّ بِهِ
الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ فَأَشَارَ جَبْرِئِيلُ ﷺ إِلَى بَطْنِهِ فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَسْقِي
حَتَّى انْشَقَّ بَطْنُهُ وَمَرَّ الْعَاصُ بْنُ وَاثِلٍ فَأَشَارَ جَبْرِئِيلُ ﷺ إِلَى رِجْلِهِ
فَدَخَلَ عُودٌ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ وَخَرَجَتْ مِنْ ظَاهِرِهِ وَمَاتَ وَمَرَّ ابْنُ
الطَّلَاطِلَةِ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ جَبْرِئِيلُ ﷺ فَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ فَخَرَجَ إِلَى
جِبَالِ تِهَامَةٍ فَأَصَابَتْهُ السَّمَائِمُ ثُمَّ اسْتَسْقَى حَتَّى انْشَقَّ بَطْنُهُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (١).

١-٢- الحسين ﷺ - عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ يَهُودِيًّا مِنْ
يَهُودِ الشَّامِ وَأَخْبَارِهِمْ كَانَ قَدْ قرَأَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَصُحُفَ
الْأَنْبِيَاءِ ﷺ وَعَرَفَ دَلَالَتَهُمْ جَاءَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو مَعْبِدٍ الْجُهَنِيُّ
فَقَالَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا تَرَكْتُمْ لِنَبِيِّ دَرَجَةً وَلَا لِمُرْسَلٍ فَضِيلَةً إِلَّا نَحَلْتُمُوهَا
نَبِيَّكُمْ فَهَلْ تُجِيبُونِي عَمَّا أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ فَكَاعَ الْقَوْمُ عَنْهُ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ ﷺ نَعَمْ مَا أَعْطَى اللَّهُ ﷻ نَبِيًّا دَرَجَةً وَلَا مُرْسَلًا فَضِيلَةً إِلَّا وَقَدْ

(١) ج ٧، ص ٥٧٨ - بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٥٣ / العياشي، ج ٢، ص ٢٥٢ / القمي، ج ١، ص ٣٧٧ / البرهان / نور الثقلين.

جَمَعَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَزَادَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنِي قَالَ لَهُ نَعَمْ سَأَذْكُرُ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ فَضَائِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَقْرَأُ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكُونُ فِيهِ إِزَالَةٌ لِشَكِّ الشَّاكِّينَ فِي فَضَائِلِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ لِنَفْسِهِ فَضِيلَةً قَالَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ فَضَائِلَهُ غَيْرَ مُزِرٍ بِالْأَنْبِيَاءِ وَلَا مُنْتَقِصٍ لَهُمْ وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ ﷻ عَلَى مَا أَعْطَى مُحَمَّدًا ﷺ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُمْ وَمَا زَادَهُ اللَّهُ وَمَا فَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَأَعِدَّ لَهُ جَوَابًا فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ﷺ هَاتِ ... فَذَكَرَ لَهُ الْيَهُودِيُّ مَا أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَنْبِيَاءَ فَذَكَرَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ مَا أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِي مُقَابَلَةِ مَا أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ وَزَادَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِيهَا قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ فَإِنَّ هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى قَالَ لَهُ عَلِيُّ ﷺ لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَرْسَلَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ شَتَّى مِثْلَ أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ وَأَبِي الْبَخْتَرِيِّ وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ وَمُنْبِيَّ وَبُئِيهِ ابْنِي الْحَجَّاجِ وَإِلَى الْخُمْسَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ الْمُخْزُومِيَّ وَالْعَاصِمَ بْنَ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَالْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثِ الزُّهْرِيَّ وَالْأَسْوَدَ بْنَ الْمُطَّلِبِ وَالْحَارِثَ بْنَ الطَّلَاطِلَةَ فَأَرَاهُمُ الْآيَاتِ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ لَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ لِمُوسَى ﷺ مِنْ فِرْعَوْنَ قَالَ لَهُ عَلِيُّ ﷺ لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ وَلَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ جَلَّ

اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْفِرَاعَةِ فَأَمَّا الْمُسْتَهْزِءُونَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّا
كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ فَقَتَلَ اللَّهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِغَيْرِ قِتْلَةٍ صَاحِبِهِ فِي يَوْمٍ
وَاحِدٍ فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَمَرَّ بِنَبْلِ لِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ قَدْ رَاشَهُ
وَوَضَعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَأَصَابَهُ شَظِيَّةٌ مِنْهُ فَأَنْقَطَعَ أَكْحَلُهُ حَتَّى أَدَمَاهُ فَمَاتَ
وَهُوَ يَقُولُ قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ فِي
حَاجَةٍ لَهُ إِلَى مَوْضِعٍ فَتَدَهَّدَ تَحْتَهُ حَجَرٌ فَسَقَطَ فَتَقَطَّعَ قِطْعَةً قِطْعَةً فَمَاتَ
وَهُوَ يَقُولُ قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوْثٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ
يَسْتَقْبِلُ ابْنَهُ زَمْعَةَ فَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ ﷺ فَأَخَذَ رَأْسَهُ
فَنَطَحَ بِهِ الشَّجَرَةَ فَقَالَ لِغُلَامِهِ امْنَعْ عَنِّي هَذَا فَقَالَ مَا أَرَى أَحَدًا يَصْنَعُ
بِكَ شَيْئًا إِلَّا نَفْسَكَ فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَقُولُ قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ
الْمُطَّلِبِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِيَ اللَّهُ بَصَرَهُ وَأَنْ يُثْكِلَهُ وَلَدَهُ فَلَمَّا
كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ حَتَّى صَارَ إِلَى مَوْضِعٍ فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ بِوَرَقَةٍ
خَضِرَاءَ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَمِيَ وَبَقِيَ حَتَّى أَثْكَلَهُ اللَّهُ ﷻ وَلَدَهُ وَأَمَّا
الْحَارِثُ بْنُ الطَّلَاطِلَةِ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْنِهِ فِي السَّمُومِ فَتَحَوَّلَ حَبَشِيًّا
فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ أَنَا الْحَارِثُ فَغَضِبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقُولُ قَتَلَنِي
رَبُّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَوَى أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ الْحَارِثِ أَكَلَ حُوتًا مَالِحًا فَأَصَابَهُ
الْعَطَشُ فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ الْمَاءَ حَتَّى انشَقَّ بَطْنُهُ فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ قَتَلَنِي
رَبُّ مُحَمَّدٍ كُلُّ ذَلِكَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ نَتَنَظَّرُ بِكَ إِلَى الظُّهْرِ فَإِنْ رَجَعْتَ عَنْ قَوْلِكَ

وإِلَّا قَتَلْنَاكَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنْزِلِهِ فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ مُعْتَمًا لِقَوْلِهِمْ
فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ سَاعَتَهُ فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ
السَّلَامَ وَهُوَ يَقُولُ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ يَعْنِي أَظْهَرُ
أَمَرَكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ قَالَ يَا جَبْرِئِيلُ كَيْفَ أَصْنَعُ
بِالْمُسْتَهْزِئِينَ وَمَا أُوْعِدُونِي قَالَ لَهُ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ قَالَ يَا جَبْرِئِيلُ
كَانُوا السَّاعَةَ بَيْنَ يَدَيَّ قَالَ قَدْ كُفَيْتَهُمْ فَأَظْهَرَ أَمْرَهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا
بَقِيَّتُهُمْ مِنَ الْفِرَاعِنَةِ فَقَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ وَهَزَمَ اللَّهُ الْجُمُعَ وَوَلَّوْا
الدُّبُرَ (١).

١-٣- الرسول ﷺ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ بَدْرٍ
قَائِمًا يُصَلِّي وَيَبْكِي وَيَسْتَعِيرُ وَيَخْشَعُ وَيَخْضَعُ كَأَسْتِطْعَامِ الْمُسْكِينِ
وَيَقُولُ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَخَيَّرْ سَاجِدًا وَيَخْشَعُ فِي سُجُودِهِ
وَيُكْثِرُ التَّضَرُّعَ فَأَوْحَى إِلَيْهِ قَدْ أَنْجَزْنَا وَعَدَكَ وَأَيَّدْنَاكَ بِابْنِ عَمِّكَ
عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَصَارِعُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ وَكَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ فَعَلَيْنَا فَتَوَكَّلْ
وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ فَإِنَّا خَيْرُ مَنْ تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ اعْتَمَدَ
عَلَيْهِ (٢).

(١) ج ٧، ص ٥٨٠ - بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٤٤ / البرهان.

(٢) ج ٧، ص ٥٨٤ - بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٣١٧.

الآية الثامنة

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]

معلومة عن عددي لفظ الرب ولفظ العظيم

فائدة (لفظ الرب)

ورد لفظ الرب في القرآن الكريم بصيغ لفظية متعددة (٩٧٨) مرة، فتارةً ورد بصيغته المجردة في بعض الآيات الكريمة، وأخرى بصيغة المثني، وأخيرة بصيغة الجمع، وإليك أيها القارئ الكريم الصيغ اللفظية له بعددها وفق ما ذكر في كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم):

ذكر لفظ (رب) ١٥١ مرة.

ذكر لفظ (رباً) ١ مرة.

ذكر لفظ (ربك) ٢٤٢ مرة.

ذكر لفظ (ربكم) ١١٩ مرة.

ذُكر لفظ (ربكما) ٣٣ مرة.

ذُكر لفظ (ربنا) ١١١ مرة.

ذُكر لفظ (ربه) ٧٦ مرة.

ذُكر لفظ (ربها) ٩ مرة.

ذُكر لفظ (رهبهم) ١٢٥ مرة.

ذُكر لفظ (رهبما) ٣ مرة.

ذُكر لفظ (ربي) ١٠١ مرة.

فائدة (لفظ العظيم)

ورد لفظ العظيم في القرآن المجيد (١٠٧) مرات، ف (٨٥) مرة أتى
بأل التعريف "العظيم"، و (٢٢) مرة أتى دونها "عظيما" وفقاً للمصدر
السابق ذكره أعلاه^(١).

وإليك تفسير الآية على مائدة المفسرين

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩)

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تقدم تفسيره، وهو
تفريع على ما تقدمه من صفة القرآن وبيان حال الأزواج الثلاثة بعد
الموت وفي الحشر.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.

والمعنى : فإذا كان القرآن على هذه الصفات وصادقا فيما ينبئ به من حال الناس بعد الموت فنزه ربك العظيم مستعينا أو ملابسا باسمه وانف ما يراه ويدعيه هؤلاء المكذبون الضالون.

بحث روائي

وفي المجمع، في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤):
فقد صح عن النبي ﷺ: أنه لما نزلت هذه الآية قال: اجعلوها في ركوعكم.

أقول: ورواه في الفقيه، مرسلا، ورواه في الدر المنثور، عن الجهني عنه ﷺ.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

[الواقعة: ٨٨-٩٦]

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

إشارات

- "الروح" بمعنى الراحة والرفاه والرحمة. و"الريحان" هو كل نبت طيب الرائحة، وتستعمل في الرزق أيضاً.

و"تصلية" ومن "الصلي" وهو الذوق، والشواء السقوط.

- يشير الله سبحانه في أول السورة إلى تقسيم الناس إلى فئاتٍ ثلاث، بقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، المقربون إلى الله، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال. وفي آخر السورة يكرّر الله الحديث عن مصير كل فئة من هذه الفئات.

- ينال كل امرئ ثوابه بحسب مقدار قربه من الله؛ كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله يجمع للمقرب بين الروح والريحان في قبره، وبين جنة النعيم في الآخرة. و"المقربون" هو السابقون إلى الإيمان والعمل الصالح؛ وذلك بالنظر إلى الآيتين العاشرة والحادية عشرة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾

وأصحاب اليمين يبشرون عند الموت، بما يرفع عنهم القلق، ويؤجل ثوابهم إلى الآخرة. ويبدو أن المراد من أصحاب اليمين، أولئك الذين يأتون صحيفة أعمالهم بيمينهم، والذين أشار إليهم الله تعالى في الآيات ٧١ من سورة الإسراء، و١٩ من سورة الحاقة، و٧ من سورة الانشقاق: ﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾. والمراد من أصحاب الشمال من يؤتى صحيفة أعماله بشماله.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (أن المراد من المكذّبين الضالّين

المشركين^(١).

- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، أقوال واحتمالات عدة، منها:

أ- أن يكون المراد توجيه السلام إلى أهل الجنة دون تعيين شخص بعينه.

ب- أن يكون المراد توجيه السلام من أهل الجنة إلى النبي ﷺ؛ لما تحمّله من مشاق أوصلتهم إلى المقام الذي هم فيه.

ج- أن يكون المراد أن النبي ﷺ في خير وسلامة، لفلاح هؤلاء الناس.

- يقول سبحانه في الآية ٥١: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾؛ ولكنه يقول في الآية ٩٢: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ﴾؛ فما الوجه في تقديم الضالين على المكذبين في الآية الأولى، وتأخير ذكرهم في الآية الثانية؟

الجواب: يبدو أن الخطاب في الآية الأولى باعتبار الدنيا، وذلك أن الإنسان يؤول أمره إلى التكذيب بسبب الضلال؛ وأما باعتبار الآخرة وبالنظر إلى حالة نزع الروح، فيكون البدء بالعقاب على الجرم الأشدّ

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٣٠.

خطورة.

- يعرض الله سبحانه لنا في هذه الآيات مصير ثلاث فئات، ليختار الإنسان العاقل ما يناسبه منها: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾... فَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٠﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴿٩١﴾﴾.

- لم يشر الله تعالى إلى مبرر ثواب المقربين وأصحاب اليمين؛ وأما بالنسبة إلى عقاب الكافرين، فقد ذكر أن سبب العقاب هو التكذيب والضلال. والفرق بين الحالتين هو حاجة العقاب إلى بيان وخاصة في حالة التكذيب والضلال، وأما اللطف والمحبة، فلا يحتاجان إلى دليل ومبرر^(١).

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «فنزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة»^(٢).

النعاليم

١ - ينتقل المقربون بمجرد مفارقة أرواحهم للأجساد إلى الراحة والريحان: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ (حرف الفاء يدل على العطف دون تراخ).

٢ - الموت بالنسبة إلى المقربين انتقال إلى الراحة، وخلاص من غصص الدنيا وآلامها ﴿فَرَوْحٌ﴾، ووصول إلى ألطاف الله:

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، عند تفسير هذه الآيات.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٢٩.

﴿وَرَيَحَانٌ﴾، واستقرار في النعيم الأبدى: ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾

٣- يجب أن نتعامل مع لحظات الاحتضار والموت، ومع كيفية خروج الروح، ومع مفاهيم: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، بشكل جاد: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

٤- صعوبة نزع الروح على الكافرين، وملاقاتهم بالحميم والرحيم، جزاء عادل مستحق: ﴿فَنُزِّلُ مِنَ حَمِيمٍ ۖ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

٥- عقوبة عمر من الضلال والتكذيب: ﴿الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾، ضيافة بالماء الحار في الجحيم وحرارة جهنم: ﴿فَنُزِّلُ مِنَ حَمِيمٍ ۖ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾، وهذا غاية العدل فالله سبحانه منزّه عن غير العدل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

٦- يوم القيامة ونظام العقاب والثواب، من دلائل ربوبية الله سبحانه، ويقع في سياق تربية الله للإنسان، ومن الأمور التي تستحق من الإنسان الشكر والتسبيح: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ١٨)

وفي نهاية هذا الحديث يضيف سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾.

والمعروف بين المفسرين أنّ «حقّ اليقين» من قبيل الإضافة
البيانة، يعني أنّ الذي تقدّم ذكره حول الأقسام الثلاثة وهم (المقربون
وأصحاب اليمين والمكذبون) فهو عين الحقيقة والحقّ واليقين.

وهنا يوجد احتمال أيضاً وهو: بما أنّ لليقين درجات متعددة، فإنّ
أعلى مرحلة له هي (حقّ اليقين) أي يقين واقعي كامل وخال من كلّ
شكّ وشبهة وريب. ^(١)

ومّا قلنا يتّضح أنّ (هذا) في هذه الآية إشارة إلى أحوال الأقسام
الثلاثة الأنفة الذكر، كما احتمل البعض أيضاً أنّها إشارة إلى كلّ
محتويات سورة الواقعة أو القرآن أجمع، إلّا أنّ التفسير الأوّل هو
الأنسب.

وهنا نقطة جديرة بالذكر أيضاً وهي أنّ التعبير ب (فسبّح) - الفاء
تفريعية - هو إشارة إلى أنّ ما قيل حول الأقسام الثلاثة هو عين
العدالة، وبناء على هذا اعتبر (ربّك) منزّها من كلّ ظلم، وإذا ما أريد
الابتعاد عن مصير أصحاب الشمال فعلينا أن نتنزّه من كلّ شرك وظلم
المتلازمين مع إنكار القيامة. ونقل كثير من المفسرين حول نهاية آخر

(١) طبقاً لهذا التفسير فإنّ إضافته حقّ إلى كلمة (يقين) جاءت للاختصاص والتقيد، واعتبرها البعض -
أيضاً- من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة وقالوا بمعنى (اليقين) الحقّ.

الآية بعد ما نزلت على الرسول ﷺ أنه قال: «اجعلوها في ركوعكم»
(أي قولوا: سبحان ربّي العظيم) وعند ما نزلت: سُبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ
الْأَعْلَى قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»، أي قولوا: سبحان ربّي
الأعلى. (١)

وفي تفسير الآية ٧٤ من نفس السورة نقلنا ما هو شبيه بهذه الرواية
عن بعض المفسرين.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٩٤ الى ٩٦]

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

١ - الصادق عليه السلام - ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ. (٢)

(١) تفسير أبو الفتوح الرازي، وروح المعاني، وروح البيان، القرطبي، والدر المنثور، وتفسير المراغي، في
نهاية الآيات مصدر البحث.

(٢) ج ١٥، ص ٥٢٨ - بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢١٧ / الأمل للصدوق، ص ٢٩٠ / تأويل الآيات
الظاهرة، ص ٦٢٩ / القمي، ج ٢، ص ٣٥٠.

الآية التاسعة

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]

الخطابات الإلهية إلى الحضرة المحمدية

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على قلب الرسول الأعظم ﷺ وتلاه للناس على حسب المناسبات في مدة ثلاثة وعشرين سنة، ومنها آيات خوطب بها مباشرة لما لها من أثر على معتقده، وطاعته وصحتها المتمثلة في أسمائه وصفاته ﷺ، وإليك أيها القارئ الكريم الآيات التي وجهه فيها المولى ﷺ أمر التسبيح للنبي الأعظم صل الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ستة عشر آية كالآتي:

١ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيَّتِكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]

٢ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ [الأعلى ١]

٢٠٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

٣ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]

٤ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

٥ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]

٦ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

٧ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨]

٨ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]

٩ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨]

١٠ ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]

١١ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]

١٢ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الشُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]

١٣ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]

١٤ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]

١٥ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]

١٦ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]

على حسب ما ذكر في القرآن الكريم بعد تتبع.

فبعد ما تقدم من تتبع لخطابات المولى لرسوله العظيم ﷺ، إليكم ما جادت به أقلام الأعلام من المفسرين.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قد تقدم كلام في نظيرتي الآيتين في آخر سورة الواقعة، والسورتان متحدتان في الغرض وهو وصف يوم القيامة ومتحدتان في سياق خاتمتهما وهي الإقسام على حقيقة القرآن المنبئ عن يوم القيامة، وقد ختمت السورتان بكون القرآن وما أنبأ به عن وقوع الواقعة حق اليقين ثم الأمر بتسبيح اسم الرب العظيم المنزه عن خلق العالم باطلاً لا معاد فيه وعن أن يبطل المعارف الحققة التي يعطيها القرآن في أمر المبدأ والمعاد.

تم والحمد لله.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

[الحاقة: ٤٤-٥٢]

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ ﴿٤٨﴾ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥٢﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات

- (تَقَوَّلَ) يعني نسبة الكلام إلى الشخص الذي لم يقله.
- (وتين) الشريان الذي يغذي القلب بالدم وإذا قُطِعَ مات الإنسان.
- القرآن في الدنيا والآخرة، سبب لحسرة الكفار. يتحسرون في الدنيا لعدم مقدرتهم على الإتيان بمثله، وفي الآخرة يتحسرون لعدم إيمانهم به.
- الأخذ بـ (اليمين) كناية عن القدرة؛ لأن اليد اليمنى لها قدرة أكبر.
- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخْجُلُ مِنْ أَحَدٍ، إذا ما كان الله قد خاطب نبيه بهذا الأسلوب فعلى البقية أن يحذروا.
- للقرآن خصائص، من بينها: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾،

﴿لَتَذْكُرُهُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾.

- لم ينسب الرسول الأكرم أي شيء أبداً لله تعالى؛ لأن كلمة (لو) تُستخدم في الموارد التي يكون فيها الأمر غير قابل للتحقق.
- دافع الله تعالى في الآية السابقة عن نبيه أحسن الدفاع ولكنه في هذه الآية يُهدد بأنه إن نسب إلى الله كلاماً لم يقله سيُقطع شريانه الرئيس بكل اقتدار.

النعاليم

- ١- الله تعالى هو حافظ الوحي ولا أحد يملك القدرة على الإضافة إليه أو التنقيص منه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾.
- ٢- يجب على النبي كما الآخرين أن يحفظ حرمة الوحي: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.
- ٣- كل الناس سواسية أمام القوانين الإلهية، حتى النبي: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ.. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.
- ٤- إن القرآن ليس كلام كاهن ولا شعراً وهو ليس كلام النبي كذلك: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.
- ٥- إن التساهل والتسامح في قانون الله وكلامه ممنوع: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.

٢١٢ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

٦- التعاطي مع الأمور بشكل قطعي، يمنع الآخرين من الطمع بالتصرف: ﴿لَا خَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.

٧- يتمتع القرآن بالحفظ والصيانة التامين: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾.

٨- الدفاع عن الحق أهم من الشخص. سنأخذ روح أفضل الأشخاص لأجل حفظ الوحي: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ.. لَأَخَذْنَا..﴾.

٩- يجب الكلام بشكل قطعي عند الدفاع عن حرمة القرآن وحدوده: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.

١٠- الذنوب العظيمة لها عقاب عظيم: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ.. ثُمَّ لَقَطَعْنَا..﴾.

١١- يجب أن تكون الحراسة مشددة أكثر على الشيء ذي القيمة الأكبر: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ.. وَلَوْ تَقَوَّلَ.. لَأَخَذْنَا.. لَقَطَعْنَا..﴾.

١٢- يعاقب الله الأشخاص الذين يتعدون على حرمة الوحي بالهلاك: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.

١٣- لا يملك أي أحد أي قدرة على المقاومة في مقابل العذاب الإلهي: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.

١٤- تأثير القرآن على المتقين جدّي وحتمي: ﴿وَاتَّهْ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

- ١٥ - التقوى هي شرط لتقبل النصيحة: ﴿لَتَذْكُرَهُ الْمُنْتَقِينَ﴾.
- ١٦ - ثمة مكذبون في مقابل المتقين: ﴿لِلْمُنْتَقِينَ.. مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾.
- ١٧ - لا يجب أن يتوقع المبلّغ أن يُسلم كل الناس له: ﴿مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾.
- ١٨ - فليعلم المكذبون أنهم تحت رقابة الله تعالى: ﴿لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾.
- ١٩ - سيروا في طريقكم تحت عين الله في مقابل تموضع المكذبين: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.
- ٢٠ - تسبيح الله تعالى هو في سبيل تربية الإنسان: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.
- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل

وأخيراً يقول سبحانه في آخر آية - مورد البحث، والتي هي آخر آية من سورة (الحاقة) - ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

والجدير بالملاحظة - هنا - أن مضمون هذه الآية والآية السابقة قد جاء بتفاوت يسير مع ما ورد في سورة الواقعة، وهذا التفاوت هو أن الآية وصفت القرآن الكريم هنا بأنه (حقّ اليقين) أمّا في نهاية سورة

٢١٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

(الواقعة) فكان الحديث عن المجاميع المتباينة للصالحين والطالحين في يوم القيامة.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٥١ الى ٥٢]

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

١ - الرسول ﷺ - لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ ﷺ ضَعُوا هَذَا فِي سُجُودِكُمْ. (١)

(١) ج ١٦، ص ٥٥٢ - مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٤٣٨ / فقه القرآن، ج ١، ص ١٠٢.

الآية العاشرة

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]

إشارة من الله إلى نبيه ﷺ

تُشير الآية إلى خطابٍ من الله ﷻ للرسول الأعظم صل الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، باعتباره الأمثل للعبودية لله جلّ جلاله وتقديسه أسماؤه على أن ينزه الله عن الأضداد والأنداد والأشباه، وعمّا لا يليق به وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وإن كان الأمر بالتسبيح عام لكل البشر، لذلك أمر النبي ﷺ، بقول أجعلوها في سجودكم (سبحان ربي الأعلى) هذا قمة الأدب والخضوع مع الله ﷻ.

إليكُم تفسير الآية في حقيقة المُفسرين

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ٢٠)

بيان

أمر بتوحيده تعالى على ما يليق بساحته المقدسة وتنزيه ذاته

المتعالية من أن يذكر مع اسمه اسماً غيره أو يسند إلى غيره ما يجب أن يسند إليه كالخلق والتدبير والرزق ووعد له ﷺ بتأييده بالعلم والحفظ وتمكينه من الطريقة التي هي أسهل وأيسر للتبليغ وأنسب للدعوة. وسياق الآيات في صدر السورة سياق مكّي وأما ذيلها أعني قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ إلخ فقد ورد من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام وكذا من طريق أهل السنة أن المراد به زكاة الفطرة وصلاة العيد ومن المعلوم أن الصوم وما يتبعه من زكاة الفطرة وصلاة العيد إنما شرعت بالمدينة بعد الهجرة فتكون آيات الذيل نازلة بالمدينة.

فالسورة صدرها مكّي وذيلها مدني، ولا ينافي ذلك ما جاء في الآثار أن السورة مكية فإنه لا يأبى الحمل على صدر السورة.

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أمر بتنزيه اسمه تعالى وتقديسه، وإذ علق التنزيه على الاسم - وظاهر اللفظ الدال على المسمى - والاسم إنما يقع في القول فتنزيهه أن لا يذكر معه ما هو تعالى منزّه عنه كذكر الآلهة والشركاء والشفعاء ونسبة الربوبية إليهم وكذكر بعض ما يختص به تعالى كالخلق والإيجاد والرزق والإحياء والإماتة ونحوها ونسبته إلى غيره تعالى أو كذكر بعض ما لا يليق بساحة قدسه تعالى من الأفعال كالعجز والجهل والظلم والغفلة وما يشبهها من صفات النقص والشين ونسبته إليه تعالى.

وبالجملة تنزيه اسمه تعالى أن مجرد القول عن ذكر ما لا يناسب

ذكره ذكر اسمه تعالى وهو تنزيهه تعالى في مرحلة القول الموافق لتنزيهه في مرحلة الفعل .

وهو يلزم التوحيد الكامل بنفي الشرك الجلي كما في قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: الزمر ٤٥ وقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾: إسرء ٤٦ .

وفي إضافة الاسم إلى الرب والرب إلى ضمير الخطاب تأييد لما قدمناه فإن المعنى سبح اسم ربك الذي اتخذته رباً وأنت تدعو إلى أنه الرب الإله فلا يقعن في كلامك مع ذكر اسمه بالربوبية ذكر من غيره بحيث ينافي تسميه بالربوبية على ما عرّف نفسه لك .

وقوله: ﴿الْأَعْلَى﴾ وهو الذي يعلو كل عال ويقهر كل شيء صفة ﴿رَبُّكَ﴾ دون الاسم ويعلل بمعناه الحكم أي سبح اسمه لأنه أعلى .

وقيل: معنى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قل: سبحان ربي الأعلى كما عن ابن عباس ونسب إليه أيضاً أن المعنى صلّ .

وقيل: المراد بالاسم المسمى والمعنى نزهة تعالى عن كل ما لا يليق بساحة قدسه من الصفات والأفعال . وقيل: إنه ذكر الاسم والمراد به تعظيم المسمى واستشهد عليه بقول لييد، إلى الحول ثم اسم السلام عليهما . فالمعنى سبح ربك الأعلى .

وقيل: المراد تنزيه أسمائه تعالى عما لا يليق بأن لا يؤول مما ورد منها اسم من غير مقتضى، ولا يبقى على ظاهره إذا كان ما وضع له لا يصح له تعالى، ولا يطلقه على غيره تعالى إذا كان مختصا كاسم الجلالة ولا يتلفظ به في محل لا يناسبه كبيت الخلاء، وعلى هذا القياس وما قدمناه من المعنى أوسع وأشمل وأنسب لسياق قوله الآتي ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ فَذَكِّرْ﴾ فإن السياق سياق البعث إلى التذكرة والتبليغ فبدأ أولا بإصلاح كلامه ﷺ وتجريده عن كل ما يشعر بجلي الشرك وخفيه بأمره بتنزيه اسم ربه، ووعد ثانيا بإقراءه بحيث لا ينسى شيئا مما أوحى إليه وتسهيل طريقة التبليغ عليه ثم أمر بالتذكير والتبليغ فافهم.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

ملامح سورة الأعلى

سورة الأعلى مكيّة وعدد آياتها تسع عشرة آية.

يُطلق على السور التي تبدأ بتسييح الله تعالى اسم: "المُسَبِّحات"، وسورة الأعلى هي آخر سور المسبحات.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى التي تصف الله تعالى بالأعلى. تُقسّم مباحث السورة إلى قسمين.

القسم الأول فيه خطاب إلى نبي الإسلام الأكرم والقسم الثاني

حول المؤمنين والكافرين وعوامل سعادة هذين الفريقين وشقائهما.
أوصت الروايات على تلاوة هذه السورة في الركعة الأولى من
صلاة العيدين (عيد الفطر وعيد الأضحى).^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ وَغَثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾﴾

إشارات

- تسبيح اسم الله، يعني فقط لذات الله، لا نشرك معه أحداً، ولا
نجعل حتى لاسمه شريكاً ولا نجعل أسماء الآخرين مع اسم الله. كما
كانت تقول بعض الجماعات اللقيطة: (باسم الله وباسم شعب إيران
البطل).

- نجد في القرآن الكريم والأحاديث دلائل عدة تشير إلى اهتمام
الإسلام باحترام الأسماء المقدسة. مثلما ورد في هذه السورة: مضافاً
إلى تسبيح ذات الله فيجب أن تنزهوا اسم الله كذلك.

ويقول في موضع آخر: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٢)، وينتقد في موضع آخر تسمية الملائكة بأسماء

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة النور: الآية ٦٣.

٢٢٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

النساء: ﴿لِيُسَمُّوْنَ الْمَلَكَةَ تَسْمِيَةً أَلْأُنثَى﴾^(١)، وكان النبي ﷺ يغيّر أسماء أصحابه إن لم تكن لائقة.

- وردت مسألة الخلق والهداية كذلك في الآية الخمسين من سورة طه، إذ سأل فرعون، موسى ﷺ: من ربك؟ قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، وليس خافياً أن المقصود من هذه الهداية، الهداية التكوينية التي وضعها الله تعالى في الموجودات. مثال على ذلك تركيب جسم الأم الذي هداه الله لتكوين الحليب وهدى الرضيع لأن يلتقط ثدي والدته ويرضع الحليب.

بمرور الوقت، تُفهم الهداية التكوينية للموجودات بشكل أفضل، فقد اندفع آلاف العلماء للتحقيق واحتملوا ليعرفوا كيف ترجع الطيور والأسماك إلى مواطنها حتى بعد أن تبعد مئات الكيلومترات عنها. وُضعت الهداية الإلهية في كل موجود وهي التي تقوده إلى طريق التكامل. تتحول ذرات التراب إلى فاكهة، الفاكهة تصبح نطفة، النطفة تتكامل إلى إنسان، ثم يصبح جسم الإنسان تراباً مرة أخرى.

- (سوى) بمعنى التنظيم، وشامل للنظام في المجرات حتى النظام الحاكم على الحشرة التي لا ترى بالعين المجردة. (غشاء) يعني

(١) سورة النجم: الآية ٢٧.

النبات الجاف والحشيش اليابس، و(أحوى) يعني الخضرة المائلة إلى السواد.

- حتى الورقة الصغيرة والحشيش اليابس لا يترك لحال سبيله. المرج الأخضر الذي تحوّل في نظرنا إلى حشيش يابس وأسود، هو نفسه في نظام الهداية الإلهية يتحول إلى مادة أخرى ضرورية لخصوبة الأرض وقوة الشجر، أو يتجمّع ويبدّل تحت ظروف معيّنة إلى فحم أو أي مادة مفيدة للتراب.

النعاليم

- ١- اسم الله مقدّس. اجتنبوا أي إهانة لاسمه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٢- لا تقرنوا الأوصاف غير اللائقة باسم الله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٣- لا تُطلقوا أسماء الله الخاصة به على الآخرين: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

- ٤- تسبيح الله سبب في رشدكم وتربيتكم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٥- تقع مسؤولية محاربة الشرك في الدرجة الأولى على عاتق القائد السماوي ومن ثم على عاتق كل المؤمنين: ﴿سَبِّحْ﴾.
- ٦- يكون التوحيد الكامل، في ظلّ تنزيه ذات الله وتسبيح اسمه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

٢٢٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

٧- إِنَّ اللَّهَ أَعْلَىٰ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يُقَالُ أَوْ يُكْتَبُ أَوْ يُصَوَّرُ. إِنَّهُ أَعْلَىٰ مِنْ كُلِّ الْكِمَالَاتِ: ﴿رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾.

٨- إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ خَالِقَ فَحَسَبَ، بَلْ مُضَافًا إِلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مَنْظَمُ الوجود والوجودات: ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.

٩- قدرة الموجودات وهدايتها، دليل على وجود هدف للخلق: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

١٠- الأوامر الإلهية مصاحبة للحكمة والدليل. سَبَّحَ اسْمَ اللَّهِ لَأَنَّهُ الْأَعْلَىٰ، خَلَقَ وَسَوَّىٰ وَهَدَىٰ: ﴿سَبَّحَ.. الْأَعْلَىٰ﴾ خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾.

١١- تظهر الهداية التكوينية للموجودات بصُور مختلفة. قد تكون خضراء وأحياناً يابسة ولكن كلاهما في مدار الهداية: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال (ج ٢٠)

نسب الله

تبدأ السورة بخلاصة دعوة الأنبياء ﷺ، حيث التسبيح والتقديس أبداً لله الواحد الأحد، فتخاطب النبي الأكرم ﷺ بالقول: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾.

يذهب جمع من المفسرين إلى أن المراد بال ﴿أَسْمَ﴾ هنا هو (المسمى)، في حين قال آخرون هو (اسم الله) سبحانه وتعالى.

وليس ثمة فرق كبير بين القولين، فالإسم يدل على المسمى.

وعلى أية حال، فمراد الآية أن لا يوضع اسمه جلّ شأنه في مصاف أسماء الأصنام، ويجب تنزيه ذاته المقدسة من كلّ عيب ونقص، ومن كلّ صفات المخلوق وعوارض الجسم، أي أنه لا يحد. فينبغي على المؤمنين ألا يتعاملوا مع اسمه الجليل كتعامل عبدة الأصنام، بأن يضعوا اسمه تعالى مع أسماء أصنامهم، ولا يفعلوا كما يفعل المجسمة، ممن وقعوا في خطأ كبير وفاحش حينما نسبوا إلى الباري جلّ جلاله الصفات الجسمية.

الأَعْلَى: أي الأعلى من كلّ: أحد، تصوّر، تخيل، قياس، ظن، وهم، ومن أي شرك بشقيه الجلي والخنفي.

رَبَّكَ: إشارة إلى أنه غير ذلك الرب الذي يعتقده عبدة الأصنام.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

سورة الأعلى

١ - أمير المؤمنين عليه السلام - عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلَى الْكُوفَةِ صَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَقَرَأَ بِهِمْ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. (١)

(١) ج ١٨، ص ٤٤ - بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٣٥ / نور الثقلين.

٢- الرّسول ﷺ - عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. (١)

٣- الصادق عليه السلام - الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا كَانَ لَنَا شِيعَةً أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. (٢)

٤- أمير المؤمنين عليه السلام - عَنْ أَبِي حَمِيصَةَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَلَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَقَالَ لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَقَرَأَهَا الرَّجُلُ كُلُّ يَوْمٍ عِشْرِينَ مَرَّةً وَأَنْ مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ صُحُفَ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى. (٣)

ثواب القراءة

١- الصادق عليه السلام - مَنْ قَرَأَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (٤)

٢- الرّسول ﷺ - مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ الْأَجْرِ بَعْدَ كُلِّ حَرْفٍ أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ ﷺ وَإِذَا قُرِئَتْ عَلَى الْأُذُنِ الْوَجْعَةُ زَالَ ذَلِكَ عَنْهَا وَإِنْ قُرِئَتْ عَلَى الْبَوَاسِيرِ

(١) ج ١٨، ص ٤٤ - بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٣٢٢ / نور الثقلين.

(٢) ج ١٨، ص ٤٤ - ثواب الأعمال، ص ١١٨ / نور الثقلين.

(٣) ج ١٨، ص ٤٤ - مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٢١٧ / نور الثقلين / البرهان.

(٤) ج ١٨، ص ٤٤ - ثواب الأعمال، ص ١٢٢ / نور الثقلين / البرهان، فيه: «ان شاء الله» محذوف.

قَلَعْتُهُنَّ وَبَرِيءٌ صَاحِبُهُنَّ سَرِيعاً. (١)

٣- الرَّسُولُ ﷺ - مَنْ قَرَأَهَا أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ حَرْفٍ أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ ﷺ. (٢)

[سورة الأعلى (٨٧): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

١- ابن عباس (رحمة الله عليه) - قِيلَ مَعْنَاهُ قِيلَ بِاسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى. (٣)

٢- ابن عباس (رحمة الله عليه) - كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَرَأَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى. (٤)

٣- الباقر عليه السلام - إِذَا قَرَأْتَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، وَإِنْ كُنْتَ فِي الصَّلَاةِ فَقُلْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ. (٥)

٤- الرضا عليه السلام - وَإِذَا قَرَأَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ سِرّاً

(١) ج ١٨، ص ٤٤ - البرهان.

(٢) ج ١٨، ص ٤٦ - المصباح للكفعمي، ص ٤٥٠ / نور الثقلين / نور الثقلين.

(٣) ج ١٨، ص ٤٦ - بحر العرفان، ج ١٧، ص ٢.

(٤) ج ١٨، ص ٤٦ - مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ١٨٢ / نور الثقلين.

(٥) ج ١٨، ص ٤٦ - نور الثقلين.

سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى. (١)

٥ - أمير المؤمنين عليه السلام - إِذَا قَرَأْتُمْ مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ الْآخِرَةِ فَقُولُوا

سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَعْلَى. (٢)

٦ - الباقر عليه السلام - إِذَا قَرَأْتَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقُلْ فِي نَفْسِكَ

سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى. (٣)

٧ - الرسول صلَّى الله عليه وآله - قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ عَلِيُّ عليه السلام يَا رَسُولَ اللَّهِ

صلَّى الله عليه وآله مَا أَقُولُ فِي السُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ فَنَزَلَ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى قَالَ
فَمَا أَقُولُ فِي الرُّكُوعِ فَنَزَلَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ
ذَلِكَ وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سَبْعَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا مَعَ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله
وَصَلَّى مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَبَعْدَ النَّبِيِّ ثَلَاثِينَ سَنَةً. (٤)

٨ - السجّاد عليه السلام - إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا يُقَالُ لَهُ خِرْقَائِيلُ لَهُ ثَمَانِيَةَ

عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فَخَطَرُ لَهُ خَاطِرٌ
هَلْ فَوْقَ الْعَرْشِ شَيْءٌ فَرَّادَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَهَا أَجْنَحَةً أُخْرَى فَكَانَ لَهُ
سِتٌّ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ
أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ طِرْ فَطَارَ مِقْدَارَ عِشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ لَمْ يَنْلُ رَأْسَ

(١) ج ١٨، ص ٤٦ - عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١٨٣ / نور الثقلين.

(٢) ج ١٨، ص ٤٦ - الخصال، ج ٢، ص ٦٢٩ / نور الثقلين.

(٣) ج ١٨، ص ٤٦ - مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ١٨٠ / بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٤٩ / القمي ج ٢
ص ٤١٦ / عيون أخبار الرضا (ج ٢ ص ١٨٢).

(٤) ج ١٨، ص ٤٦ - بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٢٠٣.

قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ثُمَّ ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَاحِ وَالْقُوَّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ
يَطِيرَ فَطَارَ مِقْدَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَامٍ لَمْ يَنْلِ أَيْضاً فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَيْهَا
الْمَلِكُ لَوْ طَرْتَ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ مَعَ أَجْنَحَتِكَ وَقُوَّتِكَ لَمْ تَبْلُغْ إِلَى سَاقِ
عَرْشِي فَقَالَ الْمَلِكُ سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ سَبِّحْ اسْمَ
رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ. (١)

٩- أمير المؤمنين عليه السلام - الْأَصْبَغُ أَنَّهُ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ
قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فَقَالَ مَكْتُوبٌ عَلَى قَائِمَةِ
الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ بِالْفِي عَامٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَاشْهَدُوا بِهِمَا وَأَنَّ عَلِيًّا
وَصِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ. (٢)

(١) ج ١٨، ص ٤٦ - بحار الأنوار، ج ٥٥، ص ٣٤ / روضة الواعظين، ج ١، ص ٤٧ / البرهان؛ بتفاوت لفظي.

(٢) ج ١٨، ص ٤٨ - بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٦٥ / القمى، ج ٢، ص ٤١٧ / نور الثقلين / البرهان / بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٥.

الآية الحادية عشر

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]

مُراجعة النفس

الدرس المنتزع من الآية الكريمة أن يجعل المكلف التسبيح المقرون بالحمد والاستغفار كلما أنهى عمل أو حقق إنجاز؛ لأن النفس أمارَةٌ بالسوء ومعجبة بالتالي تحتاج إلى الارتباط الوثيق بالله عز وجل، من خلال شعيرة التسبيح والاستغفار ومراجعة النفس فالله أعلم بخائنة الأعين وما تخفيه الصدور فالتسبيح ميزانٌ له على أن ينزه الله جلَّ وعلا عما لا يليق بجاهه من نقصٍ فيما أنجزه أو الجور فيما حققه ليستحضر جلال الله وعدالته المتمثلة في شعيرة التسبيح لفظًا واعتقادًا وهذا يعطينا درساً نحنُ البشرُ في مُراجعة حساباتنا في عبادتنا ومُعاملاتنا وفيما مضى من أعمارنا وفيما أُستقبل من أيامنا فتلك حقيقة حقيقة الإخلاص.

في بوتقة التفسير..

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ٢٠)

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قوله تعالى ظهور ﴿إِذَا﴾ المصدرة بها الآية في الاستقبال يستدعي أن يكون مضمون الآية إخباراً بتحقيق أمر لم يتحقق بعد، وإذا كان المخبر به هو النصر والفتح وذلك مما تقر به عين النبي ﷺ فهو وعد جميل وبشرى له ﷺ ويكون من ملاحم القرآن الكريم.

وليس المراد بالنصر والفتح جنسهما حتى يصدقا على جميع المواقف التي أيد الله فيها نبيه ﷺ على أعدائه وأظهر دينه على دينهم كما في حروبه ومغازيه وإيمان الأنصار وأهل اليمن كما قبل إذا يلائمه قوله بعد: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

وليس المراد بذلك أيضاً صلح الحديبية الذي سماه الله تعالى فتحاً إذ قال ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾: [الفتح: ١] لعدم انطباق الآية الثانية بمضمونها عليه.

وأوضح ما يقبل الانطباق عليه النصر والفتح المذكوران في الآية هو فتح مكة الذي هو أم فتوحاته ﷺ في زمن حياته والنصر الباهر الذي انهدم به بنيان الشرك في جزيرة العرب.

ويؤيده وعد النصر الذي في الآيات النازلة في الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

نِعْمَتُهُ وَعَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾:
[الفتح: ٣] فإن من القريب جدا أن يكون ما في الآيات وعدا بنصر عزيز
يرتبط بفتح الحديبية وهو نصره تعالى نبيه ﷺ على قريش حتى فتح
مكة بعد مضي سنتين من فتح الحديبية.

وهذا الذي ذكر أقرب من حمل الآية على إجابة أهل اليمن الدعوة
الحقة ودخولهم في الإسلام من غير قتال، فالأقرب إلى الاعتبار كون
المراد بالنصر والفتح نصره تعالى نبيه ﷺ على قريش وفتح مكة، وأن
تكون السورة نازلة بعد صلح الحديبية ونزول سورة الفتح وقبل فتح
مكة.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ قال
الراغب: الفوج الجماعة المارة المسرعة، وجمعه أفواج. انتهى.

فمعنى دخول الناس في دين الله أفواجا دخولهم فيه جماعة بعد
جماعة، والمراد بدين الله الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ﴾: [آل عمران: ١٩].

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
هَذَا النصر والفتح إذ لا لا منه تعالى للشرك وإعزازا للتوحيد وبعبارة
أخرى إبطالا للباطل وإحقاقا للحق ناسب من الجهة الأولى تنزيهه
تعالى وتسبيحه، وناسب من الجهة الثانية - التي هي نعمة - الثناء عليه

تعالى وحمده فلذلك أمره ﷺ بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

وهاهنا وجه آخر يوجه به الأمر بالتسييح والتحميد والاستغفار جميعا وهو أن للرب تعالى على عبده أن يذكره بصفات كماله ويذكر نفسه بما له من النقص والحاجة ولما كان في هذا الفتح فراغه ﷺ من جل ما كان عليه من السعي في إمطة الباطل وقطع دابر الفساد أمر أن يذكره عند ذلك بجلاله وهو التسييح وجماله وهو التحميد وأن يذكره بنقص نفسه وحاجته إلى ربه وهو طلب المغفرة ومعناه فيه ﷺ - وهو مغفور - سؤال إدامة المغفرة فإن الحاجة إلى المغفرة بقاء كالحاجة إليها حدوثا فافهم ذلك، وبذلك يتم شكره لربه تعالى وقد تقدم كلام في معنى مغفرة الذنب في الأبحاث السابقة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ تعليل للأمر بالاستغفار لا يخلو من تشويق وتأکید.

بحث روائي

في المجمع، عن مقاتل: لما نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على أصحابه - ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى - فقال ﷺ ما يبكيك يا عم؟ قال: أظن أنه قد

نعيت إليك نفسك يا رسول الله - فقال: إنه لكما تقول فعاش بعدها سنتين - ما رُئي بعدها ضاحكا مستبشرا .

وفيه، عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ بالآخرة لا يقوم - ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلا قال: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه - فسألناه عن ذلك فقال: إني أمرت بها - ثم قرأ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

أقول: وفي هذا المعنى غير واحد من الروايات مع اختلاف ما فيها كان يقوله ﷺ.

وفي العيون، بإسناده إلى الحسين بن خالد قال: قال الرضا عليه السلام سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام: أن أول سورة نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ - وآخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾.

أقول: لعل المراد به أنها آخر سورة نزلت تامة كما قيل.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- ذهب أكثر المفسرين إلى الربط بين هذه السورة وبين فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة؛ إذ ظهر لكثير من الناس حقبة الإسلام فآمنوا به وحسن إيمانهم، في حين تظاهر البعض الآخر بالإيمان خوفاً من الإسلام، مثل أبي سفيان الذي قال عنه الإمام علي عليه السلام: "ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر."

وقد ذكر القرآن نوعين من الدخول في دين الله: أحدهما دخول الناس في الدين الذي ورد في هذه السورة^(١): ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، والآخر هو دخول الإيمان في قلوب الناس كما ورد في سورة الحجرات: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢).

- ورد في الحديث: عندما يظهر الإمام المهدي (عج)، يؤمن به الناس أفواجا أفواجا^(٣).

- أكد القرآن على تسبيح الله أكثر من الحمد والتكبير؛ إذ وردت كلمة التسبيح في القرآن أكثر من كلمتي الحمد والتكبير.

- نقرأ في الحديث: عند فتح مكة، دخل النبي ﷺ إلى المسجد الحرام أولاً وأقام الصلاة فيه^(٤).

- نصره الله منوطة بنصر الناس للدين: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٥).

- وردت كلمة "التَّوَاب" إحدى عشرة مرة في القرآن. في تسع مرات جاءت مصاحبة لكلمة الرحمة ﴿تَوَابًا رَحِيمًا﴾ ومرة واحدة مع

(١) بحار الأنوار، ٣٢، ص ٣٢٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٤.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

(٥) سورة محمد: الآية ٧.

الحكمة وجاءت مرّة واحدة بصورة مطلقة في هذه السورة. (١)

- أعلن النبي الأكرم عفواً عاماً في فتح مكّة، وفتحت مكّة دون إراقة للدماء. حتى عندما سمع ﷺ سعد بن عبادة يطلق شعار الانتقام ويقول: "اليوم يوم الملحمة"، أخذ منه الراية وأعطاه للإمام علي عليه السلام، وطالبه برفع شعار: "اليوم يوم الرحمة".

- الفتح والنصر الحقيقي من عند الله تعالى. فلا تتكلوا على الأدوات والتجهيزات والقوى البشرية، فقد تكون كل الإمكانيات موجودة ومع ذلك تُهزمون: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. (٢)

- تبدّل في فتح مكّة أمل المشركين يأساً، وأصبح مركز الشرك مركزاً للتوحيد. تبددت كل الموانع التي كانت عقبة في طريق المؤمنين، تُبّت الإسلام وصار جاهزاً لتصديره إلى الدول الأخرى.

- الاستغفار إمّا لتنوير القلب أكثر، وإمّا للتخفيف من نشوة النصر وغروره؛ وإمّا لغفران ذنوب الأمة، وإمّا لمعرفة النبي الرفيعة بالله تعالى.

كلمة في فتح مكّة

أخلّ المشركون بالعهد بعد صلح الحديبية، فجهّز النبي ﷺ

(١) سورة النساء: الآية ١٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

جيشاً وفتح مكة دون إراقة أيّ دم. وخلاصة ما حدث هو الآتي:
نصب المسلمون خيامهم على بعد كيلومترات من مكة، وخرج أبو
سفيان للاستطلاع من مكة ليلاً والتقى العباس، عم النبي الأكرم.
قال العباس: جاءكم النبي على رأس عشرة آلاف جندي. ففرع أبو
سفيان واستجار بالعباس وقبل النبي العباس له وأقره عليه، وقال
كلمته المشهورة: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه
فهو آمن".

وطلب النبي ﷺ من عمه العباس أن يأخذ أبا سفيان إلى حيث
يرى جيش المسلمين أثناء دخولهم إلى مكة. ففعل وعندما رأى أبو
سفيان كثرة عدد المسلمين المقاتلين قال للعباس: "إنّ ملك ابن أخيك
عظيم"، فأوضح له العباس إنّها النبوة وليست ملكاً. وعندما عاين أبو
سفيان ما عاين، يئس من إمكان مواجهة المسلمين، فذهب إلى
المسجد الحرام، وطلب من أهل مكة الكفّ عن القتال وعدم مواجهة
المسلمين، وخيّرهم بين التزام دورهم، وبين اللجوء إلى المسجد
الحرام.

وهكذا عاد رسول الله ﷺ إلى مسقط رأسه منتصراً مظفراً بعد
أن خرج منه متخفياً، فسجد لله شكراً على نعمته، ثم تلا سورة الفتح
ودخل إلى المسجد الحرام وكان المسلمون يكبرون معه. واقترب
ﷺ من الكعبة وحطم الأصنام وقال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ

الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا^(١) ولأنّ يده ﷺ لم تصلا إلى الأصنام الكبيرة الموضوعة على سطح الكعبة، أمر الإمام علي عليه السلام أن يصعد على كتفيه ويحطّم الأصنام. ثم أحاط بالكعبة وسأل أهل مكة: ماذا ترون أنّي فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فاغرو رقت عيناه ﷺ بالدموع وبكى الناس. فقال ﷺ ما قاله يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ^(٢)﴾، اذهبوا فأنتم الطلقاء. وردّ شعار التوحيد: "لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده نصر عبده..." وطالب المسلمين بتناسي الدماء التي سُفكت والأموال التي نُهبَت، ودعا إلى فتح صفحة جديدة من التاريخ.

النعاليم

- ١ - يتحقّق الفوز في ظلّ النصر الإلهي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
- ٢ - هلاك رؤوس الشرك والكفر سبب لدخول الناس في التوحيد وعبادة الله الواحد: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.. النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.
- ٣ - المسلمون مكلفون قدر استطاعتهم وإمكاناتهم، بالسعي إلى تهيئة الأسباب لدخول الآخرين إلى الإسلام: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.. النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٢.

٤- لو أنَّ الموانع والمعيقات ترفع من أمام الدين، فإنَّ الناس سوف يدخلون فيه أفواجاً: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

٥- كان الناس يسلمون واحداً واحداً قبل فتح مكّة، ولكن بعد فتح مكّة، أفواجاً أفواجاً: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

٦- لا يحملنكم النصر والفتح على الغرور، فكل شيء هو من الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٧- يجب أن يكون تنزيه الله تعالى عن العيب والنقص والظلم مصاحباً لشكر نعمه وتسييحه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

٨- حمد الله وشكره وتسييحه، مقدمة للاستغفار وطلب العفو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ.. وَأَسْتَغْفِرُ﴾

٩- عندما يصل الصالحون إلى السلطة، فإنهم يعطرون أرواحهم وأنفاسهم بذكر الله بدلاً من الغرور والغفلة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

١٠- إنَّ الله منزّه عن أن يترك أنصار دينه وحدهم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ.. فَسَبِّحْ﴾.

١١- على كل شخص حتّى النبي ﷺ أن يستغفر الله في ختام تسييحه وحمده: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾.

١٢ - تقتضي سنة الله تعالى قبول التوبة: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٢٠)

عند انبلاج فجر النصر

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

هذه الآيات الثلاث القصار في ألفاظها العميقة في محتواها تتضمن مسائل دقيقة كثيرة نسلط عليها الضوء كي تساعدنا في فهم معنى السورة.

١ - ﴿النَّصْرُ﴾: في الآية أضيف إلى الله ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ وفي كثير من المواضع القرآنية نجد نسبة النصر إلى الله. يقول سبحانه أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ، ويقول: وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وهذا يعني أن النصر في أي حال لا يكون إلا بإرادة الله، نعم، لا بد من إعداد القوة للغلبة على العدو، لكن الإنسان الموحد يؤمن أن النصر من عند الله وحده، ولذلك لا يغتر بالنصر، بل يتجه إلى شكر الله وحمده.

٢ - في هذه السورة دار الحديث عن نصره الله، ثم عن ﴿الْفَتْحِ﴾ والانتصار، وبعدها عن اتساع رقعة الإسلام ودخول الناس في دين الله زرافات ووحدانا.

وبين هذه الثلاثة ارتباط علة ومعلول. فبنصر الله زرافات يتحقق

٢٤٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الفتح، وبا الفتح تزال الموانع من الطريق ويدخل الناس في دين الله أفواجا.

بعد هذه المراحل الثلاث - التي يشكل كل منها نعمة كبرى - تحل المرحلة الرابعة وهي مرحلة الشكر والحمد.

من جهة أخرى نصر الله، والفتح هدفهما النهائي دخول الناس في دين الله وهداية البشرية.

٣- ﴿الْفَتْحُ﴾ هنا مذكور بشكل مطلق، والقرائن تشير - كما ذكرنا - أنه فتح مكة الذي كان له ذلك الصدى الواسع المذكور في الآية.

«فتح مكة» فتح في الواقع صفحة جديدة في تاريخ الإسلام، لأن مركز الشرك قد تلاشى بهذا الفتح، انهدمت الأصنام، وتبددت آمال المشركين وأزيلت السدود والموانع من طريق إيمان الناس بالإسلام.

من هنا، يجب أن نعتبر فتح مكة بداية مرحلة تثبيت أسس الإسلام واستقراره في الجزيرة العربية ثم في العالم أجمع. لذلك لا نرى بعد فتح مكة مقاومة من المشركين (سوى مرة واحدة قمعت بسرعة) وكان الناس بعده يفدون على النبي من كل أنحاء الجزيرة ليعلنوا إسلامهم.

٤- في نهاية السورة يأمر الله سبحانه نبيه (بل كل المؤمنين) بثلاثة أمور ليجسد آلاء الشكر وليتخذ الموقف الإيماني المناسب من النصر

الإلهي وهي: «التسبيح» و«الحمد» و«الاستغفار».

«التسبيح» تنزيه الله من كل عيب ونقص.

و«الحمد» لوصف الله بالصفات الكمالية.

و«الاستغفار» إزاء تقصير العبد.

هذا الانتصار الكبير أدى إلى تطهير الساحة من أفكار الشرك،
وإلى تجلي جمال الله وكماله أكثر من ذي قبل، وإلى اهتداء من ضلّ
الطريق إلى الله.

هذا الفتح العظيم أدى إلى أن لا يظن فرد بأن الله يترك أنصاره
وحدهم (ولذلك جاء أمر التسبيح لتنزيهه من هذا النقص) وإلى أن
يعلم المؤمنون بأن وعده الحق (موصوف بهذا الكمال)، وإلى أن
يعترف العباد بنقصهم أمام عظمة الله.

أضف إلى ما سبق، أن الإنسان - عند النصر - قد تظهر عليه ردود
فعل سلبية فيقع في الغرور والتعالي، أو يتخذ موقف الانتقام وتصفية
الحسابات الشخصية، وهذه الأوامر الثلاثة تعلمه أن يكون في لحظات
النصر الحساسة ذاكرة لصفات جلال الله وجماله وأن يرى كل شيء منه
سبحانه، ويتجه إلى الاستغفار كي يزول عنه غرور الغفلة ويبتعد عن
الانتقام..

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

الكليات

١ - الرسول ﷺ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتِ السُّورَةُ
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ كَثِيراً سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. (١)

٢ - الرسول ﷺ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِآخِرِهِ
لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ وَلَا يَجِيءُ وَلَا يَذْهَبُ إِلَّا قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أُمرْتُ بِهَا ثُمَّ قرأ إذا
جاء نصرُ الله والفتحُ. (٢)

٣ - الرسول ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. (٣)

٤ - الرسول ﷺ - فَنَزَلَتِ سُورَةُ النَّصْرِ فَكَانَ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ
وَالْقِرَاءَةِ بَعْدَ نَزْوِهَا فَيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ
إِلَيْهِ. (٤)

(١) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٠ - بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٠٠ / البرهان / نور الثقلين؛
«بتفاوت».

(٢) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٠ - بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٠٠ / البرهان / نور الثقلين.

(٣) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٠ - بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٠٠ / البرهان.

(٤) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٢ - بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٧١ / البرهان.

١-١- ابن عباس (رحمة الله عليه) - فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ يَقُولُ
فَصَلِّ بِأَمْرِ رَبِّكَ. (١)

١-٢- ابن عباس (رحمة الله عليه) - وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا يَقُولُ مُتَجَاوِزًا. (٢)

٢-٢- الرسول ﷺ - يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ
فَضْلَهُ وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ هَدِيَّةٌ
لِي خَاصَّةٌ وَلِأُمَّتِي مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَحَدًا مِمَّنْ
كَانَ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ. (٣)

(١) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٢ - فوات الكوفى، ص ٦١٤.

(٢) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٢ - فوات الكوفى، ص ٦١٤.

(٣) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٨، ص ٤٤٢ - مستدرک الوسائل، ج ٦، ص ٢١٩ / بحار الأنوار،
ج ٩٥، ص ٧٣ / إقبال الأعمال، ص ٢٤١ / ثواب الأعمال، ص ٧٥ «بتفاوت» / فضائل الأشهر الثلاثة،
ص ١٣٤.

الآية الثانية عشر

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ

عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]

معارف حول الآية الكريمة

الآية الكريمة تضمنت عدّة من المضامين حول التوكل والحياة للحي القيوم والتسبيح المقرون بالحمد وإحاطة الله بذنوب العباد، نُسلط الضوء على مضمونين من مضامين الآية الكريمة: التوكل والحياة لله وخطاب الله ﷻ إلى نبيه الكريم بالتوكل؛ لأنه مصدر القوة والنشاط والتفاني في الله ﷻ، والرسول ﷺ قطعاً أفضل الأنبياء والمرسلين ﷺ لذا نجد في ذلك مواقف المتعددة مع قريش والعرب والأحزاب واليهود... إلخ.

والقرآن المجيد رسم صورة النبي إبراهيم الخليل حينما تحدى نمروده وقومه في توكله على الله، ننقل هذه الصورة الرائعة من سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام كالآتي:

رُوي عن إبراهيم عليه السلام ((أنه لما ألقى في النار، تلقاه جبريل في الهواء، فقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل. ميكائيل فقال: إن أردت أن أخد النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي، فقال: لا أريد. وأتاه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار. فقال: لا أريد، فقال جبرئيل: فسأل الله. فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي)).^(١)

فإذا كان هذا الخليل عليه السلام، ماذا يكون الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؟ قطعاً لا يوصف.

إليكُم الآن تعاريف التوكل على الله جلّ وعلا.

التوكل هو اعتماد القلب في جميع الأمور على الله. وبعبارة أخرى: حوالة العبد جميع أموره على الله، وبعبارة أخرى: هو التبري من كل حول وقوة، والاعتماد على حول الله وقوته. وهو موقوف على أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لا فاعل إلا الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد، ثم التمام والعطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد، وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة، ولا وراء منتهى علمه علم، ولا وراء منتهى عنايته عناية.

فمن اعتقد ذلك اتكل قلبه لا محالة على الله وحده، ولم يلتفت إلى

(١) سفينة البحار، ج ٢، ص ٦٨٣.

غيره ولا إلى نفسه أصلاً. ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه، إما ضعف اليقين، أو ضعف القلب، ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه. فان القلب الضعيف ينزعج تبعاً للوهم، وطاعة له من غير نقصان في اليقين. ^(١)

بعد أن عرفنا معنى التوكل من خلال التعاريف السابقة، وأوضحنا بأن الرسول الأعظم من أعظم وأسمى المتوكلين على الله سبحانه، ومسك الختام في مسألة التوكل نُذكر أن الوكيل اسم من أسماء الله الحسنى، فالوكيل هو الكافي، أو الموكل إليه جميع الأمور وقيل: هو الكفيل بأرزاق العباد والقائم بمصالحهم ومنه: (حسبنا الله ونعم الوكيل بأمورنا القائم بها)، وقد يكون بمعنى المعتد والمُلجأ. ^(٢)

إذن هذا التسبيح المستحق كما جاء في تسبيحة يوم الجمعة، سبحانه من لا ينبغي التسبيح إلا له.

والآن نتطرق إلى مضمون اسم (الحي)، فكما هو معلوم أن الأسماء الحُسنى وردت في القرآن الكريم في العديد من الآيات وكذلك وردت في أحاديث وأدعية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، نأخذ فصلاً من فصول دُعاء الجوشن الكبير المأثور عن الإمام الكاظم عليه السلام، يقول (يا حيّاً قبلَ كُلِّ حيٍّ، يا حيّاً بعدَ كُلِّ حيٍّ، يا حيُّ ليسَ

(١) جامع السعادات، ج ٣، ص ٥٩٧.

(٢) المقام الأسمى في تفسير الأسماء الحُسنى، ص ٧٣.

كمثله حي، يا حيُّ الذي لا يُشاركه حيُّ، يا حيُّ الذي لا يحتاجُ إلى حيِّ،
يا حي الذي يُميتُ كُلَّ حي، يا حي الذي يرزُقُ كُلَّ حي، يا حيًّا لم يرث
الحياة من حي، يا حيُّ الذي يُحيي الموتى، يا حيُّ يا قيومُ لا تأخذه سنةٌ
ولا نومٌ، سُبْحَانَكَ... (١).

نستنتج معنى الحيِّ كاسمٍ لله عزَّ وجلَّ أَنَّ اللهَ ﷻ هو الحي الكامل
الذي تدرج جميع المدركات تحت إدراكه ﷻ، حتى لا يشذ عن علمه
مُدرك وعن فعله مخلوق وكل ذلك للحي القيوم المُسَبِّح في السماوات
والأرضين.

ثم أَنَّ الحياةَ الحقيقةَ الحقيقية ذاتيةً لله تعالى؛ إذ الحي إما حقيقي، وهو
أن يكون نفس الحياة؛ وإما غير حقيقي، وهو أن يكون شيء له الحياة.
فالأول تعالى ﷻ (يا حيًّا قَبْلَ كُلِّ حي، ..) والمفارقات من العقول
والنفوس حيثُ أَنَّ الحياةَ ذاتيةً لها.

والثاني، كالأبدان المتعلقة بها النفوس فإن الحياة لو كانت ذاتية
للأجسام بما هي أجسام، لكان كل جسم حيًّا، فهي أشياء طرأ عليها
الحياة، ولذا سمّوا عالم الأجسام، عالم الموت والظلمة ولكن حياة
العقول والنفوس وإن كانت ذاتية لها بمعنى أنها عين ذواتها أعني
وجوداتها، لكن ليست عين ماهياتها كنفس وجوداتها إذ الماهية من

(١) شرح دعاء الجوشن الكبير، للحكيم المتأله المولى هادي السبزواري، الفصل ٧٠، العدد ٣٨.

حيث هي ليست إلهي .

وأما الحي الحق الحقيقي تعالى شأنه، حيث لا ماهية له غير الإنسية، فكما حياته عين وجوده، كذلك عين ذاته، فهو قبل كل حي، قبلية ذاتية هي عين حيثية البعدية ولم يرث الحياة من حيي بأن يكون حياته عرضية معللة بغيره وإن ورث الأرض ومن عليها، باعتبار أنه غاية الغايات والمالك بالاستحقاق للوجودات والكمالات في الباديات والعائدات، وفيما مضى وفيما هو آتٍ، يظهر ذلك بملاحظة الأجسام بل الماهيات فقط وبشرط لا، والحياتات بل الوجودات كلاً وطراً، مرتبطات في الطول بالحي الحقيقي وآلات لملاحظته؛ فحينئذ يظهر بالنظر العلمي أن هذه الحياتات من صُقعها، وليس مثله وثانيه حيي، ولا يشاركه ولا يكافيه شيء (١).

إضاءات تفسيرية

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١١)

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ لما سجل على نبيه ﷺ أن ليس له من أمرهم شيء إلا الرسالة وأمره أن يبلغهم أن لا بغية له في دعوتهم إلا الاستجابة لها وأنهم على خيرة من أمرهم إن شأوا وآمنوا وإن شأوا

(١) شرح دعاء الجوشن الكبير، للحكيم المتأله المولى هادي السبزواري، الفصل ٧٠، العدد ٣٩.

كفروا تم ذلك بأمره ﷺ أن يتخذة تعالى وكيلا في أمرهم فهو تعالى عليهم وعلى كل شيء وكيل وذنوب عباده خبير.

فقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أي اتخذده وكيلا في أمرهم يحكم فيهم ما يشاء ويفعل بهم ما يريد فإنه الوكيل عليهم وعلى كل شيء وقد عدل عن تعليق التوكل بالله إلى تعليقه بالحي الذي لا يموت ليفيد التعليل فإن الحي الذي لا يموت لا يفوته فائت فهو المتعين لأن يكون وكيلا.

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي نزهه عن العجز والجهل وكل ما لا يليق بساحة قدسه مقارنا ذلك للثناء عليه بالجميل فإن أمهلهم واستدرجهم بنعمه فليس عن عجز فعل بهم ذلك ولا عن جهل بذنوبهم وإن أخذهم بذنوبهم فبحكمة اقتضته وباستحقاق منهم استدعى ذلك فسبحانه وبحمده.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِهِ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ مسوق للدلالة على توحيده في فعله وصفته فهو الوكيل المتصرف في أمور عباده وحده وهو خير بذنوبهم وحاكم فيهم وحده من غير حاجة إلى من يعينه في علمه أو في حكمه.

ومن هنا يظهر أن الآية التالية: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ متممة لقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ إلخ، لاشتغالها على

توحيده في ملكه وتصرفه كما يشتمل قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ إلخ على علمه وخبرته وبالحياة والملك والعلم معا يتم معنى الوكالة وسنشير إليه.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

الفرقان

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾

إشارات

- جاءت كلمة «توكل» مع مشتقاتها في القرآن الكريم سبعين مرة، والتوكل بمعنى الاعتماد على الله واتخاذها وكيلاً في جميع الأمور.

- قال الله تعالى للرسول في الآية السابقة: قل للناس: أنا لا أريد منكم أجراً، وكأني به يقول في هذه الآية: يجب على الزعماء الدينيين الذين لا ينظرون إلى أموال الناس أن يتوكلوا على الله وحده في حياتهم.

- التوكل على الله لا يعني التخلي عن السعي وترك الاجتهاد، وذلك كما قال مولانا جلال الدين الرومي:

قال الرسول بأعلى صوته: اعقل ركة البعير وتوكل واستمع إلى ما يُقال من أن الكاسب حبيب الله، ولا تجعل من التوكل سبباً لكسلك اذهب أيها العم وتوكل على الله مع التَّكْسُّب، واجتهد وداوم على

الكسب.

النعاليم

- ١ - اعتماد الفاني على الفاني خطأ، ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.
- ٢ - اعتماد الضعيف على الضعيف كذلك، ﴿تَوَكَّلْ عَلَى ... الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٣ - اعتماد الجاهل على الجاهل لا يفيد شيئاً، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي ... خَيْرًا﴾.
- ٤ - يحتاج الأنبياء أيضاً إلى الموعظة وتذكر الله، ﴿وَتَوَكَّلْ﴾.
- ٥ - الخلود المطلق لله تعالى وحده، ﴿الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.
- ٦ - يجب اتخاذ الله وكيلاً، فهو الحيُّ حياةٌ أبدية، وإذا أمهل العدو اليوم فربما يُقلع عن بهتانهِ ويترك الكفر، وهناك فرصة ومهلة حتى يُنتقم منه في الغد، ﴿لَا يَمُوتُ﴾.
- ٧ - يجب أن يقترن التوكل القلبي بالتسبيح والحمد العاملين، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.
- ٨ - يعلم الله تعالى تفاصيل أعمال العباد علماً دقيقاً، ﴿يَذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾.
- ٩ - يصنّف المجرمون أيضاً من عباد الله، ﴿يَذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾.

١٠ - إيمان الإنسان بأن الله تعالى مُطلع على ذنوبه وآثامه هو أفضل مؤشر على ظهور التقوى، ﴿يَذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾.

١١ - اطلاع الله على ذنوب الناس، مواساة وتشجيع للرسول أيضًا بالإضافة إلى أنه تهديد للكفار. أي لا تقلق، فنحن على علم ببهتانهم وعراقيلهم، وسوف نحاسب الكفار المعاندين، ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٢٠)

تبين الآية التي بعدها المعتمد الأساس للنبي ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

فمع هذا المعتمد والملجأ والمولى الذي ما زال ولن يزال حيا دائما، فلا حاجة لك بأجر وجزاء هؤلاء، ولا خوف عليك من ضررهم ومؤامراتهم.

والآن حيث الأمر على هذه الصورة فسيح الله تنزيها له من كل نقص، واحمده إزاء كل هذه الكمالات ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾.

من الممكن اعتبار هذه الجملة بمنزلة التعليل للجملة السابقة، لأنه تعالى هو المنزه من كل عيب ونقص، وأهل لكل كمال وجمال، وحقيق بالتوكل عليه.

ثم يضيف القرآن الكريم: لا تقلق من بهتان ومؤامرات الأعداء،

٢٥٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

لأنَّ الله مطلع على ذنوب عباده وسيحاسبهم: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا
عَبَادِهِ خَبِيرًا﴾.

على من يجب التوكل؟

في الآيات أعلاه، يأمر الله تبارك وتعالى النبي ﷺ بالتوكل، وأن
يصرف النظر عن جميع المخلوقات، وينظر إلى الله عز وجل فقط.

ولذلك يعدد صفات لهذه الذات المقدسة، هي في الحقيقة شرائط
أساسية فيمن يستطيع أن يكون ملاذا واقعيا وآمنا للناس.

الأولى: هي أن يكون حيا، وذلك أن موجودا ميتا فاقدا لخصائص
الحياة - مثل الأصنام - لا يمكنه أبدا أن يكون معتمدا.

الثانية: هي أن تكون حياته خالدة، بالشكل الذي لا يحدث احتمال
موته تزلزلا في فكر المتوكلين.

الثالثة: هي أن يحيط بكل شيء علما، فيكون مطلعاً على احتياجات
المتوكلين، وعلى خطط ومؤامرات الأعداء أيضا.

الرابعة: هي أن يكون على كل شيء قديرا، حيث لا وجود فيه لأي
شكل من العجز وعدم الاستطاعة الموجبين لضعف هذا الملجأ.

الخامسة: هي أن تكون الحاكمة له على جميع الأمور، وإدارتها بيده
المقتدرة.

ونحن نعلم أن هذه الصفات ليست إلا لله تبارك وتعالى، ولهذا

فهو وحده الملجأ الباعث على الاطمئنان الذي لا يتزلزل أمام كل الحوادث.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

الفرقان

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ٥٩﴾

١-١ - الصادق عليه السلام - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَيْرَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَمَا كَانَ لِيَخْلُقَ الشَّرَّ قَبْلَ الْخَيْرِ وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالْأَرْضَيْنِ وَخَلَقَ أَقْوَاتَهَا فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ أَقْوَاتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. (١)

١ - الهادي عليه السلام - عَنِ الصَّقْرِ بْنِ أَبِي دُلْفٍ الْكَرْخِيِّ قَالَ: لَمَّا حَمَلَ الْمُتَوَكِّلُ سَيِّدَنَا أَبَا الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيَّ عليه السلام جِئْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَبَرِهِ ... فَدَخَلْتُ فَإِذَا جَالِسٌ عَلَى صَدْرٍ حَصِيرٍ وَبِحِذَاهُ قَبْرٌ مُحْفُورٌ قَالَ فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ ثُمَّ أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ ثُمَّ قَالَ لِي يَا صَقْرُ مَا أَتَى بِكَ قُلْتُ يَا سَيِّدِي جِئْتُ أَتَعَرَّفُ خَبَرَكَ قَالَ ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى الْقَبْرِ فَبَكَيْتُ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا

صَقَرُ لَا عَلَيْكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْنَا بِسُوءِ الْآنَ فَقُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ قُلْتُ يَا سَيِّدِي حَدِيثٌ يُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ قَالَ وَمَا هُوَ فَقُلْتُ قَوْلُهُ لَا تُعَادُوا الْأَيَّامَ فَتُعَادِيَكُمْ مَا مَعْنَاهُ فَقَالَ نَعَمْ الْأَيَّامُ نَحْنُ مَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَالَسَّبْتُ اسْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأَحَدُ كِنَايَةٌ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالْإِثْنَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالثَّلَاثَاءُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَالْأَرْبَعَاءُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ وَعَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَنَا وَالْخَمِيسُ ابْنِي الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ وَالْجُمُعَةُ ابْنُ ابْنِي وَإِلَيْهِ تَجْتَمِعُ عَصَابَةُ الْحَقِّ وَهُوَ الَّذِي يَمْلُؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُمْ ظُلْمًا وَجَوْرًا فَهَذَا مَعْنَى الْأَيَّامِ فَلَا تُعَادُواهُمْ فِي الدُّنْيَا فَيُعَادُواكُمْ فِي الْآخِرَةِ ثُمَّ قَالَ وَدَّعْ وَاخْرُجْ فَلَا آمَنُ عَلَيْكَ. (١)

٢-١- أمير المؤمنين ﷺ - إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ نُورٍ أَحْمَرَ احْمَرَّتْ مِنْهُ الْحُمْرَةُ وَنُورٍ أَخْضَرَ اخْضَرَّتْ مِنْهُ الْخُضْرَةُ وَنُورٍ أَصْفَرَ اصْفَرَّتْ مِنْهُ الصُّفْرَةُ وَنُورٍ أَبْيَضَ ابْيَضَّتْ مِنْهُ الْبَيَاضُ وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ وَذَلِكَ نُورٌ مِنْ عَظَمَتِهِ فَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْيَضَّتْ مِنْهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ. (٢)

٢-٢- الصَّادِقُ ﷺ - يَا أَبْرَشُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ كَانَ عَرُّهُ

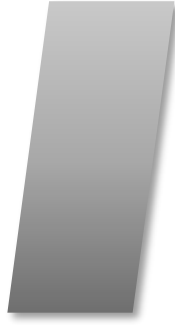
(١) ج ١٠، ص ٤٥٦ - الخصال، ج ٢، ص ٣٩٥.

(٢) ج ١٠، ص ٤٥٨ - إرشاد القلوب، ج ٢، ص ٣٠٨.

الآية الثانية عشر ٢٥٧

عَلَى الْمَاءِ وَالْمَاءِ عَلَى الْهَوَاءِ وَالْهَوَاءُ لَا يُحَدُّ وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ غَيْرُهُمَا
وَالْمَاءُ يَوْمَئِذٍ عَذْبٌ فُرَاتٌ ... وَكَانَتِ السَّمَاءُ خَضِرَاءَ عَلَى لَوْنِ الْمَاءِ
الْعَذْبِ الْأَخْضَرِ وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَضِرَاءَ عَلَى لَوْنِ الْمَاءِ الْعَذْبِ. ^(١)

(١) ج ١٠، ص ٤٥٨ - بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٣٧١.



الفصل الثاني : الآيات التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحَ)

"البالغ عددها ثلاث آياتٍ كريمات"

الآية الثالثة عشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]

الآية الرابعة عشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]

الآية الخامسة عشر: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

الآية الثالثة عشر

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]

أثر التسبيح على المؤمن

أُفتتحت هذه السورة المباركة وبقية السور المسبحات بتسبيح الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجلالة قدسه، لهذا جاءت تعاليم من النبي ﷺ وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام بالحث على المداومة على قراءة تلك السور المباركة، لا سيما حين النوم حتى تنطبع تلك الأسماء الحُسنى والمضامين العظيمة وتعمق الروح الإيمانية عند المؤمن، ولما تحتوي عليه هذه السور المسبحات من أسماء الله الحُسنى الجامعة لصفات الجمال والكمال والاشارات الغيبية من ترويض للسلوك والنفوس، فكلما قرأت تلك السور المباركة تستشعر عظمة الله وحكمته، لذلك كشفت الأحاديث الشريفة عن تلك المضامين القيمة والتعاليم الجليلة الآثار المترتبة حين الاستمرار والمداومة على قرائتها، فمن يعمل بذلك يصبح في الدنيا من أنصار المهدي المنتظر عجل الله

٢٦٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

لهُ الفرج، وفي الآخرة من مجاوري النبي الأعظم ﷺ، وهذا مما يُدلل استفادة المؤمن وعلمه وتعلمه وعمله بما فيه حتى صار من اتصال لتلك المقامات، ونختم هذه الخاطرة بهذين الحديثين الشريفيين:

عن أبي جعفر ع قال: «من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام (يعني السور التي فاتحتها التسبيح مثل الحديد والتغابن والحشر والجمعة) لم يمت حتى يدرك القائم، وإن مات كان في جوار محمد النبي ﷺ». (١)

عن يحيى بن أبي كثير قال: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ المسبحات وكان يقول: إن فيهن آية هي أفضل من ألف آية». (٢)

وإليكم تفسير الآية من قبل علماء التفسير

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩)

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ التسبيح التنزيه وهو نفي ما يستدعي نقصاً أو حاجة مما لا يليق بساحة كماله تعالى، وما موصولة والمراد بها ما يعم العقلاء مما في السماوات والأرض كالملائكة والثقلين وغير العقلاء كالجمادات والدليل عليه ما ذكر بعد من صفاته المتعلقة بالعقلاء كالأحياء والعلم

(١) الكافي: جزء ٢، ص ٦٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٣١٢.

بذات الصدور.

فالمعنى: نزه الله سبحانه ما في السماوات والأرض من شيء وهو جميع العالم.

والمراد بتسبيحها حقيقة معنى التسبيح دون المعنى المجازي الذي هو دلالة وجود كل موجود في السماوات والأرض على أن له موجدا منزها من كل نقص متصفا بكل كمال، ودون عموم المجاز وهو دلالة كل موجود على تنزهه تعالى إما بلسان القول كالعقلاء وإما بلسان الحال كغير العقلاء من الموجودات وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: [إسراء: ٤٤]، حيث استدرك أنهم لا يفقهون تسبيحهم ولو كان المراد بتسبيحهم دلالة وجودهم على وجوده وهي قيام الحجة على الناس بوجودهم أو كان المراد بتسبيحهم وتحميدهم بلسان الحال وذلك مما يفقه الناس لم يكن للاستدراك معنى.

فتسبيح ما في السماوات والأرض تسبيح ونطق بالتنزيه بحقيقة معنى الكلمة وإن كنا لا نفقهه، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: [حم السجدة: ٢١].

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي المنيع جانبه يغلب ولا يغلب، المتقن فعله لا يعرض على فعله ما يفسده عليه ولا يتعلق به اعتراض معترض.

بحث روائي

في الدر المنثور، أخرج أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عرياض بن سارية: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: إن فيهن آية أفضل من ألف آية:

أقول: ورواه أيضا عن ابن الضريس عن يحيى بن أبي كثير عنه ﷺ.

وفي الكافي، بإسناده عن عاصم بن حميد قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد فقال: إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان - أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد - إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك.

وفي تفسير القمي: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال: هو قوله: أوتيت جوامع الكلم.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

ملامح سورة الحديد

سورة الحديد مدنيّة وعدد آياتها، تسع وعشرون آيةً.

السمة الغالبة على آيات هذه السورة أنّها تتحدث عن المسائل الاعتقاديّة، كما أنّها تتعرّض لبعض القضايا الاجتماعيّة ذات الصلة

بالدولة ونظام الحكم. وفي الآيات الأولى منها تشير إلى ما يقرب من عشرين صفة من صفات الله عز وجل.

وعظمة القرآن، وأحوال المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، ومصير الأمم السابقة، والإنفاق في سبيل الله من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، وانتقاد الرهبانية، هذه الموضوعات كلها مما تعرضت له سورة الحديد في آياتها.

وعن الإمام السجّاد عليه السلام، أنه سئل عن التوحيد، فقال: "إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فمن رام وراء ذلك فقد هلك." (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③﴾.

إشارات

- تشترك الآية الأخيرة من سورة الواقعة والآية الأولى من سورة الحديد، في موضوعهما وهو التسبيح، ففي الأولى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٧٠٦.

بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»، وفي الثانية قوله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾.

- توجد في القرآن الكريم، ثماني سور تبدأ بالحديث عن التسبيح،
هي: الإسراء، والنحل، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة،
والتغابن، والأعلى. وقد تكررت كلمة التسبيح بصيغ عدة أكثر من
تسعين مرة. وأما الحمد فقد ورد في مطلع أربع سور فقط، هي: الحمد،
والأنعام، وسبأ، وفاطر، وتكررت مفردة الحمد ما يقرب من سبعين
مرة. وربما كان السر في ذلك، هو إصرار القرآن على مواجهة الشرك،
والخرافات الاعتقادية في ما يؤمن به الناس، وذلك على قاعدة
الاهتمام بما تمس الحاجة إليه، أكثر من الاهتمام بالكماليات؛ وذلك أن
التسبيح والتنزيه حاجة، بينما الحمد كمال. ونلاحظ زيادة الاهتمام
بالتسبيح على الاهتمام بالحمد، في الصلاة أيضاً، ومن هنا يتكرر ذكر:
"سبحان الله" أكثر مما يتكرر ذكر: "الحمد لله".

- بحسب الرؤية الكونية الإسلامية، الكون وكل مظاهره في حالة
تسبيح دائمة لله تعالى، ولو لم نكن نفهم كثيراً من تسبيح مظاهر
الطبيعة: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، وهذا التسبيح مقرون بالعلم ممن يصدر عنه: ﴿كُلُّ قَدْ

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ^١.

- يذكر الله سبحانه وتعالى بعض مخلوقاته التي ينسب إليها التسبيح، ومنها:

أ- الملائكة: ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾^(٢).

ب- الرعد: ﴿يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣).

ج- الطير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ﴾^(٤).

ج- الجبال: ﴿سَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾^(٥).

- تسبيح الله من الوسائل المساعدة على النجاة من البلاء: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١١٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٦).

- كلمتا أول وآخر، عندما يوصف بهما الله تعالى، يراد بهما: الأزلي والأبدي. أي كان قبل أن يكون شيء، وسيبقى بعد فناء كل شيء. ووجوده أظهر من وجود أي شيء، وهو مع ذلك أخفى من الأشياء.

(١) سورة النور: الآية ٤١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) سورة الرعد: الآية ١٣.

(٤) سورة النور: الآية ٤١.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٦) سورة الصافات: الآيتان ١٤٣-١٤٤.

٢٧٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

وظهوره من جهة دلالة المخلوقات كلّها عليه، وهو باطن من جهة اطلاعه على حقائق الأمور وبواطن الأشياء وعلمه بها.

النعاليم

١ - الله سبحانه منزّه عن كل عيبٍ ونقصٍ، وكلّ مظاهر الوجود في السماوات والأرض تشهد له سبحانه بذلك: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٢ - قدّم الله تسبيح الموجودات السماويّة على الموجودات الأرضيّة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ - القدرة وحدها ليست مهمّة وإنّما المهمّ هو اقترانها بالحكمة: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٤ - الحاكم الحقيقي والمطلق في السماوات والأرض هو الله. وسلطة الإنسان على الأرض هي سلطة اعتباريّة مجازيّة، فعلى الإنسان أن لا يغترّ بقدرته على التحكّم في بعض الأشياء: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.

٥ - الإله الذي يتوفّر على العزّة، والحكمة، والحاكميّة، والقدرة المطلقات، ويملك مقادير الحياة والموت، هو وحده من يستحقّ التسبيح والتمجيد: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ • لَهُ مُلْكُ • يُحْيِي وَيُمِيتُ • قَدِيرٌ •.

٦- أول الوجود وآخره، وشهوده وغيبه، بيد الله سبحانه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

٧- الأهم من الخلق بحكمة والأهم من الملك مع الاقتدار، العلم والرقابة الدائمة على المخلوقات: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (وذلك بالنظر إلى ما تقدم في الآيتين السابقتين).

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ١٨)

الآيات [سورة الحديد (٥٧): الآيات ١ إلى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿٣﴾

التفسير

آيات للمفكرين

قلنا: إن هذه السورة بدأت بقسم التوحيد، الذي يشتمل على عشرين صفة من صفات الله سبحانه، تلك الصفات التي بمعرفتها يصل الإنسان إلى مستوى عال من المعرفة الإنسانية بالله، وتعمق معرفته بذاته المقدسة، وهذه الأوصاف والتي تشير إلى جانب من صفات جلاله وجماله، كلما تعمق العلماء وأهل الفكر فيها توصلوا إلى

حقائق جديدة عن الذات الإلهية المقدسة.

عند ما سئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن التوحيد أجاب: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمِّقون فأنزل الله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، والآيات في سورة الحديد إلى قوله: عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ومن رام وراء ذلك فقد هلك»^(١).

يستفاد من هذا الحديث أنَّ هذه الآيات تعطي للظمأى من طلاب الحقيقة أقصى حدٍّ للمعرفة الممكنة.

وعلى كلِّ حال فإنَّ أوَّل آية من هذه السورة بدأت بتسييح وتنزيه الله عزَّ وجلَّ حيث يقول سبحانه: سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

لقد انتهت السورة السابقة بأمر التسييح، وابتدأت هذه السورة المباركة بالتسييح الإلهي أيضا.

والجدير بالملاحظة أنَّ في سور المسبِّحات الخمس جاءت كلمة التسييح ثلاث مرَّات بصيغة الماضي (سَبَّحَ) في سور الحديد والحشر والصف، وفي موردين جاءت بصيغة المضارع (يسبِّح) في سور الجمعة والتغابن، وهذا الاختلاف في التعبير قد يكون إشارة إلى أنَّ جميع الكائنات في العالم قد سبَّحت وتسبَّح لذاته المقدسة في الماضي والمستقبل.

(١) أصول الكافي طبقاً لنقل تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٣١.

وحقيقة «التسبيح» عبارة عن نفي كل عيب ونقص^(١) عن الذات الإلهية، وشهادة جميع الكائنات في هذا العالم بطهارة ذاته من كل عيب، حيث أنّ النظم والحساب والحكمة والعجائب في نظام الكائنات .. هذه جميعها تذكر (الله) بلسان حالها وتسبحه وتحمده وتنزهه وتؤكد أنّ لخالقها قدرة لا متناهية، وحكمة لا محدودة.

ولذا جاء في نهاية هذه الآية: وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

كما يحتمل أن تتمتع جميع ذرات الوجود بنوع من الإدراك والشعور بحيث تسبح وتحمد الله عزّ وجلّ في عالمها الخاص، بالرغم من عدم معرفتنا لذلك بسبب محدودية علمنا وإطلاعنا.

من أجل تفصيل أكثر حول حمد وتسبيح الكائنات أجمع يراجع نهاية الآية (٤٤) من سورة الإسراء.

ويجدر الانتباه إلى أنّ (ما) في جملة (سبح لله ما في السموات) لها معنى واسع بحيث تشمل كل موجودات العالم، أعمّ من ذوي العقول والأحياء والجمادات.^(٢)

وبعد ذكر صفتين من صفات الذات الإلهية يعني (العزة والحكمة)

(١) «التسبيح» في الأصل من مادة (سبح) على وزن (مسح) بمعنى الحركة السريعة في الماء والهواء.

والتسبيح أيضا هو الحركة السريعة في مسير عبادة الله عزّ وجلّ (الراغب في المفردات).

(٢) بالرغم من أنّ (سبح) فعل متعدّد بدون حرف جرّ حيث يقال مثلاً سبّحوه إلّا أنّه هنا قد عدي باللام، ومن المحتمل أن يكون ذلك للتأكيد.

يتطرق إلى (مالكيته وتدبيره، وقدرته في عالم الوجود) والتي هي من مستلزمات القدرة والحكمة، حيث يقول تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

فضيلة

١ - الرسول ﷺ - عَنِ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ. (١)

ثواب القراءة

١ - الصادق عليه السلام - مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَدِيدِ وَالْمُجَادَلَةِ فِي صَلَاةٍ فَرِيضَةٍ أَذْمَنَهَا لَمْ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ حَتَّى يَمُوتَ أَبَدًا وَلَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَلَا أَهْلِهِ سُوءًا أَبَدًا وَلَا خِصَاصَةً فِي بَدَنِهِ. (٢)

٢ - الرسول ﷺ - وَمَنْ أَدْمَنَ قِرَائَتَهَا وَكَانَ مُقَيِّدًا مَغْلُولًا مَسْجُونًا سَهَّلَ اللَّهُ خُرُوجَهُ وَلَوْ كَانَ مَا كَانَ مِنَ الْجَنَائِثِ. (٣)

٣ - الرسول ﷺ - مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَدِيدِ كُتِبَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. (٤)

(١) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٥، ص ٥٣٠ - مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٢٨٩.

(٢) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٥، ص ٥٣٠ - ثواب الأعمال، ص ١١٧ / نور الثقلين / البرهان.

(٣) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٥، ص ٥٣٠ - البرهان.

(٤) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٥، ص ٥٣٠ - مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٣٥١ / نور الثقلين.

٤ - الباقر عليه السلام - مَنْ قَرَأَ الْمُسَبِّحَاتِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُدْرِكَ الْقَائِمَ وَإِنْ مَاتَ كَانَ فِي جِوَارِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (١)

٥ - الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَنْ كَتَبَهَا وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْحَرْبِ لَمْ يُصِبْهُ سَهْمٌ وَلَا حَدِيدٌ وَكَانَ قَوِيَّ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْقِتَالِ وَإِنْ قُرِئَتْ عَلَى مَوْضِعٍ فِيهِ حَدِيدٌ خَرَجَ مِنْ وَقْتِهِ مِنْ غَيْرِ أَلَمٍ. (٢)

[سورة الحديد (٥٧): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

١ - السَّجَّاد عليه السلام - سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ. (٣)

٢ - على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ هُوَ قَوْلُهُ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلَامِ. (٤)

٣ - أمير المؤمنين عليه السلام - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِاسْمِهِ

(١) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ١٥، ص ٥٣٠ - الكافي، ج ٢، ص ٦٢٠ / نور الثقلين / البرهان.

(٢) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ١٥، ص ٥٣٠ - البرهان.

(٣) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ١٥، ص ٥٣٢ - الكافي، ج ١، ص ٩١ / نور الثقلين.

(٤) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ١٥، ص ٥٣٢ - نور الثقلين / البرهان؛ «الكلم» بدل «الكلام».

٢٧٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

الْأَعْظَمُ فَيُسْتَجَابَ لَكَ فَاقْرَأْ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ وَهُوَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. (١)

(١) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ١٥، ص ٥٣٢ - بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٣٠.

الآية الرابعة عشر

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
[الحشر: ١]

الكون يُسبح

السور المُسَبِّحات وهي التي أفتتح أولها بالتسبيح لله عز وجل، فالبعض منها تكرر التسبيح فيها إلى عدّة من التسبيحات في مختلف الآيات وبصيغ مختلفة من الأمر والماضي والمضارع أو اسم المصدر، وهذا التكرار المُركّز في هذه السور المباركة وغيرها من سور القرآن وروده لنا ليس إلا لفهم إستمرارية التسبيح في الكون بأسره من ذرته إلى مجرّته، فالكل يسبح لله جلّ جلاله وتقدست أسماؤه ليكون إيمان الإنسان من خلال التسبيح من أعظم وأفضل ما يكون عليه الإيمان وعوداً على السور المُسَبِّحات نذكرها ونذكر موارد التسبيح فيها وهي كالتالي:

أولاً: سورة الحديد، وردَ لفظ التسبيح في أول آية منها بصيغة

الماضي ﴿سَبَّحَ﴾.

ثانياً: سورة الحشر، وردَ لفظ التسييح في أول آيةٍ منها بصيغة الماضي ﴿سَبَّحَ﴾، أيضاً ورد في الآية الثالثة والعشرين بصيغة اسم المصدر ﴿سُبَّحَنَ﴾، وكذلك وردَ في الآية الرابعة والعشرين بصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾.

ثالثاً: سورة التغابن، وردَ لفظ التسييح في أول آيةٍ منها بصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾.

رابعاً: سورة الصف، وردَ لفظ التسييح في أول آيةٍ منها بصيغة الماضي ﴿سَبَّحَ﴾.

خامساً: سورة الجمعة، وردَ لفظ التسييح في أول آيةٍ منها بصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾.

سادساً: سورة الأعلى، وردَ لفظ التسييح في أول آيةٍ منها بصيغة الأمر ﴿سَبَّحْ﴾.

سابعاً: سورة الإسراء، وردَ لفظ التسييح في عددٍ من الآيات، فبعضها بصيغة اسم المصدر وبعضها بصيغة المضارع باختلاف اللفظ، ففي الآية الأولى وفي الآية الثالثة والأربعين لفظ ﴿سُبَّحَنَهُ﴾ فإن اللفظ يكون باسم المصدر، واللفظ في الآية الرابعة والأربعين ﴿يُسَبِّحُ﴾.

الآية الرابعة عشر ٢٧٩

واللفظ ﴿تُسَبِّحُ﴾ فهو بصيغة المضارع، وأما اللفظ ﴿تَسْبِيحُهُمْ﴾ في نفس الآية الرابعة والأربعين، ولفظ ﴿سُبْحَنَ﴾ في الآية الثالثة والتسعين وفي الآية الثامنة بعد المائة كذلك فهي بصيغة اسم المصدر.

ثامناً: سورة النحل^(١)، وردَ لفظ التسبيح في أول آيةٍ منها بصيغة اسم المصدر ﴿سُبْحَنَهُ﴾ كذلك في الآية السابعة والخمسين بذات الصيغة صيغة اسم المصدر ﴿سُبْحَنَهُ﴾.

فسورة الحشر امتازت من بين السور المُسَبِّحات بأنَّ التسبيحُ أُفتَحَ بها وخُتمَ بها، وهذا امتياز وسر علمه عندَ عالم الغيب والشهادة ومن أطلعهم على غيبه؛ محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

فبعدَ استيضاح آلية الكون باستمرار التسبيح نبين لكم تفسير الآية من قبل علماء التفسير.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩)

بيان

تشير السورة إلى قصة إجلاء بني النضير من اليهود لما نقضوا

(١) ذكرنا سورة النحل في ضمن المسبِّحات بناء على ذكر لفظ التسبيح في أول آية منها، وأما بناء على القول بأنها السور التي وردَ لفظ التسبيح في أول كلمة منها فلا تدخل سورة النحل فيها وتكون سبعة فقط، ولا بد من الإشارة إلى أننا لم نجد رواية خاصة تشير إلى هذه السور عدا رواية واحدة عن النبي ﷺ ذكرت بأن المسبِّحات هي خمسة لا سبعة وهي: سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن. راجع جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١٥ ص ١١٥.

العهد بينهم وبين المسلمين، وإلى وعد المنافقين لهم بالنصر والملازمة ثم غدرهم وما يلحق بذلك من حكم فيهم.

ومن غرر الآيات فيها الآيات السبع في آخرها يأمر الله سبحانه عباده فيها بالاستعداد للقاءه من طريق المراقبة والمحاسبة، ويذكر عظمة قوله وجلالة قدره بوصف عظمة قائله عز من قائل بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا. والسورة مدنية بشهادة سياق آياتها.

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ افتتاح مطابق لما في مختتم السورة من قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وإنما افتتح بالتنزيه لما وقع في السورة من الإشارة إلى خيانة اليهود ونقضهم العهد ثم وعد المنافقين لهم بالنصر غدرًا كمثل الذين كانوا من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم، وبالنظر إلى ما أذاقهم الله من وبال كيدهم، وكون ذلك على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة ذيل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

ملامح سورة الحشر

تتألف هذه السورة من أربع وعشرين آية، وهي من السور المدنية. أخذت السورة اسمها من كلمة "الحشر" الواردة في الآية الثانية،

والحشر المقصود في هذه السورة ليس هو الحشر يوم القيامة، بل المراد هو اجتماع الناس استعداداً للرحيل.

تبدأ السورة وتختتم بالحديث عن تسبيح جميع الموجودات الله سبحانه، وتتحدث عن العلاقة بين المنافقين ويهود المدينة، ومؤامراتهم ضدّ الإسلام والمسلمين. وفي هذه السورة يطمئن الله سبحانه إلى أنّهم مهما كادوا فلن يصلوا إلى مبتغاهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

إشارات

- استخدمت كلمة "تسبيح" ومشتقاتها ما يقرب من ٨٥ مرة في القرآن الكريم. وتشتمل الصلاة في الإسلام على التسبيح في أكثر من حالة من حالاتها كالركوع والسجود مثلاً.

- أحد معاني مادة "سبح" في اللغة العربية الحركة في الماء أو الهواء، وفي الاصطلاح الدينيّ تنزيه الله عن كل عيب وتدلّ كذلك على السرعة في العبادة.

- صفات الله سبحانه على نوعين: صفات ثبوتية، وصفات سلبية. والنوع الأول من الصفات هو الصفات التي تنسب إلى الله سبحانه كالعلم والقدرة والرحمة... والنوع الثاني من الصفات هي

التي ينزّه الله عنها كالظلم والجهل والعجز وما شابه، والتسبيح مرتبط بالصفات السلبية، والحمد مرتبط بالنوع الأول.

- في بعض الموارد من القرآن أو الصلاة يجمع بين التسبيح والحمد، كما في قوله تعالى في القرآن: ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٤٤]، وفي الصلاة عندما يقول المصلي: "سبحان ربّي الأعلى وبحمده". وهذا جمع بين الصفات الثبوتية والسلبية في عبارة واحدة، والمعنى هو أنّ المصلي ينزّه الله عن كلّ عيب ويحمده على ما يسر له من ألطافه.

نسيب الطه جودات

يقول بعض المفسرين وغيرهم أنّ تسبيح الموجودات هو تسبيح تكوينيّ؛ أي الموجودات كلّها من خلال وجودها هي آيات لله تعالى، تدلّ على علمه وحكمته وقدرته وبرأته عن كلّ عيب، فهي بذلك تسبّحه وتنزّهه وهذا ما يعبر عنه بالتسبيح بلسان الحال، ولا مبرر للاعتقاد بأنّ الموجودات تقول "سبحان الله" وتردّد هذا الذكر بلسانها الخاصّ.

وعلى الرغم من اشتهاار هذا القول وانتشار الاعتقاد به، إلا أنّه يبدو أنّ لكلّ موجود لسانه الخاص الذي يسبّح الله به، وذلك لأمر: - إنّ الإنسان ومنذ قديم الزمان كان يرى في الموجودات آيات تدلّ على حكمة الله ونزاهته، وبالتالي هو يفهم تسبيحها بهذا المعنى، فكيف

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٤٤].

- لو كان التسبيح بالمعنى المشار إليه أعلاه، لكان تسبيح الموجودات أشبه بتسبيح اللوحة الفنيّة التي يرسمها فنّان، أو القصر الجميل الذي يبنيه معماريّ، ولا يصدق على مثل هذا التسبيح قوله تعالى: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [سورة النور: الآية ٤١]، فهذه الآية تدلّ على أن تسبيح الموجودات صادرٌ عن وعيٍ ومعرفةٍ.

- الوجود كلّ في حالة تسبيحٍ دائمةٍ لله تعالى، وقد عبّر عنه أحياناً بصيغة الفعل الماضي: ﴿سَبَّحَ﴾، وأحياناً بصيغة الفعل المضارع: ﴿يُسَبِّحُ﴾.

النعاليم

١- المخلوقات التي في السماء والأرض، لها شكل من أشكال الشعور والإدراك: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾.

٢- ربّما ترى بعض الناس ليسوا من أهل التسبيح، ولكنّ الوجود كلّ في حالة تسبيح لله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾.

٣- عزّة الله سبحانه وحكمته هما اللتان تدفعان الموجودات إلى التسبيح: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ.. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٤- بعض الناس قد تدفعهم القدرة والعزّة إلى فقدان توازنهم، وأمّا الله سبحانه فإنّ حكمته لا حدّ لها، رغم أنّ عزّته لا تعرف

الحدود: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨)

نهاية مؤامرة يهود بني النضير

بدأت هذه السورة بتنزيه وتسييح الله وبيان عزّته وحكمته، يقول سبحانه:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وهذه في الحقيقة مقدّمة لبيان قصّة يهود بني النضير، أولئك الذين انحرفوا عن طريق التوحيد ومعرفة الله وصفاته، وبالإضافة إلى كونهم مغرورين بإمكاناتهم وقدرتهم وعزّتهم ويتآمرون على الرسول ﷺ.

التسييح العامّ الوارد في الآية لجميع موجودات الأرض والسماء، أعمّ من الملائكة والبشر والحيوانات والنباتات والجمادات يمكن أن يكون بلسان «القال» ويمكن أن يكون بلسان «حال» هذه المخلوقات حول دقّة النظام المثير للعجب لها في خلق كلّ ذرّة من ذرّات هذا الوجود، وهو التسليم المطلق لله سبحانه والاعتراف بعلمه وقدرته وعظمته وحكمته.

ومن جهة أخرى فإنّ قسماً من العلماء يعتقدون أنّ كلّ موجود في العالم له نصيب وقدر من العقل والإدراك والشعور، بالرغم من أنّنا لم

ندركه ولم نطلع عليه، وبهذا الدليل فإن هذه المخلوقات تسبح بلسانها، بالرغم من أن آذاننا ليس لها القدرة على سماعها، والعالم بأجمعه منشغل بحمد الله وتسبيحه وإن كنا غير مطلعين على ذلك.

الأولياء الذين فتحت لهم عين الغيب يتبادلون أسرار الوجود مع كل موجودات العالم، ويسمعون نطق الماء والطين بصورة واضحة، إذ أن هذا النطق محسوس من قبل أهل المعرفة. (وهناك شرح أكثر حول هذا الموضوع في تفسير الآية ٤٤ من سورة الإسراء).

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

ثواب القراءة

١ - الرسول ﷺ - مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَشْرِ لَمْ يَبْقَ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا عَرْشٌ وَلَا كُرْسِيُّ وَلَا الْحُجُبُ وَلَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَلَا الْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَالْهَوَاءُ وَالرَّيْحُ وَالطَّيْرُ وَالشَّجَرُ وَالْجِبَالُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْمَلَائِكَةُ إِلَّا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ أَوْ فِي لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيداً. (١)

٢ - الصادق عليه السلام - مَنْ قَرَأَ الرَّحْمَنَ وَالْحَشَرَ إِذَا أَمْسَى وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بِدَارِهِ مَلَكاً شَاهِراً سَيْفَهُ حَتَّى يُصْبِحَ. (٢)

(١) ج ١٦، ص ٧٨ - وسایل الشیعه، ج ٦، ص ٢٥٧ / نور الثقلین / البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ٧٨ - المصباح للكفعمی، ص ٤٤٧ / نور الثقلین.

٣- الرسول ﷺ - مَنْ كَتَبَهَا وَعَلَّقَهَا وَتَوَجَّهَ فِي حَاجَةٍ، قَضَاهَا اللَّهُ لَهُ مَا لَمْ تَكُنْ فِي مَعْصِيَةٍ. (١)

٤- الصادق عليه السلام - مَنْ قَرَأَهَا لَيْلَةَ جُمُعَةٍ أَمِنَ مِنْ بَلَائِهَا إِلَى أَنْ يُصْبِحَ وَمَنْ تَوَضَّأَ عِنْدَ طَلَبِ حَاجَةٍ ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يقرأ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ الْحَمْدَ وَالسُّورَةَ إِلَى أَنْ يَفْرُغَ مِنَ الْأَرْبَعِ رَكَعَاتٍ وَيَتَوَجَّهَ إِلَى حَاجَةٍ، يُسَهِّلَ اللَّهُ أَمْرَهَا. وَمَنْ كَتَبَهَا بِمَاءٍ طَاهِرٍ وَشَرِبَهَا رُزِقَ الذِّكَاةَ وَقِلَّةَ النَّسْيَانِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. (٢)

[سورة الحشر (٥٩): الآيات ١ إلى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

١- ١ - علي بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

(١) ج ١٦، ص ٧٨ - البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ٧٨ - البرهان.

قَالَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِالمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ أَبْطُنٍ مِنَ الْيَهُودِ بَنَى النَّضِيرَ قَرْيَظَةً وَقَيْنَقَاعَ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ وَمُدَّةٌ فَنَقَضُوا عَهْدَهُمْ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ فِي بَنَى النَّضِيرِ فِي نَقْضِ عَهْدِهِمْ أَنَّهُ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَسْلِفُهُمْ دِيَةَ رَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ غِيلَةً يَعْنِي يَسْتَقْرِضُ وَكَانَ قَصْدُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى كَعْبٍ قَالَ مَرَحَبًا يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَأَهْلًا وَقَامَ كَأَنَّهُ يَصْنَعُ لَهُ الطَّعَامَ وَحَدَّثَ نَفْسَهُ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَتَّبِعَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلَ جَبْرِئِيلُ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ وَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ اذْهَبْ إِلَى بَنَى النَّضِيرِ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَخْبَرَنِي بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ فِيمَا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ بَلَدِنَا وَإِنَّمَا أَنْ تَأْذَنُوا بِحَرْبٍ فَقَالُوا نَخْرُجُ مِنْ بِلَادِكُ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَ تَخْرُجُوا وَتُقِيمُوا وَتَتَابِعُوا مُحَمَّدًا الْحَرْبَ فَإِنِّي أَنْصُرُكُمْ أَنَا وَقَوْمِي وَحُلَفَائِي فَإِنْ خَرَجْتُمْ خَرَجْتُ مَعَكُمْ وَإِنْ قَاتَلْتُمْ قَاتَلْتُ مَعَكُمْ فَأَقَامُوا وَأَصْلَحُوا حُصُونَهُمْ وَتَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ وَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّا لَا نَخْرُجُ فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ وَقَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَقَدَّمَ إِلَى بَنَى النَّضِيرِ فَأَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الرَّايَةِ وَتَقَدَّمَ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَحَاطَ بِحُصْنِهِمْ وَغَدَرَ بِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ظَفِرَ بِمُقَدِّمِ يَوْمِهِمْ حَصَّنُوا مَا يَلِيهِمْ وَخَرَّبُوا مَا يَلِيهِ وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مِمَّنْ كَانَ لَهُ بَيْتٌ حَسَنٌ خَرَّبَهُ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَطْعِ نَخْلِهِمْ فَجَزَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِالْفَسَادِ إِنْ كَانَ لَكَ هَذَا فَخُذْهُ وَإِنْ كَانَ لَنَا فَلَا تَقْطَعْهُ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ نَخْرُجُ مِنْ بِلَادِكَ فَأَعْطِنَا مَالَنَا فَقَالَ لَا وَلَكِنْ تَخْرُجُونَ وَلَكُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ فَلَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ فَبَقُوا أَيَّامًا ثُمَّ قَالُوا نَخْرُجُ وَلَنَا مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ فَقَالَ لَا وَلَكِنْ تَخْرُجُونَ وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا فَمَنْ وَجَدْنَا مَعَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَتَلْنَاهُ فَخَرَجُوا عَلَى ذَلِكَ وَوَقَعَ قَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى فَدَكٍ وَوَادِي الْقَرَى وَخَرَجَ قَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى الشَّامِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. (١)

١-٢- الرسول ﷺ - قَالَ هُمْ النَّبِيُّ ﷺ اخْرُجُوا. قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى أَرْضِ الْمُحْشَرِ. (٢)

١-٢- أمير المؤمنين عليه السلام - فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا يَعْنِي أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا وَكَذَلِكَ إِيْتَانُهُ بُنْيَانَهُمْ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَتَى اللَّهُ

(١) ج ١٦، ص ٨٠ - بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ١٦٨ / القمى، ج ٢، ص ٣٥٨ / نور الثقلين / القمى، ج ٢،

ص ٣٥٨ / البرهان؛ «ولكم ما حملت الابل... ولنا ما حملت الابل» محذوف.

(٢) ج ١٦، ص ٨٢ - نور الثقلين.

بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَاِتْيَانُهُ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ إِرْسَالُ الْعَذَابِ. (١)

٣-١ - الباقر (عليه السلام) - إِنَّهُ مَا مِنْ سَنَةٍ أَقَلَّ مَطَرًا مِنْ سَنَةٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا عَمِلَ قَوْمٌ بِالْمَعَاصِي صَرَفَ عَنْهُمْ مَا كَانَ قَدَرَهُمْ مِنَ الْمَطَرِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ وَإِلَى الْفَيَافِي وَالْبَحَارِ وَالْجِبَالِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْجَعَلَ فِي جُحْرِهَا فَيَحْبِسُ الْمَطَرَ عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ بِمَحَلِّهَا بِخَطَايَا مَنْ بِحَضْرَتِهَا وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا السَّبِيلَ فِي مَسَلِكِ سَوَى مَحَلَّةِ أَهْلِ الْمَعَاصِي قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ. (٢)

٣-٢ - الصادق (عليه السلام) - لَا يَصِحُّ الْإِعْتِبَارُ إِلَّا لِأَهْلِ الصِّفَا وَالْبَصِيرَةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ. (٣)

٣-٣ - الصادق (عليه السلام) - كَانَ أَكْثَرُ عِبَادَةِ أَبِي ذَرٍّ لِلَّهِ التَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ. (٤)

٣-٤ - الكاظم (عليه السلام) - عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا لَهُمْ مَحَبَّةٌ وَلَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْعَزِيمَةُ يَقُولُونَ

(١) ج ١٦، ص ٨٢ - بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣١٠ / بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٠ / بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٣٨ / نور الثقلين.

(٢) ج ١٦، ص ٨٢ - بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٣٢٩ / بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٣٥٨ / المحاسن، ج ١، ص ١١٦؛ «بحس» بدل «فيحبس» و «بمحلها» بدل «بمحلها».

(٣) ج ١٦، ص ٨٢ - بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٢٦ / مصباح الشريعة، ص ٢٠١ / نور الثقلين.

(٤) ج ١٦، ص ٨٢ - وسایل الشیعه، ج ١٥، ص ١٩٧ / نور الثقلين.

هَذَا الْقَوْلِ فَقَالَ لَيْسَ أُولَئِكَ مِمَّنْ عَاتَبَ اللَّهُ إِنَّمَا قَالَ اللَّهُ فَاعْتَبِرُوا يَا
أُولَى الْأَبْصَارِ. (١)

٣-٥ - الباقر عليه السلام - إِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام صَاحِبَ كَرْبَلَاءَ قُتِلَ مَظْلُومًا
مَكْرُوبًا عَطْشَانًا لَهْفَانًا فَآلَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ لَهْفَانٌ وَلَا
مَكْرُوبٌ وَلَا مُذْنِبٌ وَلَا مَغْمُومٌ وَلَا عَطْشَانٌ وَلَا مَنْ بِهِ عَاهَةٌ ثُمَّ دَعَا
عِنْدَهُ وَتَقَرَّبَ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا نَفَسَ اللَّهُ
كُرْبَتَهُ وَأَعْطَاهُ مَسْأَلَتَهُ وَغَفَرَ ذَنْبَهُ وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ وَبَسَطَ فِي رِزْقِهِ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ. (٢)

(١) ج ١٦، ص ٨٢ - الكافي، ج ١، ص ١١.

(٢) ج ١٦، ص ٨٤ - بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٤٦.

الآية الخامسة عشر

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

معلومة مفيدة: التعريف بالعزیز والحكيم من الأسماء الحسنى

الله ﷻ ذكر اسمين من الأسماء الحسنى في هذه الآية الكريمة؛ اسم ﴿الْعَزِيزِ﴾ واسم ﴿الْحَكِيمِ﴾ وسوف نذكر تعاريفهما من ثم تعدادهما في القرآن الكريم، كما نجد أن الاسمين وردا في القرآن الكريم تارة بالمعرفة أي: بآل التعريف؛ بالتالي يُشيران إلى الله ﷻ ﴿الْعَزِيزِ﴾ ﴿الْحَكِيمِ﴾، وتارة أخرى وردا دون آل التعريف أي: نكرة؛ بالتالي لم يرد بهما العزيز الحكيم بل يُشير إلى المخلوقين ﴿عَزِيزٌ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾، فبعد التعريف تباعاً لهذين الاسمين نوضح مواطن تعدادهما في الآيات الكريمة.

اسم العزيز يعني: الغالب القاهر، أو ما يمتنع الوصول إليه، قاله

الشهيد في قواعده. (١)

كذلك قال الشيخ علي بن يوسف بن عبد الجليل في كتابه منهى
السؤال في شرح الفصول: العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله،
وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فليس العزيز المطلق إلا
هو تعالى. (٢)

وقال صاحب العدة: العزيز المنيع الذي لا يُغلب، ويُقال: من عزَّ
بز، أي: من غلب سلب، ومنه قوله تعالى في سورة ص آية ٢٣ ﴿وَعَزَّيْنِي
فِي الْحُطَابِ﴾ أي: غلبني في محاوراة الكلام، وقد يقال العزيز للملك،
ومنه قوله تعالى في سورة يوسف آية ٧٨ وآية ٨٨ ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ أي:
يا أيها الملك. (٣)

والعزيز أيضاً: الذي لا يعادله شيء، والذي لا مثل له ولا نظير. (٤)
اسم الحكيم يعني: هو المحكم خلق الأشياء، والإحكام هو:
إتقان التدبير وحسن التصوير والتقدير. (٥)

وقيل: الحكيم العادل، والحكمة لغة: العلم، ومنه: قوله تعالى في

(١) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٥١.
(٢) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٥٢.
(٣) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٥٢.
(٤) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٥٢.
(٥) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٧٠.

سورة البقرة آية ٢٦٩ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ والحكيم أيضًا: الذي لا يفعل قبيحًا ولا يخل بواجب، والذي يضع الأشياء مواضعها.^(١)

كما أن الحكيم يحتمل أمرين، الأول: أنه تعالى بمعنى العالم (لأن العالم) بالشيء يُسمى حكيماً، فعلى هذا يكون من صفات الذات، مثل العالم، ويوصف بهما فيما لم يزل.^(٢)

أما الأمر الثاني: أن معناه المحكم لأفعاله، ويكون فاعل بمعنى مفعّل، وعلى هذا يكون من صفات الأفعال، ومعناه: أن أفعاله سُبْحَانَ اللَّهِ كلها حكيمة وصواب ولا يوصف بذلك فيما لم يزل، وعن ابن عباس قال: العليم الذي كمل في علمه، و(الحكيم) الذي كمل في حكمته، قاله الطبرسي في مجمعه منه رَحِمَهُ اللَّهُ.^(٣)

فبعد إيضاح معاني اسمي العزيز والحكيم نتطرق إلى تعدادهما في القرآن الكريم:

وردَ اسما العزيز والحكيم مُتلازمين: أي مُقترنين، في القرآن الكريم اثنان وأربعون مرة؛ منها تسعة وعشرون مرة مُعرّفةً بـأَل: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ومنها ثلاثة عشر مرةً غير مُعرّفة بـأَل: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(١) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٧١.

(٢) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٧٠.

(٣) المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تأليف: العلامة الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ص ٧١.

الآيات المشتملة على اقتران اسمي (العزیز الحکیم) بأل التعریف ٢٩ آية

١- ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]

٢- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]

٣- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

٤- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]

٥- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

٦- ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]

٨- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]

٩- ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الغل: ٩]

١٠- ﴿فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

١١- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٤٢]

١٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]

١٣- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [لقمان: ٩]

١٤- ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سبأ: ٢٧]

١٥- ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]

١٦- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]

١٧- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٨]

١٨- ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣]

- ١٩- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]
- ٢٠- ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٣٧]
- ٢١- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]
- ٢٢- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]
- ٢٣- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]
- ٢٤- ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]
- ٢٥- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة: ٥]
- ٢٦- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]
- ٢٧- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١]
- ٢٨- ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]
- ٢٩- ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨]

الآيات المشتملة على اقتران اسمي (عزيز حكيم) دون أل التعريف ١٣ آية

١ - ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]

٢ - ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي مَلَّيْتُ قُلُوبَ إِصْلَاحٍ لَهُمْ خَيْرٌ
وَأِنْ تَخَالَطَوْهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

٣ - ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ
يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

٤ - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]

٥ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ
بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ
عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

٢٩٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

٦- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]

٧- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأفـال: ١٠]

٨- ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأفـال: ٤٩]

٩- ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأفـال: ٦٣]

١٠- ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأفـال: ٦٧]

١١- ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

١٢- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

١٣- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقان: ٢٧]

فبعد إيضاح موطن ورود اسمي ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهما متلازمان سواء معرفة أم نكرة، نوضح تعدادهما وموطن ورود كل منهما في آيات القرآن الكريم بصفة مفردة كالآتي:

ورد اسم ﴿الْعَزِيزِ﴾ في القرآن الكريم تسعة وتسعين مرة؛ منها ثمانية وثمانون مرة إشارة إلى الله ﷻ، وإحدى عشر مرة إشارة إلى غير الله تعالى، منه ما هو بآل التعريف ﴿الْعَزِيزِ﴾، ومنها ما هو دون آل التعريف ﴿عَزِيزٌ﴾ ﴿عَزِيزًا﴾، ومنها ما هو بإضافة باء ﴿بِعَزِيزٍ﴾ سنكتفي بذكر عدد الآيات بالإضافة إلى التي فيها إشارة إلى غير الله ﷻ.

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿الْعَزِيزِ﴾ أربع وستون آية، تسعة وخمسون منها مُشيرة إلى الله ﷻ، وخمسٍ منها إلى غير الله وهي:

١- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٢٠]

٢- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]

٣٠٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

٣- ﴿قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُوَ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ^ط﴾
إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿[يوسف: ٧٨]

٤- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا
بِبَضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿[يوسف: ٨٨]

٥- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿[الدخان: ٤٩]

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿عَزِيزًا﴾ سبع آيات، ستة منها
مُشيرة إلى الله ﷻ، وواحدة منها إلى غير الله وهي:

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣]

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿بِعَزِيزٍ﴾ أربع آيات، واحدة منها
مُشيرة إلى الله ﷻ، وثلاث منها إلى غير الله وهي:

١- ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا^ط
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿[هود: ٩١]

٢- ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿[إبراهيم: ٢٠]

٣- ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿[فاطر: ١٧]

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿عَزِيزٌ﴾ أربع وعشرون آية، اثنان

وعشرون منها مُشيرةً إلى الله ﷻ، واثنان منها إلى غير الله وهي:

١ - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]

فبعدَ إيضاح مواطن ورود اسم ﴿الْعَزِيزِ﴾ وعدد ذكره بصفةٍ مُنفردة نوضح مواطن ذكر اسم «الحكيم» بذات الآلية: أي بصفةٍ مُنفرد كالآتي:

وردَ اسم ﴿الْحَكِيمِ﴾ في القرآن الكريم سبعة وتسعون مرة؛ منها واحد وتسعون مرة إشارةً إلى الله ﷻ، وستة مرات إشارةً إلى غير الله تعالى، منه ما هو بآل التعريف ﴿الْحَكِيمِ﴾، ومنها ما هو دونَ آل التعريف ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿حَكِيمًا﴾، سنكتفي بذكر عدد الآيات بالإضافة إلى التي فيها إشارة إلى غير الله ﷻ.

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿الْحَكِيمِ﴾ إثنين وأربعون آية، أربعون منها مُشيرةً إلى الله ﷻ، وأربع منها إلى غير الله وهي:

١ - ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]

٢ - ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ٢]

٣٠٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

٣- ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢]

٤- ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿حَكِيمٌ﴾ تسعة وثلاثون آية، سبع وثلاثون منها مُشيرةً إلى الله ﷻ، واثنان منها إلى غير الله وهي:

١- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]

٢- ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]

الآيات التي اشتملت على لفظ ﴿حَكِيمًا﴾ ستة عشر آية، جميعها تُشير إلى الله ﷻ.

فجميع ما تقدم إيضاحٌ بسيطٌ حول اسمي الله الحُسنى الواردة في هذه الآية الكريمة ﴿الْعَزِيزُ﴾ ﴿الْحَكِيمُ﴾ والذين ألحقا بلفظ التسبيح؛ إذاً كل الموجودات في عوالمها تُسبح الله العزيز الحكيم.

بعد أن تجولنا في اسمين من الأسماء الحُسنى ﴿الْعَزِيزُ﴾ و﴿الْحَكِيمُ﴾ نغترف من ندير علماء التفسير

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٨)

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره، وافتتاح الكلام بالتسبيح لما فيها من توبيخ المؤمنين بقولهم ما لا يفعلون وإنذارهم بمقت الله وإزاغته قلوب

الفاسقين.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

ملامح سورة الصفّ

سورة الصفّ مدنية، وعدد آياتها أربع عشرة آيةً.

أخذت السورة اسمها من كلمة "صف" التي وردت في الآية الرابعة. أوضح اهتمامات هذه السورة الحديث عن علو الإسلام على غيره من النحل والأديان السماوية وغيرها، وبعض آياتها تتحدث عن وجوب الجهاد في سبيل الله.

وتبدأ هذه السورة بكلمة: ﴿سَبِّحْ﴾ وتشاركها في هذا الأمر سورتا: الحديد، والحشر؛ كما تبدأ سورة الجمعة والتغابن بكلمة: ﴿يُسَبِّحُ﴾؛ وتبدأ سورة الإسراء بكلمة: ﴿سُبْحَانَ﴾، وأخيراً تبدأ سورة الأعلى بالدعوة إلى تسبيح الله سبحانه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

النعاليم

١ - كلّ الموجودات، بحسب الرؤية الإسلامية، تتوفر على مستوى من الشعور والإدراك، وكلّها مشغولة بتسبيح الله على

٣٠٤ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

طريقتها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا﴾

٢- من يستحق التسييح والتمجيد، هو الموجود الحائز على العزة كلها والحكمة كلها: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال (ج ١٩)

المقائلون المومنون صف حديدي منيع

اعتبرت هذه السورة من السور المسبحات، ذلك لأنها تبدأ بتسييح الله في بدايتها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

ولم لا يسبحونه ولا ينزهونه من كل عيب ونقص: وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ القدير الذي لا يقهر والحكيم المحيط بكل شيء علماً.

إن الالتفات إلى مسألة التسييح العام للكائنات، الذي يتم بلسان الحال والقال، وكذلك النظام المدهش العجيب الحاكم فيها والذي هو أفضل دليل على وجود خالق عزيز حكيم .. من شأنه تمكين أسس الإيمان في القلوب، ومن شأنه أيضاً تمهيد الطريق لأمر الجهاد.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

نواب القراءة

١ - الباقر عليه السلام - مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الصِّفِّ وَأَدْمَنَ قِرَاءَتَهَا فِي فَرَائِضِهِ

(١) تحدثنا مراراً في هذا التفسير حول كيفية التسييح العام لكائنات العالم ومن ضمن ذلك ما ورد في نهاية الآية (٤٤) من سورة الإسراء ونهاية الآية (٤١) من سورة النور.

وَنَوَافِلِهِ صَفَهُ اللَّهُ مَعَ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ. (١)
 ٢- الرسول ﷺ - مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ كَانَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَلِّياً عَلَيْهِ وَمُسْتَغْفِراً لَهُ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ مَاتَ كَانَ رَفِيقَهُ فِي الْآخِرَةِ وَمَنْ أَدَمَّنَ قِرَاءَتَهَا فِي سَفَرِهِ حَفِظَهُ اللَّهُ وَكَفَى طَوَارِقَهُ حَتَّى يَرْجِعَ. (٢)

[سورة الصف ٦١: الآيات ١ إلى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
 ١- الصادق عليه السلام - عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ أَخَاهُ نَذْرٌ لَا كَفَّارَةَ لَهُ فَمَنْ أَخْلَفَ فَبِخْلَفِ اللَّهِ بَدَأَ وَلِقْتِهِ تَعَرَّضَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. (٣)
 ٢- الرسول ﷺ - يَا ابْنَ مَسْعُودٍ فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُشَدِّدُ عَلَى النَّاسِ وَيُخَفِّفُ عَلَى نَفْسِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. (٤)
 ٣- العسكري عليه السلام - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ مُحَاطَبَةً لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ وَعَدُوهُ أَنْ يَنْصُرُوهُ وَلَا

(١) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٦، ص ٢١٠ - ثواب الأعمال، ص ١١٨ / نور الثقلين / البرهان.

(٢) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٦، ص ٢١٠ - البرهان / نور الثقلين.

(٣) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٦، ص ٢١٠ - الكافي، ج ٢، ص ٣٦٣ / وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٦٥ / البرهان؛ «فيخلف» بدل «ببخلف» و «كبر مقتا عند الله... الى آخر» محذوف / نور الثقلين.

(٤) تفسير اهل البيت ﷺ ج ١٦، ص ٢١٠ - مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٢٠٢ / بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١١١ / مكارم الأخلاق، ص ٤٥٧.

يُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَلَا يَنْقُضُوا عَهْدَهُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَا يَفُونُ بِمَا يَقُولُونَ، فَقَالَ لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ ... وَقَدْ سَمَّاهُمْ اللَّهُ مُؤْمِنِينَ بِإِقْرَارِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَصْدُقُوا. (١)

٤ - الهادي عليه السلام - رَسَّالَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْجُبْرِ وَالتَّنْوِيضِ ... وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي السَّبَبِ الْمُهَيِّجِ فَهُوَ النِّيَّةُ الَّتِي هِيَ دَاعِيَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأَفْعَالِ وَحَاسَتِهَا الْقَلْبُ فَمَنْ فَعَلَ فِعْلاً وَكَانَ بِيَدَيْنِ لَمْ يُعَقِّدْ قَلْبُهُ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلًا إِلَّا بِصَدَقِ النِّيَّةِ وَلِذَلِكَ أَخْبَرَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلِهِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ تَوْبِيخًا لِلْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ الْآيَةَ فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ قَوْلًا وَاعْتَقَدَ فِي قَوْلِهِ دَعْتُهُ النِّيَّةُ إِلَى تَصْدِيقِ الْقَوْلِ بِإِظْهَارِ الْفِعْلِ وَإِذَا لَمْ يَعْتَقِدِ الْقَوْلَ لَمْ تَتَبَيَّنْ حَقِيقَتُهُ وَقَدْ أَجَازَ اللَّهُ صَدَقَ النِّيَّةُ وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ غَيْرَ مُوَافِقٍ لَهَا لِعِلَّةٍ مَانِعٍ يَمْنَعُ إِظْهَارَ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ. (٢)

٥ - ابن عباس (رحمة الله عليه) - كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْجِهَادُ يَقُولُونَ: وَدَدْنَا لَوْ أَنَّ اللَّهَ دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ فَنَعْمَلُ بِهِ. فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ إِيْمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَالْجِهَادُ.

(١) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ١٦، ص ٢١٢ - بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٥٨٢ / القمي، ج ٢، ص ٣٦٥؛

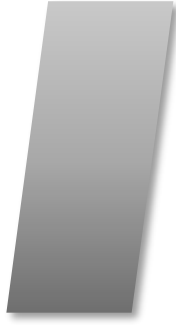
«لا يوفون» بدل «لا يفون» / نور الثقلين / البرهان.

(٢) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ١٦، ص ٢١٢ - تحف العقول، ص ٤٧٢.

الآية الخامسة عشر ٣٠٧

فَكَرِهَ ذَلِكَ نَاسٌ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ وَتَبَاطُؤُوا عَنْهُ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. (١)

(١) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ١٦، ص ٢١٢ - بحر العرفان، ج ١٦، ص ١٤.



الفصل الثالث

الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُ)

"البالغ عددها سبع آياتٍ كريمات"

الآية السادسة عشر: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

الآية السابعة عشر: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

الآية الثامنة عشر: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُو يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]

الآية التاسعة عشر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]

الآية العشرون: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]

الآية الواحدة والعشرون: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

٣١٢موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

اَلْمَلِكِ اَلْقُدُّوسِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ ﴿[الجمعة: ١]

الآية الثانية والعشرون: ﴿يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ لَهٗ

اَلْمُلْكُ وَلَهٗ اَلْحَمْدُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ [التغابن: ١]

الآية السادسة عشر

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]

تسبيح الملائكة

اللَّهُ تَعَالَى جعل آيات بعدد أنفاس الخلائق تدلُّ على وجوده وعظيم صنعته وبدائع قدرته؛ فالليل والنهار والشمس والقمر والجبال والبحار والنبات والجمادات والحيوانات وما يُرى وما لا يُرى وما يسمع وما لا يسمع والرعد والصواعق والسحب كلها آيات مُحْكَمَةٌ بنظامٍ دقيق تُذكر العالم بأسره بعظمة الله وقدرته، وإذا الملائكة المعصومون يخافون من البرق وصوت الصواعق وهم على ما عليه من الطاعة لله والعبادة المُعْبَر عنها أنهم لا يفترون عن تسبيح الله لحظة كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

(اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكَّانِ سَمَواتِكَ وَأَهْلِ الأمانةِ عَلَى رِسالَتِكَ، وَالَّذِينَ لَا تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ

دُؤُوب، وَلَا إِعْيَاءَ مِنْ لُغُوبٍ وَلَا فُتُورٍ، وَلَا تَشْغُلُهُمْ عَنْ
تَسْبِيحِكَ الشَّهَوَاتُ، وَلَا يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِكَ سَهْوُ الْعَفَلَاتِ،
الْخُشْعُ الْإِبْصَارِ فَلَا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ، النَّوَكِسُ الْأَذْقَانِ الَّذِينَ قَدْ
طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ الْمُسْتَهْزِئُونَ بِذِكْرِ آلَائِكَ وَالْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ
عَظَمَتِكَ وَجَلَالِ كِبَرِيَّاتِكَ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَى
أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. فَصَلِّ عَلَيْهِمْ^(١)،
والعباد الذين أوهبهم الله نعمة الوجود والعقل في غفلة عن الإيمان
بالحي القيوم الذي أثار الطبيعة والكون كله موجةً من التسييح حمداً لله.

نرتوي الآن مما قاله العلماء المفسرون المعاصرون حول هذه الآية
الكريمة.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٧)

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ إلخ،
الصواعق جمع صاعقة وهو القطعة النارية النازلة من السماء عن برق
ورعد، والجدل المفاوضة والمنازعة في القول على سبيل المغالبة،
وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله، والمحال بكسر الميم
مصدر ماحله يماحله إذا ماكره وقاواه ليتبين أيهما أشد وجادله لإظهار
مساويه ومعايبه فقوله:

(١) في ظلال الصحيفة السجادية ص ٤٦ للشيخ محمد جواد مغنية، وهو الدعاء الثالث من الصحيفة
السجادية.

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ معناه - والله أعلم - أن الوثنيين - وإليهم وجه الكلام في إلقاء هذه الحجج - يجادلون في ربوبيته تعالى بتلفيق الحجة على ربوبية أربابهم كالتمسك بدأب آبائهم والله سبحانه شديد الماحلة لأنه عليم بمساوئهم ومعائبهم قدير على إظهارها وفضاحتهم.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

إشارات

- يؤكّد القرآن والثقافة القرآنية على أنّ كلّ الوجود يُسَبِّح لله تعالى، وهو تسبيح قائم على أساس العلم والإحساس والاختيار. والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم يطرح هذه المسألة ويبيّن أنها بشكل يجذب إليه العقول ويغدو ردّاً منطقيّاً على إنكارها.

ومن بين تلك الآيات التي تشير إلى ذلك ما يلي:

(أ) استخدام كلمات مثل ﴿سَبِّحْ﴾ و﴿يُسَبِّحْ﴾ وهي كلمات تدلّ صراحة على موضوع التسبيح.

(ب) تكرار ذلك في العديد من السُّور.

(ج) ذكر مسألة تسبيح الموجودات كافة في أوّل السورة وبعد البسملة مباشرة.

(د) الإشارة إلى قنوت وخضوع الوجود بأكمله مثل قوله تعالى:

٣١٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقليين ج ١

﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾^(١)، وسجود النجوم والنباتات: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٢)، وانقياد السموات والأرض وطاعتها لله سبحانه: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣)، وعلم كل الموجودات بتسييحها وصلاتها لله تعالى: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٤).

(٥) إخبار الإنسان بأنه يجهل تسييح الموجودات الأخرى، ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٦).

- ﴿الْمِحَالِ﴾ أي شديد المأحلة والمكايده، ولأن المأحلة والمكايده يستلزمان العلم والقدرة، فقد قال بعض المفسرين: إن معنى ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ هو شديد القوة والعذاب.

- ورد ذكر التسييح والحمد معاً في بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾؛ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٧)، وهو ما اعتدنا ذكره في الركوع والسجود كذلك: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ

(١) سورة البقرة: الآية ١١٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦.

(٣) قال الفيض الكاشاني في تفسيره المسمى بـ(الصافي): «والنجم: النبات الذي ينجم، أي يطلع من الأرض ولا ساق له، والشجر الذي له ساق». الجزء الخامس، ص ١٠٦ [المترجم].

(٤) سورة فصلت: الآية ١١.

(٥) سورة النور: الآية ٤١.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٧) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

وَبِحَمْدِهِ» و«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ».

- جاء في الكثير من الروايات عن أهل السنة أن النبي ﷺ كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»؛ ثم يدعو الآخرين أيضاً إلى الدعاء. (١)

- يعتقد البعض أن الصواعق هي عقوبة أو عذاب إلهي ينزل على القوم المذنبين، كما حصل مع ثمود ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَلَاقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢).

النعاليم

١ - يُسَبِّحُ الرَّعْدُ عَنْ عِلْمٍ وَشُعُورٍ مِنْهُ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْمَلَائِكَةِ، لورود كلمة الرَّعْدِ وَالْمَلَائِكَةِ مَعاً فِي الْآيَةِ، ﴿يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾.

٢ - يكون تسبيح الملائكة على أساس خوفهم من الله سبحانه وخشيته، ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾.

٣ - ليست الصاعقة والإصابة بها أمراً اعتبارياً، إنما هي بإرادة الله ووفقاً للسنن الإلهية، ﴿يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾.

٤ - حتى الحوادث الخطيرة كالصواعق مثلاً، لن تُثني المعاندين

(١) تفسير الدر المنثور، ذيل الآية: ١٣ من سورة الرعد.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧.

عن عنادهم، ﴿يُجَدِّلُونَ﴾.

٥- لا يُفَكِّرَنَّ أحدكم بالتحايل أو المُخادعة أو الجدل مع الله سبحانه لأنكم لن تغلبوه في ذلك، ﴿هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

٦- ليست كل حيلة أو تدبير مذموماً، إذ قد يتطلب الأمر أحياناً الوقوف بوجه البعض بشدة واتباع التدابير الصارمة، ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

الآية الأخرى تشير إلى صوت الرعد الذي يتزامن مع البرق ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(١).

نعم، فهذا الصوت المدوّي في عالم الطبيعة يضرب به المثل، فهو مع البرق في خدمة هدف واحد ولهما منافع متعددة كما أشرنا إليها، ويقومان بعملية التسييح، وبعبارة أخرى فالرعد لسان حال البرق يحكي عن عظمة الخالق وعن نظام التكوين. فهو كتاب معنوي، وقصيدة غراء، ولوحة جميلة وجذابة، نظام محكم ومنظم ومحسوب بدقة، وبلسان حاله يتحدث عن علم ومهارة وذوق الكاتب والرسام والمعمار ويحمده ويثني عليه، كل ذرات هذا العالم لها اسرار ونظام دقيق. وتحكي عن تنزيه الله وخلوّه من النقص والعيوب (وهل

(١) للتوضيح أكثر في معنيي التسييح والتقديس للكائنات سيأتي في ذيل الآية ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الاسراء، ٤٤].

التسبيح غير ذلك؟!). وتحدث عن قدرته وحكمته (وهل الحمد غير بيان صفات الكمال؟!).

وقد احتمل بعض الفلاسفة أنّ لكلّ ذرّات هذا العالم نوعاً من العقل والشعور، فهي من خلال هذا العقل تسبّح الله وتقُدّسه، ليس بلسان الحال فقط، بل بلسان المقال أيضاً.

وليس الرعد وسائر أجزاء العالم تسبّح بحمده تعالى، بل حتّى الملائكة والملائكة من خيفته فهم يخافون من تقصيرهم في تنفيذ الأوامر الملقاة على عاتقهم، وبالتالي فهم يخشون العقاب الإلهي، ونحن نعلم أنّ الخوف يصيب أولئك الذين يحسّون بمسؤولياتهم ووظائفهم.. خوف بناءً على الشخص على السعي والحركة.

وللتوضيح أكثر في مجال البرق والرعد تشير الآية الى الصاعقة وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ - وبمشاهدة آيات العظمة الإلهية في عالم التكوين من السماء والأرض والنباتات والأشجار والبرق والرعد وأمثالها، وفي قدرة الإنسان الحقيرة تجاه هذه الحوادث، حتّى في مقابل واحدة منها مثل شرارة البرق - نرى أنّ هناك جماعة جاهلة تجادل في الله ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

﴿الْمِحَالِ﴾ في الأصل «الحيلة» بمعنى التدبير السري وغير الظاهر، فالذي له القدرة على هذا التدبير يمتلك العلم والحكمة العالية، ولهذا

٣٢٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

السبب يستطيع أن يتتصر على أعدائه ولا يمكن الفرار من حكومته.
وذكر المفسرون وجوها عديدة في تفسير شديد المحال فتارة
بمعنى «شديد القوة»، او ﴿شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾، او «شديد القدرة» أو
«شديد الأخذ»^(١).

رابعاً : وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

سبب نزول

١ - الرسول ﷺ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا إِلَى فِرْعَوْنَ مِنْ فِرْعَانَةِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ لِرَسُولِ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي يَدْعُونِي إِلَيْهِ أَمِنْ فَضْةٍ هُوَ أَمْ مِنْ ذَهَبٍ أَمْ مِنْ حَدِيدٍ فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَادْعُهُ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ أَعْتَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقَالَ كَقَوْلِهِ فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ رَعَدَتْ سَحَابَةٌ رَعْدَةً فَأَلْقَتْ عَلَى رَأْسِهِ صَاعِقَةً ذَهَبَتْ بِقَحْفِ رَأْسِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ.^(٢)

(١) فسر البعض «المحال» من «المحل، الماحل» بمعنى المكر والجدال والتصميم على العقوبة، ولكن ما أشرنا إليه أعلاه هو الصحيح، والتفسيران قريباً المعنى.

(٢) تفسير أهل البيت ﷺ ج ٧، ص ٢٤٢ - بحار الأنوار ج ١٧، ص ٣٥٣ / الأمل للطوسي؛ ص ٤٨٥ / نور الثقلين؛ «النبي» محذوف و«فأبقت» بدل «فألقت» / البرهان.

١-١ - الرسول ﷺ - وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ ... وَالَّذِي بَصُوتِ زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرَّعْدِ، وَإِذَا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السَّحَابِ التَّمَعْتُ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ. (١)

١-٢ - على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ أَيَّ الْمَلِكِ الَّذِي يَسُوقُ السَّحَابَ. (٢)

١-٣ - الصادق عليه السلام - عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ دَاوُدَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَهُ فَارْتَعَدَتِ السَّمَاءُ فَقَالَ هُوَ سُبْحَانُ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَصِيرٍ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ لِلرَّعْدِ كَلَامًا فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ سَلْ عَمَّا يَعْنِيكَ وَدَعْ مَا لَا يَعْنِيكَ. (٣)

١-٤ - الرسول ﷺ - رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَبَّكُمْ سُبْحَانَهُ يَقُولُ لَوْ أَنَّ عِبَادِي أَطَاعُونِي لَأَسْقَيْتُهُمُ الْمَطَرَ بِاللَّيْلِ وَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ وَلَمْ أُسْمِعْهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ وَكَانَ ﷺ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ. (٤)

١-٥ - الرسول ﷺ - وَرَوَى سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ وَالصَّوَاعِقَ قَالَ اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا

(١) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٢ - صحيفة السجادية، ص ٣٦ / نور الثقلين.

(٢) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٢ - بحار الأنوار؛ ج ٩، ص ٢١٥ / القمى؛ ج ١، ص ٣٦٠.

(٣) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٢ - بحار الأنوار؛ ج ١، ص ٢١٨ / نور الثقلين / البرهان.

(٤) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٢ - بحار الأنوار؛ ج ٥٦، ص ٣٥٦ / نور الثقلين؛ «ان ربكم ... وكان» محذوف.

بِغَضَبِكَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ. (١)

١-٦- الصادق عليه السلام - عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّعْدِ أَيْ شَيْءٍ يَقُولُ قَالَ إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَكُونُ فِي الْإِبِلِ فَيَزْجُرُهَا هَاهُنَا هَاهُنَا كَهَيْئَةِ ذَلِكَ قُلْتُ فَمَا الْبَرْقُ قَالَ لِي تِلْكَ مَخَارِيقُ الْمَلَائِكَةِ تَضْرِبُ السَّحَابَ فَتَسُوْقُهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَضَى اللَّهُ فِيهِ الْمَطَرُ. (٢)

١-٧- الصادق عليه السلام - عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَزْعَدَتِ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَمَا إِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّعْدِ وَمِنْ هَذَا الْبَرْقِ فَإِنَّهُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ قُلْتُ مَنْ صَاحِبُنَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. (٣)

١-٨- ابن عباس (رحمة الله عليه) - وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ أَيْ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَشْيَتِهِ، إِنَّهُمْ خَائِفُونَ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ كَخَوْفِ ابْنِ آدَمَ عليه السلام، لَا يَعْرِفُ أَحَدُهُمْ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَمَنْ عَلَى يَسَارِهِ، لَا يَشْغَلُهُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ وَلَا شَيْءٌ. (٤)

١-٩- ابن عباس (رحمة الله عليه) - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رحمة الله

(١) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٢ - بحار الأنوار؛ ج ٥٦، ص ٣٥٧ / نور الثقلين.

(٢) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - بحار الأنوار؛ ج ٥٦، ص ٣٧٩ / البرهان / نور الثقلين.

(٣) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - بحار الأنوار؛ ج ٢٧، ص ٣٣.

(٤) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - بحار الأنوار؛ ج ٥٦، ص ٣٥٧.

عليه): مَنْ سَمِعَ الرَّعْدَ فَقَالَ: سَبَّحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ
فَعَلَى ذَنْبِهِ. (١)

١-١٠- الصادق عليه السلام - عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيِّ قَالَ قَالَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنْ الصَّوَاعِقُ لَا تُصِيبُ ذَاكِرًا قَالَ قُلْتُ وَمَا الذَّاكِرُ
قَالَ مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ. (٢)

١-١١- الصادق عليه السلام - عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
عليه السلام عَنْ مِيتَةِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ يَمُوتُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ مِيتَةٍ يَمُوتُ غَرَقًا
وَيَمُوتُ بِالْهَدْمِ وَيُبْتَلَى بِالسَّبْعِ وَيَمُوتُ بِالصَّاعِقَةِ وَلَا تُصِيبُ ذَاكِرَ اللَّهِ
تَعَالَى. (٣)

١-١٢- الصادق عليه السلام - لَا تَمْلُؤُوا مِنْ قِرَاءَةِ إِذَا زُلْزَلَتِ الْأَرْضُ
زَلْزَالَهَا؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ بِهَا فِي نَوَافِلِهِ، لَمْ يُصِبْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِزَلْزَلَةٍ
أَبَدًا، وَلَمْ يَمُتْ بِهَا، وَلَا بِصَاعِقَةٍ، وَلَا بِآفَةٍ مِنَ آفَاتِ الدُّنْيَا حَتَّى
يَمُوتَ. (٤)

١-١٣- الرَّسُولُ ﷺ - الصَّوَاعِقُ نَقْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُصِيبُ بِهَا

(١) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - بحار الأنوار؛ ج ٥٦، ص ٣٥٧.

(٢) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - الكافي، ج ٢، ص ٥٠٠ / نور الثقلين / البرهان.

(٣) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - الكافي، ج ٣، ص ١١٢ / نور الثقلين / البرهان.

(٤) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - الكافي (دار الحديث)، ج ٤، ص ٦٥٧ / نور الثقلين / البرهان.

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. (١)

١-١٤ - أمير المؤمنين عليه السلام - عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا عليه السلام يَقُولُ إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ الْقَائِمِ سِنِينَ خَدَاعَةٍ يُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُقَرِّبُ فِيهَا الْمَاحِلُ وَفِي حَدِيثٍ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ قُلْتُ وَمَا الرُّوَيْضَةُ وَمَا الْمَاحِلُ قَالَ أَمَّا تَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ قَوْلُهُ: وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ قَالَ يُرِيدُ الْمَكْرَ فَقُلْتُ وَمَا الْمَاحِلُ قَالَ يُرِيدُ الْمَكَّارَ. (٢)

١-١٥ - أمير المؤمنين عليه السلام - وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أَيْ شَدِيدُ الْأَخْذِ. (٣)

١-١٦ - علي بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أَيْ شَدِيدُ الْغَضَبِ. (٤)

(١) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٧، ص ٢٤٤ - الكافي، ج ٨، ص ٢٤٠.

(٢) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٧، ص ٢٤٦ - بحار الأنوار؛ ج ٥٢، ص ٢٤٥ / الغيبة للنعماني؛ ص ٢٧٨ / البرهان.

(٣) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٧، ص ٢٤٦ - نور الثقلين.

(٤) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٧، ص ٢٤٦ - بحار الأنوار؛ ج ٩، ص ٢١٥ / القمى؛ ج ١، ص ٣٦٠.

الآية السابعة عشر

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

الكون يعجب بالتسبيح

عرض نظريات التسبيح

التسبيح هو الذكر الذي يُردد في عالم الدنيا وعالم الآخرة حيث أن القرآن الكريم يذكر تحية الملائكة في الجنة التسبيح، قال تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]

أما عالم الدنيا فالقرآن استعرض التسبيح في عالم الملائكة والأنس والجن والطير والجمال في أوقات، وذكر الكائنات بأسرها تُسَبِّح الله عز وجل وما هذه الآية الشريفة الكريمة التي هي محط آراء الباحثين من المفسرين والفلاسفة، وننقل ما أفاد العلامة الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله ورعاه من تلك النظريات حول تسبيح الكائنات وإليك:

آراء المفسرين في تسييح الكائنات

إنّ بعض المفسرين - وإن قال بأنّ المراد من لفظة (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ هو الموجودات العاقلة المدركة الشاعرة كالإنسان والملائكة التي تقدّس الباري، وتنزّهه بكامل شعورها وإدراكها ووعيتها - ولكن كثيراً من المفسرين لم يرتضوا هذا الرأي وقالوا: بأنّ المقصود من (ما) هو مطلق الموجودات (عاقلة وغير عاقلة، مدركة وغير مدركة) وظاهر الآية يؤيد هذا الرأي، إذ أنّ لفظة (ما) تستعمل عادة في مطلق الموجودات على عكس (مَنْ) التي تطلق - في الأغلب - على أصحاب العقل والإدراك.

أضف إلى ذلك أنّ الآية الدالة على سجود الموجودات غير العاقلة لا تختص بالآيات التي وردت فيها لفظة (ما)، بل كان هناك لفيف من الآيات ذكر فيها تسييح الطير والجمال والرعء.

وعلى ذلك فالتوجيه المزبور لو صحّ لثم في القسم الأوّل من الآيات لا في القسم الثاني.

وقد ذكر فريق من المفسرين توجيهات مختلفة للتسييح، ولكن أكثرها وإن كانت صحيحة غير أنّها لا ترتبط بالمعنى الحقيقي للتسييح، وسوف نشير فيما يلي إلى جملة من هذه الآراء.

النظرية الأولى

قال أصحاب هذه النظرية: إنّ المراد من التسبيح هو «التسبيح التكويني» بمعنى أنّ وجود كل موجود حادث يشهد - بحدوثه - أنّ له صانعاً خالقاً حتى أنّ وجود المادي الملحد المنكر لله بلسانه، هو أيضاً، يشهد بوجود الخالق الصانع. ^(١)

بيد أنّ هذا الرأي - رغم صحته واستقامته في حد نفسه - لا يمكن أن يكون تفسيراً صحيحاً ومقبولاً للتسبيح، لما قلناه من انطواء التسبيح على معنى (التنزيه) والتقديس من العيوب والنقائص، ولا ربط لدلالة الموجودات على وجود خالق لها بمسألة «التنزيه» و«التقديس» عن العيب والنقص والشرىك.

النظرية الثانية

وتقول هذه النظرية: إنّ المقصود من التسبيح هو «الخضوع التكويني» الذي يديه كل واحد من الموجودات الكونية تجاه مشيئة الله وأمره، إذ نحن نلمس بالوجدان كيف يخضع كل الوجود بلا استثناء أمام الإرادة الإلهية، سواء أكان في تقبل الوجود، أم في اتباع السنن الطبيعية التي قررها وأرساها الله في عالم الكون.

(١) هذه النظرية إجمالاً ما سيوافيك في النظرية الثالثة، ولعل مراد من فسر التسبيح بها في هذه النظرية، هو ما سيأتي في ثالثها من أنّ العالم كما يدل على وجود خالقه يدل على صفاته من توحيده وعلمه و... وعلى ذلك تتحد النظرتان.

فهذه الطاعة المطلقة أزاء تلك الإرادة الإلهية العليا، وهذا الانصياع لتلك السنن الإلهية هو «تسبيح الموجودات» ليس غير. ثم يستدل أصحاب هذا الرأي على تسليم جميع الموجودات تجاه الإرادة الإلهية النافذة بآيات، مثل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. وبناء على هذه النظرية فإن جميع الآيات التي نسب فيها «السُّجُود» والخضوع إلى كل ما في السماوات والأرض، يمكن أن تكون مؤيدة للرأي المذكور. ولكننا نتصور أن هذا الرأي غير صحيح هو أيضاً، ذلك لأن مسألة «خضوع» الوجود بأسره وبكل أجزائه، وتسليمه للسنن والقوانين الإلهية لا يرتبط بمسألة تنزيه الله، وتقديسه تعالى من العيب والنقص والشرك، وينبغي أن لا نخلط بين هذين الموضوعين، وإن كان كل منهما صحيحاً وصائباً في حد ذاته.

النظرية الثالثة

ذهب كثير من المفسرين إلى تفسير تسبيح عموم الموجودات على النحو الآتي، إذ قالوا:

إنّ النظام العجيب المستخدم في تكوين كل واحد من هذه الموجودات والدقة المتناهية في هذا النظام دليل على «قدرة» عليا

و«حكمة» و«علم» مطلقين لصانعها وخالقها.

فالكيان المعقّد والعجيب لكل واحد من هذه الموجودات، والمليء بالأسرار كما يشهد بصدق وجلاء على صانع لها، كذلك يشهد - بلسان التكوين - على خالق واحد، عالم وقدير وحكيم، وعلى الجملة على «علم» ذلك الصانع و«حكيمته» و«قدرته» وخلوّه عن أي نوع من الجهل والعجز والعي، بل يكفي في التسبيح دلالتها على صفاته الكمالية فقط، الملازم لدفع الصفات السلبية ولا يجب أن يكون بصورة سلب النقائص ابتداء.

ففي مجال تنزيه الله عن «الشريك» مثلاً، تأتي شهادة هذه الموجودات على النحو الآتي:

إنّ النظام الواحد الذي يسود في الذرة والمجرة على السواء يشهد بأنّ الكون بأسره وجد بإرادة خالق وصنع صانع واحد دون أن تكون لأي خالق آخر مشاركة في هذا الخلق والصنع، وأنّ وحدة النظام دليل على وحدة المنظم وعدم الشريك له سبحانه.

وكذا إنّ سيادة نظام موحد على مجموع أجزاء الكون كما تفيد أنّ ثمة «منظماً واحداً» يحكم هذا العالم، كذلك تكشف الأسرار الدقيقة، والتقدير المتقن عن «علم» صانعها و«حكيمته» و«قدرته» الملازم

٣٣٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

لتنزّهه عن الجهل واللعب والعجز^(١)، وقد مرّ أنّه يكفي في التسييح دلالة الشيء على كمال المؤثر الملازم.

ولأجل هذا قلنا إنّ النظرية الثالثة تفصيل لما جاء في الأولى.

لدفع العيب عنه ولا يلزم أن يدل على تنزيهه من الجهل مطابقة.

ولنا على هذا الرأي الذي اعتمد عليه كثير من المفسرين ملاحظات من عدة جهات:

١. إذا كان هذا هو مقصوده سبحانه من تسييح عموم

الموجودات، فهو ممّا يدركه ويفقهه جميع الناس أو أكثرهم، ولا

معنى لأن يقول القرآن في سورة الإسراء الآية ٤٤: ﴿وَلَكِنَّ لَا

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وقد اضطر البعض إلى إصلاح هذه النظرية بتفسير جملة ﴿لَا

تَفْقَهُونَ﴾ بأنّها بمعنى عدم الانتباه والالتفات، وإنّ أكثر الناس غير

منتبهين إلى تسييح الموجودات، أمّا لانغماسهم في المادية، أو لأجل

كون دلالة الموجودات على «تنزيه» الله عظيمة جداً بحيث لا يمكن

(١) هذا مضافاً إلى أنّ هذه النظرية تفصيل لما أجمل في النظرية الأولى، فإنّ القائل بالنظرية الأولى أجمل القول واكتفى بالقول بأنّ كل موجود حادث يدل على وجود محدثه، لكن القائل بالنظرية الثالثة بسط الكلام وأفاد بأنّ وجود كل حادث كما يدل بحدوثه على وجود محدثه، كذلك يدل بصفاته (أعني: النظام السائد فيه) على صفات موجدته من العلم والقدرة والحكمة، وخلوّه عن العجز والجهل والعبث.

للشأن أن يقف على مداها.

ولكن لا يخفى أن هذا التوجيه خلاف ظاهر الآية، ولو صح ما فسروا به جملة ﴿لَا تَفْقَهُونَ﴾ للزم أن يقول «ولكنكم إذا لاحظتم تفقهون» أو ما يناسب ذلك مع ما نعرف من الدقة في التعبير القرآني، لا أن يسلب عنهم العلم والفهم بتاتا.

هب أن أكثر الناس غير واقفين على دقة الخلقة وأسرارها والروابط السائدة على المخلوقات غير أن ذلك لا يصحح سلب العلم عن الناس عامة، جاهلهم وعالمهم، ولا سيما في هذا العصر الذي ظهرت فيه البواطن والأسرار واكتشفت الحقائق.

٢. إذا كان تسبيح الموجودات بالمعنى المذكور في هذه النظرية، (أي أننا يمكن أن ندرك من التدبر في خلقة الأشياء نزاهة خالقها وصانعها من الجهل والعجز) فلماذا وصف القرآن بعض الحيوانات كالطير بإدراكها لتسبيحها وتنزيها لربها وكونها تعلم بحقيقة تسبيحها إذ قال:

﴿كُلُّ (أي كل من في السماوات والأرض والطير) قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١]. وبتعبير أوضح: لماذا نسب القرآن الكريم «الْعِلْمُ» إلى الطير بشكل صريح في حين أن مقتضى هذه النظرية هو أنها

لا تعلم بتسبيح نفسها، ولا تشعر ولا تدرك ذلك، بل نحن فقط نشعر ونعلم بتسبيحها التكويني من التدبر في خلقها ودقة صنعها دون أن تشعر هي نفسها بذلك. اللهم إلا أن يخصص العلم - بحكم ظاهر الآية - بالموجودات العاقلة للفظه ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وخصوص الطير.

٣. إذا كان المقصود من تسبيح الكائنات هو ما جاء في هذه النظرية لما كان لهذا التسبيح وقت خاص، وزمان معين.

بل هو (أي التسبيح بلسان التكوين) حقيقة ملازمة للكائنات في كل وقت وأن، بحيث يدركها البشر أنني تدبر في خلقها، وأنى تفكر في تكوينها، وتمعن في صنعها، في حين أن القرآن الكريم يحدد زمن «تسبيح الجبال» بأوقات خاصة من طرفي النهار بكرة وأصيلاً، إذ يقول في سورة (ص الآية ١٨):

﴿يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١).

نعم يمكن أن يقال: إن تحديد تسبيحها بالعشي والإشراق، لأجل أن تسبيح داود كان محدداً بهذين الوقتين وكانت الجبال يسبحن معه، ولأجل تلك التبعية صار تسبيح الجبال محدداً بها.

(١) إلا أن يكون «العشي والإشراق» كناية عن مداومة التسبيح طول الليل والنهار، وعند ذلك لا يصلح هذا الوجه للاستدلال.

ولكن ذلك لا يضر بالمقصود، إذ هو حاك عن سريان شعور مرموز إليها بحيث تدرك تسبيح ولي الله سبحانه في أوقات خاصة فتنتلق تسبيح معه كما هو صريح الآية.

واحتمال أن تسبيح الجبال كتكلم شجرة موسى، وأن التسبيح إذا صدر من عباد الله الصالحين، تتجاوب معه الجبال بصورة خارقة كتكلم الشجرة بأمره، ولأجل ذلك صح اسناد التسبيح إلى الجبال، احتمال لا يمكن الركون إليه في تفسير الآية إلا بشاهد من نفسها أو خارجها والظاهر هو المتبع ما لم يذدنا عنه البرهان.

على أساس هذه الملاحظات - بالرغم من صحة نظرية التسبيح التكويني في كل موجود في حد ذاتها - لا يمكن حمل «آيات التسبيح الكوني» عليها والقول بأنها ناظرة إلى هذا المعنى.

النظرية الرابعة

وهذه النظرية هي للفيلسوف الإسلامي الجليل المرحوم «صدر المتألهين» صاحب الآراء الجليلة في الإلهيات، وما وراء الطبيعة، وأحد كبار المؤسسين لأصول الفلسفة الإسلامية، المحققين النادرين^(١).

(١) ولد عام ٩٧٩ هـ في شيراز من بلاد إيران، وتوفي عام ١٠٥٠ هـ في طريق الحج في البصرة. لقد أنشأ المرحوم السيد حسين البروجردي في تاريخ وفاته قوله - كما في كتابه نخبة المقال -:

ثم ابن إبراهيم صدر الأجل في سفر الحج «مريضاً» ارتحل
قدوة أهل العلم والصفاء يروي عن الداماد والبهائي

يقول هذا الفيلسوف الإسلامي ما توضيحه:

إنَّ الكون بجميع أجزائه يسبح لله ويحمده ويشني عليه تعالى عن
شعور وإدراك.

فلكل موجود من هذه الموجودات نصيب من الشعور والإدراك
بقدر ما يملك من الوجود من نصيب.

وعلى هذا الشعور تسبَّح الموجودات كلّها، خالقها، وبارئها،
وربها سبحانه وتنزهه عن كل نقص وعيب.

ثم يقول:

إنَّ العلم والشعور والإدراك كل ذلك متحقّق في جميع مراتب
الوجود، ابتداءً من «واجب الوجود» إلى النباتات والجمادات، وأنَّ
لكل موجود يتحلّى بالوجود سهماً من الصفات العامة كالعلم
والشعور والحياة .. ولا يخلو موجود من ذلك أبداً، غاية ما في
الأمر أن هذه الصفات قد تخفى علينا - بعض الأحيان - لضعفها
وضآلتها.

على أنَّ موجودات الكون كلّها ابتعدت عن المادة والمادية،
واقتربت إلى التجرد، أو صارت مجردة بالفعل ازدادت فيها هذه
الصفات قوة وشدة ووضوحاً...

بينما كلما ازدادت اقتراباً من المادة والمادية، وتعمقت فيها،

ضعفت فيها هذه الصفات، وضوّلت حتى تكاد تغيب فيها بالمرة، كأنّها تغدو خلوة من العلم والشعور والإدراك ولكنها ليست كذلك (أي أنّها ليست خلوة من العلم والشعور والإدراك) - كما نتوهم - إنّها بلغ فيها ذلك من الضعف، والضآلة بحيث لا يمكن إدراكها بسهولة وسرعة^(١).

ثم إنّ صاحب هذه النظرية أثبتّها عن طريق الأدلة والبراهين الفلسفية، والمكاشفات النفسانية.

على أنّه خطأ خطوة أكبر، إذ قال: إنّ ما يقوله القرآن بأنّ البشر لا يفقه تسبيح الموجودات، ناظر إلى أغلب الناس، لأنّ أغلبهم لا يفقهون هذا التسبيح، ولا يمنع ذلك من أن يفقهه بعض العارفين الذين ارتبطت أرواحهم بحقائق الموجودات، فلمسوا تسبيح الكائنات عامة، بعين القلب، وأطلعوا على تقديسها لله سبحانه، وانقيادها لمشيئته، وخضوعها له.

أجل أنّ القلوب الخالية من الوسوس الشيطانية، الطاهرة من العلائق المادية التي صارت محلاً للنور الإلهي ومحطاً للفيوض الربانية، ومهبطاً للبركات المعنوية قادرة على «مشاهدة» هذه الحقائق العليا، مشاهدة وجدانية، وإدراكها إدراكاً قلبياً لا يتطرق إليه شك،

(١) راجع الأسفار: ١/ ١٨ و ٦/ ١٣٩ - ١٤٠، الطبعة الجديدة.

وماذا يمنع من ذلك يا ترى؟

وبعد أن وصل البحث إلى هذه النقطة يلزم أن نحاول الوصول إلى هذه الحقيقة القرآنية، بالتدبر في آياتها التي تنسب الشعور والعلم إلى عموم

الموجودات، لأن القرآن إذا نسب «التسبيح والحمد» إلى عمومها، فهو في نفس الوقت يصف كل ذرات العالم بأنها شاعرة، ومدركة، وسامعة.

فإذا وضعنا هاتين الطائفتين من الآيات إلى جانب بعض، ثبتت لنا صحة النظرية التي ذهب إليها «صدر المتألهين».

وإليك - فيما يأتي - الآيات الدالة على سريان الشعور، والعلم في عامة الموجودات بدءاً من الذرة وانتهاء بالمجرة، مع ما يمكن استنباطه واستفادته من هذه الآيات.

سريان الشعور في عموم الموجودات

ويمكن إثبات هذا الادّعاء عن طريقين:

أولاً: عن طريق الآيات التي تشهد على وجود الشعور، وسريانه في جميع موجودات هذا العالم، أحيائها، وغير أحيائها.

ثانياً: عن طريق البراهين والدلائل العقلية التي تثبت وجود الشعور في كل ذرات الكون.

وإليك الطريق الأول: ويتألف من آيات متعددة هي:

١- يشهد القرآن- بصراحة ووضوح- على أن النمل تتمتع بشعور خاص، لأنها عندما مر على واديها سليمان وجنوده راحت نملة تخاطب بني نوعها وتحثها على الدخول في بيوتها لئلا يسحقها سليمان وجنوده، كما يحدثنا القرآن إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ﴾.

[النمل: ١٨]

وكان هذا النداء التطميني (أو التحذيري) من تلك النملة، نداء حقيقياً، واقعياً، ولا يمكن أن نحمله على معنى مجازي، وندعي بأن ما قالته النملة كان بلسان «الحال»، وذلك لأن سليمان تبسم على أثر سماعه ذلك النداء، ودعا ربه أن يوفقه للشكر على ما وهبه وأنعم عليه وعلى والديه، إذ يقول القرآن:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا^(١) وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾. [النمل: ١٩]

٢- ان في القرآن قصة عن الهدهد تكشف عن شعور خاص لدى هذا الطائر، بحيث يمكن للهدهد أن يميز بواسطته: الموحّد عن المشرك وبحيث كان سليمان يبعثه في إنجاز مهام معينة تحتاج إلى

(١) إن في لفظة «قوله» دلالة على أن نداءها لم يكن بلسان الحال، بل كان بالكلام والقول الذي ينطلق من شعور وادراك.

الشعور وتتطلب العلم والفهم. وإليك هذه القصة بلسان القرآن نفسه:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدًى أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾
لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ
غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي
وَجَدْتُ أُمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا
وَقَوْمَهَا يُسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٠-٢٨].

ألا يدل فعل هذا الطائر - العجيب - الذي يدرك كل الأمور الدقيقة، ويخبر عنها بدقة وأمانة، ويمثل لأوامر سيده سليمان على أحسن وجه. أقول: ألا يدل كل هذا على أن هذا الطائر يتمتع بشعور خاص وإدراك مخصوص هو الذي أهله لتحمل تلك المسؤولية الكبيرة الدقيقة؟

٣. يعد القرآن من مفاخر سليمان: علمه بمنطق الطير، وهذا

يكشف عن وجود منطق خاص للطير كاشف عن شعوره بما يقول، إذ قال:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] كما أن القرآن يخبرنا بأن سليمان ألف جيشاً ضخماً من الإنسان والجن والطير، وكانت جميعها تحت أمره، ورهن إرادته، وإشارته:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾. [النمل: ١٧] وهكذا يستفاد من مجموع هذه الآيات أن الطيور والنمل تتمتع بنوع خاص من الوعي والشعور، وأنه لو أُتيح للإنسان أن يحكم على الكون كله، لا استطاع أن يتحدث معها ويعرف حديثها، وأن يستفيد منها في إرساء النظام التوحيدي وتقوية دعائمه، وتخطيط مظاهر الشرك والوثنية وتقويض قواعدها، كما استفاد سليمان من الهدهد ذلك الأمر، والظاهر أنه لا خصوصية للمورد.

سريان الشعور في الجمادات

تحدثت الآيات القرآنية عن هذه الحقيقة بنحو ما، وراحت تنسب أفعالا إلى (الجمادات) تقترن بالشعور وتثبت الإدراك لها.

فالقرآن الكريم يرى أن سقوط بعض الصخور من نقطة ما إنما هو نتيجة خوفها من الله وخشيتها منه تعالى إذ يقول:

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. [البقرة: ٧٤] نعم ربما يحتمل أن

٣٤٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا (مِنَ الْحَجَارَةِ) لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] هو التعبير عن شدة قسوة قلوب اليهود، بشهادة أن من الحجارة ما تتفجر منه الأنهار، دون قلوبهم، وإن من الحجارة ما يهبط من خشية الله دونها، وعند ذاك لا تصلح الآية للاستدلال على سريان الشعور في الموجودات عامة.

غير أن هذا الاحتمال لا يضر بما ذهبنا إليه، فإن التعبير عن شدة قسوة قلوبهم مجتمع مع دلالة الآية على سريان الشعور في عامة الموجودات، فإن الآية أثبتت للحجارة صفتين: التفجر، والهبوط من خشية الله.

فكما أن التفجر أمر حقيقي لها، فكذلك الهبوط من خشية الله أمر حقيقي لها، ومع ذلك تدل على شدة قسوة قلوبهم.

وفي آية أخرى يخبر القرآن الكريم عن قضية عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال، وامتناع هذه الأشياء عن حملها خشية وإشفاقاً فيقول:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

غير أن طائفة من المفسرين فسروا هذه الآية ونظائرها بالمعاني المجازية، وبأن كل هذا الذي يخبر عنه القرآن تم بلسان الحال، بمعنى

أنَّها أبين وأشفقن عن تحمّل الأمانة المعروضة عليها، بلسان حالها، لا بلسان مقالها الكاشف عن الشعور في حين أن هذا التفسير والحمل ضرب من اتخاذ المواقف قبل البحث والدرس وهو أمر لا مبرر له، إذ لا دليل على حمل مثل هذه الآيات على غير ظاهرها، وتأويل هذه الحقيقة - التي يتحدّث عنها القرآن بصراحة - بمعان مجازية، ومحامل لم يقيم عليها دليل. على أن عدم توصل العلم إلى هذه الحقيقة، أعني: وجود الشعور عند عامّة الموجودات لا يكون دليلاً - أبداً - على عدم وجود هذا الشعور عند هذه الكائنات، لأنّ وظيفة العلم إنّما هي الإثبات فقط، وليس للعلم حق «النفي» والسلب، والإنكار. إنّ العلم لم يبلغ تلك المرحلة من المعرفة، والإحاطة بحقائق الكون، إحاطة يمكنه معها أن ينكر ما لا يعرف وجوده أو عدمه^(١).

وفي موضع آخر يقول القرآن في هذا الصدد:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. [الحشر: ٢١] ولا ريب أنّنا لو تجرّدنا عن آرائنا الشخصية حول الآيات القرآنية، لوجب علينا أن نقول: إنّ هذه الجبال لا بدّ أنّها تنطوي على قابلية الخشوع والتصدّع لكي يصح أن يتوجه إليها الخطاب

(١) وهذه إحدى الفروق بين العلم والفلسفة فإنّ للثانية حق النفي والإثبات وليس للأول ذلك الحق، لأنّ الوسائل التي يتوصل بها العلم للتحقيق أقصر من أن يتوصل بها إلى الإحاطة بجميع الموجودات، وهذا بخلاف الفلسفة فإنّها تجعل صفحة الوجود مسرحاً لنقاشها ونفيها، وإثباتها ولبحث عن الفرق الكامل بين العلم والفلسفة موضع آخر.

الإلهي القرآني. إذ ليس من المعقول أن ينسب القرآن الكريم - وليس من شأنه المبالغة الكاذبة - هذا النوع من الحالة (أي حالة الخشوع) إلى ما لا يكون قابلاً لها. وربما يحتمل أن الآية كناية عن عظمة القرآن وجلالة قدره، بدليل أنه لو أنزله الله على جبل خشع وتصدّع، ولا يستلزم هذا إثبات قابلية الشعور في الجبال. غير أن الإجابة على هذا الاحتمال واضحة جداً، فإن هذا التفسير مبني على ما سلّم به القائل مسبقاً من أنه لا شعور في الجبال، ولذلك عاد ففسر الآية على ما بنى عليه. ولو تخلّى عن هذه الفكرة - كما قلناه آنفاً - ودرس الآية بدون فكرة سابقة لوقف على أن الآية مع دلالتها على عظمة القرآن تدل أيضاً على وجود شعور في الجبال، وقابلية للخضوع والخشوع الحقيقيين لديها. وليست دلالة الآية على عظمة القرآن مانعة عن دلالتها على الأمر الثاني. ويستفاد وجود مثل هذا الشعور والوعي في الجبال من بعض الآيات الأخرى عندما تقول:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. [إبراهيم: ٤٦]

وكقوله تعالى:

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠] فإذا لم تكن في «الْجِبَالُ» تلك القابلية وذلك الوعي لما يدور

خارجها لما صحت هذه التوصيفات والنسب، ولوجب حينئذ أن نفترض لهذه الآيات «معاني مجازية» من قبيل المبالغة، والتمثيل تماماً كما ذهب إليها بعض المفسرين حيث ارتكبوا حملها على التجوز والتمثيل. نعم يمكن أن تكون الآية وسابقتها ناظرتين إلى أمر آخر وهو: أن عظم مكرهم بلغ إلى حد يمكن أن تنقلع به الجبال وتنشق السماء والأرض، والإزالة والانشقاق أثر المكر لا أن تزول وتنشق بتأثر ناشئ عن إدراك وشعور لديها.

فمكرهم أو قولهم بأن الله اتخذ ولداً قد بلغ من التأثير السيء إلى حد الآلة الهدامة. على أن الآيات المرتبطة بيوم القيامة تكشف النقاب عن وجود هذا الوعي والشعور - فضلاً عن إمكانه - حيث إنها تخبرنا عن تكلم الأيدي والأرجل والجلود وشهادتها على الإنسان في ذلك اليوم الرهيب بأمر الله، فإذا بها تشهد على العصاة بكل ما فعلوا من أفاعيل، وآثام، بدقة متناهية. وإليك هذه الآيات:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[النور: ٢٤].

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ﴾. [يس: ٦٥]

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ [فصلت: ١٩-٢١] نعم الآية واردة في شهادة الجلود يوم القيامة والاستدلال بها على إمكانية وجود الشعور في جلود الإنسان هنا في الدنيا يحتاج إلى لطافة ذوق فإنَّ النشأة الأخروية ليست مباينة للنشأة الدنيوية. ثم إنَّ القرآن يشهد - بصراحة تامة - في آيات أخرى بأنَّ الارض تتحدث بأمر الله وتخبر عما وقع على ظهرها إذ يقول:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ (أي الأرض) أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٤-٥] كما أنَّ القرآن الكريم يخبرنا عن طاعة ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الكاشفة عن وجود مثل هذا الوعي فيها إذ يقول:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] (١).

هذه الآيات ونظائرها تفيد - حسب نظر من يتخلَّى عن آرائه الشخصية عند فهم مقاصد القرآن - سريان الشعور والفهم في جميع

(١) والخطاب إلى السماء والأرض باعتبار أنَّ الخطاب توجَّه إليهما بعد إيجاد مادتهما الأولى بشهاد قوله سبحانه: «وهي دخان» فلا يمكن قياس تلك الآية بالآيات التي ورد فيها لفظ كن، فإنَّ الخطاب هناك تكويني لغرض الإيجاد، دون المقام.

أجزاء هذا العالم، وذراته.

أما كيف وماذا تكون حقيقة هذا الشعور والفهم والوعي، وما هو مستواها وحجمها فذلك ما ليس بواضح ولا معلوم لنا، بيد أن هذا الجهل لا يمكن أن يكون سبباً للإنكار فما أكثرها من حقائق في هذا الوجود لا يعرفها البشر المحدود الرؤية والتفكير.

ومما يجدر بالذكر أن الأدعية الإسلامية قد أشارت إلى هذا الموضوع، نذكر من باب المثال بعض النماذج:

«تسبح لك الدواب في مراعيها والسباع في فلواتها، والطير في وكورها، وتسبح لك البحار بأمواجها والحيتان في مياهها»^(١).

كما أننا نقرأ في «الصحيفة السجادية» نظير هذا حيث يخاطب الإمام السجاد «الهلal» عند رؤيته، إذ يقول عليه السلام:

«أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير، المتصرف في فلك التدبير...»^(٢).

بعد ملاحظة هذه الآيات والروايات الكاشفة عن سريان الشعور والفهم في كل الموجودات يتعين علينا أن نختار نظرية المرحوم صدر المتألهين التي فسر فيها التسبيح المذكور في مورد الكائنات عامة،

(١) راجع كتب الأدعية.

(٢) الصحيفة السجادية: الدعاء: ٤٣.

بالتسبيح «الحقيقي الواقعي» بمعنى أن....

الموجودات تسبّح لله، عن شعور وإدراك لا بلسان «الحال»
والتكوين كما ذهبت إليه النظريات الأخرى.

البرهان العقلي على هذا الرأي

ويمكن إثبات هذا الرأي بالدليل العقلي، وأصول «الحكمة المتعالية»^(١) وخلاصة ذلك هي: أن الوجود - في كل مراتبه - ملازم للشعور والعلم والوعي، وكل شيء نال حظاً من الوجود، فإنه يتمتع بالوعي والعلم والشعور بقدر ما نال من الوجود.

ويتألف الدليل الفلسفي لهذا الادّعاء من مقدمتين ونتيجة:

١. أن ما هو أصيل في الكون، ومصدر لجميع الآثار والكمالات هو: «الوجود».

فهو منبع كل فيض معنوي ومادي وهو منشأ كل علم وقدرة وكل إدراك وحياة.

فكل ذلك ناشئ من وجود الأشياء، بحيث لو انتفى الوجود من البين، لتوقّفت جميع الحركات وسكنت جميع النشاطات وانعدمت كل الفيوض وآل كل ذلك إلى العدم.

(١) هذه اللفظة تشير إلى مدرسة شيخ المتأهّين صدر الدين الشيرازي - رحمه الله -.

الآية السابعة عشر ٣٤٧

٢. ليس للوجود- في كل مراحل له من واجب وممكن ومجرد ومادي وعرض وجوهر- إلا حقيقة واحدة لا أكثر.

وحقيقة الوجود وان لم تكن واضحة لنا ولكننا يمكننا أن نتعرف عليها...

بسلسلة من المفاهيم الذهنية ونقول:

إنَّ الوجود هو الذي يطرد العدم وتفيض العينية والتحقق منه للأشياء.

وبعبارة أخرى: ليست للوجود- من أشرفه إلى أخسّه، من واجبه إلى ممكنه- إلا حقيقة واحدة، تتفاوت في الشدة والضعف حسب تفاوت مراتبه ودرجاته وليست الشدة إلا نفس الوجود، لا أمراً منضمّاً إليه وليس الضعف إلا محدودية الوجود.

فالوجود- في جميع مراتبه- حقيقة واحدة، ونشير إلى تلك الحقيقة الواحدة بأنها «طاردة للعدم» أو كونها نفس العينية الخارجية، وإن كانت لتلك الحقيقة مراتب مختلفة من الشدة والضعف لكن الاشتداد ليس إلا نفس الوجود لا أمراً زائداً عليه، كما أن الضعف ليس إلا محدوديته، لا أمراً ينضم إليه.

فإذا اعتبرنا الوجود منبعاً للكلمات، وأنه ليس له إلا حقيقة واحدة لا أكثر وجب أن نستنتج من تلك المقدمات هذه النتيجة وهي:

٣٤٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

إذا كان الوجود في مرتبة خاصة من مراتبه - كوجود الحيوانات - ذا أثر، وهو العلم والشعور فلا بد أن يكون هذا الأثر سارياً في كل المراتب بنسبة ما فيها من الوجود.

وغير هذه الحالة يجب إما أن لا يكون الوجود منشأً للكلمات ومنبعاً للآثار وإما أن نتصور للوجود حقائق متباينة، أي أن نعتبر حقيقته في مرتبة الحيوانات متغايرة عما هي في مرتبة النباتات والجمادات.

إذ ليس من المعقول أن يكون لحقيقة واحدة أثر معين في مرتبة دون مرتبة أخرى منها.

وبتعبير آخر إذا كان الوجود ذا حقائق متباينة جاز أن يكون ذا أثر معين في مورد ما بينما يكون فاقداً لذلك الأثر في مورد آخر.

ولكن إذا كانت للوجود حقيقة واحدة، ولم تختلف مصاديقها إلا في الشدة والضعف فحينئذ لا معنى لأن يكون الوجود ذا أثر في مرحلة بينما يكون فاقداً لذلك الأثر في مرحلة أخرى.

هذه هي خلاصة البرهان الفلسفي الذي تحدث عنه المرحوم صدر المتألهين في مواضع مختلفة من كتبه.

على أن ظواهر الآيات القرآنية تؤيد هذه الحقيقة إذ تقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. [الإسراء: ٤٤]

سريان الشعور والعلم الحديث

من حسن الحظ أنّ العلوم الحديثة - اليوم - أثبتت بفضل جهود المحققين والباحثين: «وجود الوعي والعلم» في عالم النبات إلى درجة أنّ علماء روس اعتقدوا بأنّ للنبات أعصاباً على غرار الإنسان، وأنها تصرخ وتظهر من نفسها ردود فعل معينة.

وإليك ما نشرته صحيفة اطلاعات في هذا الصدد:

«كشفت إذاعة موسكو عن نتائج جديدة لتحقيقات علماء روس في عالم النبات حيث قالت: بأنّ العلماء توصلوا مؤخراً إلى أنّ للنباتات أجهزة عصبية شبيهة بالأجهزة في الحيوانات.

ولقد توصل العلماء إلى هذه الحقيقة بعد أن علّقوا أجهزة سمع وبث الكترونية دقيقة على ساق نبات القرع ثم لاحظوا - بوضوح - ظهور ردود فعل غريبة على ساق النبات المذكور عندما راحوا يقطعون بعض جذوره!!

وفي الوقت ذاته كانت قد أُجريت اختبارات مشابهة في المختبر الفسيولوجي للنبات بأكاديمية العلوم الزراعية أفرزت نتائج مشابهة أيضاً!

ففي هذه الاختبارات وضعوا جذور إحدى النباتات في ماء ساخن فضبطوا على أثره صيحات ألم وأنات صدرت من النبات غير

٣٥٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

أن هذه الأصوات لم تسمع بالطبع بالأذن المجردة، وإنما أجهزة تسجيل الأصوات الالكترونية الدقيقة هي التي التقطت هذه الصرخات، وسجلتها على أشرطة خاصة»^{(١)(٢)}.

نترككم الآن في استراحة مع العلماء المفسرين

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٣)

قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ إلخ الآية وما قبلها وإن كانت واقعة موقع التعظيم كقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ لكنها تفيد بوجه في الحجة المتقدمة فإنها بمنزلة المقدمة المتممة لقوله: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ إلخ فإن الحجة بالحقيقة قياس استثنائي والذي بمنزلة الاستثناء هو ما في الآية من تسبيح الأشياء له سبحانه كأنه قيل: لو كان معه آلهة لكان ملكه في معرض المنازعة والمهاجمة لكن الملك من السماوات والأرض ومن فيهن ينزهه عن ذلك ويشهد أن لا شريك له في الملك فإنها لم تبتدىء إلا منه ولا تنتهي إلا إليه ولا تقوم إلا به ولا تخضع سجداً إلا له فلا يتلبس بالملك ولا يصلح له إلا هو فلا رب غيره.

(١) جريدة اطلاعات (من المصدر).

(٢) مفاهيم القرآن ج ١ ص ٢٤٣.

ومن الممكن أن تكون الآيتان أعني قوله: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ﴾ إلخ جميعا في معنى الاستثناء والتقدير لو كان معه آلهة لطلبوا مغالبتة وعزله من ملكه لكنه سبحانه ينزه ذاته عن ذلك بذاته الفياضة التي يقوم به كل شيء وتلزمه الربوبية من غير أن يفارقه أو ينتقل إلى غيره، وكذلك ملكه وهو عالم السماوات والأرض ومن فيهن ينزهه سبحانه بذواتها المسبحة له حيث إنها قائمة الذات به لو انقطعت أو حُجبت عنه طرفة عين فنت وانعدمت فليس معه آلهة ولا أن ملكه وربوبيته مما يمكن أن يبتغيه غيره فتأمل فيه.

وكيف كان فقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ يثبت لأجزاء العالم المشهود التسبيح وأنها تسبح الله وتنزهه عما يقولون من الشريك وينسبون إليه.

والتسبيح تنزيه قولي كلامي وحقيقة الكلام الكشف عما في الضمير بنوع من الإشارة إليه والدلالة عليه غير أن الإنسان لما لم يجد إلى إرادة كل ما يريد الإشارة إليه من طريق التكوين طريقا التجأ إلى استعمال الألفاظ وهي الأصوات الموضوعات للمعاني، ودل بها على ما في ضميره، وجرت على ذلك سنة التفهيم والتفهم، وربما استعان على بعض مقاصده بالإشارة بيده أو رأسه أو غيرهما، وربما استعان على ذلك بكتابة أو نصب علامة.

وبالجملة فالذي يكشف به عن معنى مقصود قول وكلام وقيام الشيء بهذا الكشف قول منه وتكليم وإن لم يكن بصوت مقروء ولفظ موضوع، ومن الدليل عليه ما ينسبه القرآن إليه تعالى من الكلام والقول والأمر والوحي ونحو ذلك مما فيه معنى الكشف عن المقاصد وليس من قبيل القول والكلام المعهود عندنا معشر المتلسنين باللغات وقد سماه الله سبحانه قولاً وكلاماً.

وعند هذه الموجودات المشهودة من السماء والأرض ومن فيهما ما يكشف كشفاً صريحاً عن وحدانية ربها في ربوبيته وينزهه تعالى عن كل نقص وشين فهي تسبح الله سبحانه.

وذلك أنها ليست لها في أنفسها إلا محض الحاجة وصرف الفاقة إليه في ذاتها وصفاتها وأحوالها. والحاجة أقوى كاشف عما إليه الحاجة لا يستقل المحتاج دونه ولا ينفك عنه فكل من هذه الموجودات يكشف بحاجته في وجوده ونقصه في ذاته عن موجد الغني في وجوده التام الكامل في ذاته وبارتباطه بسائر الموجودات التي يستعين بها على تكميل وجوده ورفع نقائصه في ذاته أن موجد هوربه المتصرف في كل شيء المدبر لأمره.

ثم النظام العام الجاري في الأشياء الجامع لشتاتها الرابط بينها يكشف عن وحدة موجدها، وأنه الذي إليه بوحدته يرجع الأشياء وبه بوحدته ترتفع الحوائج والنقائص فلا يخلو من دونه من الحاجة، ولا

يتعري ما سواه من النقيصة وهو الرب لا رب غيره والغني الذي لا فقر عنده والكمال الذي لا نقص فيه.

فكل واحد من هذه الموجودات يكشف بحاجته ونقصه عن تنزه ربه عن الحاجة وبراءته من النقص حتى أن الجاهل المثبت لربه شركاء من دونه أو المناسب إليه شيئاً من النقص والشين تعالى وتقدس يثبت بذلك تنزهه من الشريك وينسب بذلك إليه البراءة من النقص فإن المعنى الذي تصور في ضمير هذا الإنسان واللفظ الذي يلفظه لسانه وجميع ما استخدمه في تأدية هذا المقصود كل ذلك أمور موجودة تكشف بحاجتها الوجودية عن رب واحد لا شريك له ولا نقص فيه.

فمثل هذا الإنسان الجاحد في كون جحوده اعترافاً مثل ما لو ادعى إنسان أن لا إنسان متكلماً في الدنيا وشهد على ذلك قولاً فإن شهادته أقوى حجة على خلاف ما ادعاه وشهد عليه وكلما تكررت الشهادة على هذا النمط وكثر الشهود تأكدت الحجة من طريق الشهادة على خلافها.

فإن قلت: مجرد الكشف عن التنزه لا يسمى تسبيحاً حتى يقارن القصد والقصد مما يتوقف على الحياة وأغلب هذه الموجودات عادمة للحياة كالأرض والسماء وأنواع الجمادات فلا مخلص من حمل التسبيح على المجاز فتسبيحها دلالتها بحسب وجودها على تنزه ربها.

قلت: كلامه تعالى مشعر بأن العلم سار في الموجودات مع سريان الخلقة فلكل منها حظ من العلم على مقدار حظه من الوجود، وليس لازم ذلك أن يتساوى الجميع من حيث العلم أو يتحد من حيث جنسه ونوعه أو يكون عند كل ما عند الإنسان من ذلك أو أن يفقه الإنسان بها عندها من العلم قال تعالى حكاية عن أعضاء الإنسان: ﴿قَالُوا أَنْظِقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [حم السجدة: ٢١] وقال ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾: [حم السجدة: ١١] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وسيوافيك كلام مستقل في ذلك إن شاء الله تعالى.

وإذا كان كذلك فما من موجود مخلوق إلا وهو يشعر بنفسه بعض الشعور وهو يريد بوجوده إظهار نفسه المحتاجة الناقصة التي يحيط بها غنى ربه وكماله لا رب غيره فهو يسبح ربه وينزهه عن الشريك وعن كل نقص ينسب إليه.

وبذلك يظهر أن لا وجه لحمل التسبيح في الآية على مطلق الدلالة مجازا فالمجاز لا يصار إليه إلا مع امتناع الحمل على الحقيقة، ونظيره قول بعضهم: إن تسبيح بعض هذه الموجودات قالي حقيقي كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الإنسان وتسبيح بعضها حالي مجازي كدلالة الجمادات بوجودها عليه تعالى ولفظ التسبيح مستعمل في الآية على سبيل عموم المجاز، وقد عرفت ضعفه آنفا.

والحق أن التسبيح في الجميع حقيقي قالي غير أن كونه قاليا لا

يستلزم أن يكون بالفاظ موضوعة وأصوات مقروعة كما تقدمت الإشارة إليه وقد تقدم في آخر الجزء الثاني من الكتاب كلام في الكلام نافع في المقام.

فقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ يثبت لها تسبيحا حقيقيا وهو تكلمها بوجودها وما له من الارتباط بسائر الموجودات الكائنة وبيانها تنزه ربها عما ينسب إليه المشركون من الشركاء وجهات النقص.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ تعميم التسبيح لكل شيء وقد كانت الحملة السابقة عدت السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وتزيد عليها بذكر الحمد مع التسبيح فتفيد أن كل شيء كما يسبحه تعالى كذلك يحمده بالثناء عليه بجميل صفاته وأفعاله.

وذلك أنه كما أن عند كل من هذه الأشياء شيئا من الحاجة والنقص عائدا إلى نفسه كذلك عنده من جميل صنعه ونعمته تعالى شيء راجع إليه تعالى موهوب من لدنه، وكما أن إظهار هذه الأشياء لنفسها في الوجود إظهار لحاجتها ونقصها وكشف عن تنزه ربها عن الحاجة والنقص، وهو تسبيحها كذلك إبرازها لنفسها إبراز لما عندها من جميل فعل ربها الذي وراءه جميل صفاته تعالى فهو حمدها فليس الحمد إلا الثناء على الجميل الاختياري فهي تحمد ربها كما تسبحه وهو قوله:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

وبلفظ آخر إذا لوحظ الأشياء من جهة كشفها عما عند ربها بإبرازها ما عندها من الحاجة والنقص مع ما لها من الشعور بذلك كان ذلك تسبيحا منها، وإذا لوحظت من جهة كشفها ما لربها بإظهارها ما عندها من نعمة الوجود وسائر جهات الكمال فهو حمد منها لربها وإذا لوحظ كشفها ما عند الله سبحانه من صفة جمال أو جلال مع قطع النظر عن علمها وشعورها بما تكشف عنه كان ذلك دلالة منها عليه تعالى وهي آياته.

وهذا نعم الشاهد على أن المراد بالتسبيح في الآية ليس مجرد دلالتها عليه تعالى بنفي الشريك وجهات النقص فإن الخطاب في قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ إما للمشركين وإما للناس أعم من المؤمن والمشرک وهم على أي حال يفقهون دلالة الأشياء على صانعها مع أن الآية تنفي عنهم الفقه.

ولا يصغي إلى قول من قال: إن الخطاب للمشركين وهم لعدم تدبرهم فيها وقلة انتفاعهم بها كان فهمهم بمنزلة العدم، ولا إلى دعوى من يدعي أنهم لعدم فهمهم بعض المراد من التسبيح جعلوا ممن لا يفقه الجميع تغليباً.

وذلك لأن تنزيل الفهم منزلة العدم أو جعل البعض كالجميع لا

يلائم مقام الاحتجاج وهو سبحانه يخاطبهم في سابق الآية بالحجة على التنزيه على أن هذا النوع من المسامحة بالتغليب ونحوه لا يحتمله كلامه تعالى .

وأما ما وقع في قوله بعد هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ إلى آخر الآيات من نفي الفقه عن المشركين فليس يؤيد ما ذكره فإن الآيات تنفي عنهم فقه القرآن وهو غير نفي فقه دلالة الأشياء على تنزهه تعالى إذ بها تتم الحجة عليهم .

فالحق أن التسبيح الذي تثبته الآية لكل شيء هو التسبيح بمعناه الحقيقي وقد تكرر في كلامه تعالى إثباته للسموات والأرض ومن فيهن وما فيهن وفيها موارد لا تحتمل إلا الحقيقة كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾: الأنبياء: ٧٩، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨]، ويقرب منه قوله: ﴿يَجِبَالُ أَوَّيْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾: [سبأ: ١٠] فلا معنى لحملها على التسبيح بلسان الحال .

وقد استفاضت الروايات من طرق الشيعة وأهل السنة أن للأشياء تسبيحا ومنها روايات تسبيح الحصى في كف رسول الله ﷺ وسيوافيك بعضها في البحث الروائي الآتي إن شاء الله تعالى .

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي يمهل فلا يعاجل بالعقوبة ويغفر من تاب ورجع إليه، وفي الوصفين دلالة على تنزهه تعالى عن كل نقص فإن لازم الحلم أن لا يخاف الفوت، ولازم المغفرة أن لا يتضرر بالمغفرة ولا بإفاضة الرحمة فملكه وربوبيته لا يقبل نقصا ولا زوالا.

وقد قيل في وجه هذا التذييل إنه إشارة إلى أن الإنسان في قصوره عن فهم هذا التسبيح الذي لا يزال كل شيء مشغلا به حتى نفسه بجميع أركان وجوده بأبلغ بيان، مخطئ من حقه أن يؤاخذ به لكن الله سبحانه بحلمه ومغفرته لا يعاجله ويعفو عن ذلك إن شاء.

وهو وجه حسن ولازمه أن يكون الإنسان في وسعه أن يفقه هذا التسبيح من نفسه ومن غيره، ولعلنا نوفق لبيانه إن شاء الله في موضع يليق به.

بحث روائي

في تفسير القمي، "في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبَّتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ قال: قال: لو كانت الأصنام آلهة كما تزعمون - لصعدوا إلى العرش.

أقول: أي لاستولوا على ملكه تعالى وأخذوا بأزمة الأمور وأما العرش بمعنى الفلك المحدد للجهات أو جسم نوراني عظيم فوق

العالم الجسماني كما ذكره بعضهم فلا دليل عليه من الكتاب، وعلى تقدير ثبوته لا ملازمة بين الربوبية والصعود على هذا الجسم.

وفي الدر المنثور، أخرج أحمد وابن مردويه عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: إن نوحا لما حضرته الوفاة قال لابنيه: أمركما بسبحان الله وبحمده - فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء.

أقول: قد ظهر مما قدمناه في معنى تسبيح الأشياء الارتباط المشار إليه في الرواية بين تسبيح كل شيء وبين رزقه فإن الرزق يقدر بالحاجة والسؤال وكل شيء إنما يسبح الله تعالى بالإشارة بإظهار حاجته ونقصه إلى تنزهه تعالى من ذلك.

وفي تفسير العياشي، عن أبي الصباح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ - قال: كل شيء يسبح بحمده، وإنا لنرى أن تنقض الجدر هو تسبيحها: أقول: ورواه أيضا عن الحسين بن سعيد عنه عليه السلام.

وفيه، عن النوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: نهى رسول الله ﷺ أن يؤسم البهائم - وأن يضرب وجهها فإنها تسبح بحمد ربها:

أقول: وروى النهي عن ضربها على وجوهها: الكليني في الكافي، بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام عن النبي ﷺ قال:

وفي حديث آخر: لا تسمها في وجوها.

وفيه، عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من طير يصاد في بر أو بحر - ولا شيء يصاد من الوحش إلا بتضييعه التسبيح. أقول: وهذا المعنى رواه أهل السنة بطرق كثيرة عن ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهم عن النبي ص.

وفيه، عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام: أنه دخل عليه رجل فقال: فداك أبي وأمي - إني أجد الله يقول في كتابه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فقال له: هو كما قال الله تبارك وتعالى.

قال: أ تسبح الشجرة اليابسة؟ فقال: نعم أ ما سمعت خشب البيت كيف ينقصف؟

وذلك تسبيحه فسبحان الله على كل حال.

وفي الدر المنثور، أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن النمل يسبحن.

وفيه، أخرج النسائي وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر قال: نهى رسول الله عن قتل الضفدع وقال: نعيقها تسبيح.

وفيه، أخرج الخطيب عن أبي حمزة قال: كنا مع علي بن الحسين فمر بنا عصافير يصحن - فقال: أ تدرون ما تقول هذه العصافير؟ فقلنا:

لا - فقال: أما إني ما أقول:

إنا نعلم الغيب ولكني سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين يقول:

إن الطير إذا أصبحت سبحت ربها وسألته قوت يومها - وإن هذه تسبح ربها وتسأل قوت يومها.

أقول:

وروي أيضا مثله عن أبي الشيخ وأبي نعيم في الحلية عن أبي حمزة الثمالي عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ولفظه قال محمد بن علي بن الحسين: وسمع عصافير يصحن قال: تدري ما يقلن؟ قلت: لا - قال: يسبحن ربهن عز وجل ويسألن قوت يومهن.

وفيه، أخرج الخطيب في تاريخه عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فقال لي: يا عائشة اغسلي هذين البردين - فقلت: يا رسول الله بالأمس غسلتهما فقال لي:

أما علمت أن الثوب يسبح فإذا اتسخ انقطع تسبيحه.

وفيه، أخرج العقيلي في الضعفاء وأبو الشيخ والديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: آجال البهائم كلها وخشاش الأرض والنمل - والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها - وغير ذلك آجالها في التسبيح - فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها،

وليس إلى ملك الموت منها شيء.

أقول: ولعل المراد من قوله: وليس إلى ملك الموت منها شيء، أنه لا يتصدى بنفسه قبض أرواحها وإنما يباشرها بعض الملائكة والأعوان، والملائكة أسباب متوسطة على أي حال.

وفيه، أخرج أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله ص: أنه مر على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم: اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق - فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه.

وفي الكافي، بإسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للدابة على صاحبها ستة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، ولا يتخذ ظهرها مجلسا يتحدث عليها، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمها في وجهها، ولا يضربها فإنها تسبح، ويعرض عليها الماء إذا مر بها.

وفي مناقب ابن شهر آشوب:، علقمة وابن مسعود: "كنا نجلس مع النبي ﷺ ونسمع الطعام يسبح ورسول الله يأكل، وأتاه مكرز العامري وسأله آية - فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده، وفي حديث أبي ذر: "فوضعهن على الأرض فلم يسبحن وسكتن - ثم عاد وأخذهن فسبحن.

ابن عباس قال: قدم ملوك حضرموت على النبي ﷺ فقالوا -

كيف نعلم أنك رسول الله؟ فأخذ كفاً من حصي فقال: هذا يشهد أنني رسول الله فسبح الحصا في يده وشهد أنه رسول الله.

وفيه، أبو هريرة وجابر الأنصاري وابن عباس وأبي بن كعب وزين العابدين: "أن النبي ﷺ كان يخطب بالمدينة إلى بعض الأجداع- فلما كثر الناس واتخذوا له منبراً- وتحول إليه حنّ كما يحنّ الناقة، فلما جاء إليه وأكرمه- كان يئن أنين الصبي الذي يسكت.

أقول: والروايات في تسبيح الأشياء على اختلاف أنواعها كثيرة جداً، وربما اشتبه أمرها على بعضهم فزعم أن هذا التسبيح العام من قبيل الأصوات، وأن لعامة الأشياء لغة أو لغات ذات كلمات موضوعة لمعان نظير ما للإنسان مستعملة للكشف عما في الضمير غير أن حواسنا مصروفة عنها وهو كما ترى.

والذي تحصل من البحث المتقدم في ذيل الآية الكريمة أن لها تسبيحاً هو كلام بحقيقة معنى الكلام وهو إظهارها تنزه ربها بإظهارها نقص ذاتها وصفاتها وأفعالها عن علم منها بذلك، وهو الكلام فما روي من سماعهم تسبيح الحصى في كف النبي ﷺ أو سماع تسبيح الجبال والطير إذا سبح داود عليه السلام أو ما يشبه ذلك إنما كان بإدراكهم تسبيحها الواقعي بحقيقة معناه من طريق الباطن ثم محاكاة الحس ذلك بما يناظره ويناسبه من الألفاظ والكلمات الموضوعة لما يفيد ما أدركوه من المعنى.

نظير ذلك ما تقدم من ظهور المعاني المجردة عن الصورة في الرؤيا فيما يناسبه من الصور المألوفة كظهور حقيقة يعقوب وأهله وبنيه ليوسف عليه السلام في رؤياه في صورة الشمس والقمر والكواكب ونظير سائر الرؤى التي حكاها الله سبحانه في سورة يوسف وقد تقدم البحث عنها.

فالذي يناله من ينكشف له تسبيح الأشياء أو حمدها أو شهادتها أو ما يشابه ذلك حقيقة المعنى أولاً ثم يحاكيه الحس الباطن في صورة ألفاظ مسموعة تؤدي ما ناله من المعنى والله أعلم.

وفي الدر المنثور: أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: "لما نزلت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أقبلت العوراء أم جميل - ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مذمما أبينا ودينه قلينا

وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه - فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك - فقال: إنها لن تراني وقرأنا اعتصم به كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر

الآية السابعة عشر ٣٦٥

النبي ﷺ فقالت: يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجأك فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها:

أقول: وروي أيضا بطريق آخر عن أسماء وعن أبي بكر وابن عباس مختصرا ورواه أيضا في البحار، عن قرب الإسناد عن الحسن بن ظريف عن معمر عن الرضا عن أبيه عن جده عليه السلام في حديث يذكر فيه جوامع معجزات النبي ﷺ.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

توضح هذه الآية الشريفة أن كل ما في الوجود يسبح ويسجد ويقنت لله تعالى.

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالتسبيح هنا هو التسبيح التكويني، أي أن الهيئة الوجودية لكل ذرة في هذا العالم تشير إلى إرادة الله وحكمته وعلمه وعدله.

وذهب بعض آخر إلى الاعتقاد بأن الوجود ذو شعور وعلم، وأن كل ما فيه يسبح لله تعالى، إلا أن آذاننا لا تسمع ذلك. وهذا الرأي أكثر انسجاماً مع ظاهر الآية. ثم إن نطق كل شيء ليس محالاً لأن ذلك سيتحقق في يوم القيامة ﴿أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [سورة فصلت: الآية ٢١]، بل إن

٣٦٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الحجارة أيضاً لها علم وخشية من الله، ولذا فإنها تهبط خوفاً منه ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٧٤]. كذلك فإن النبي سليمان عليه السلام فهم كلام النملة وكان يعلم منطق الطير أيضاً، فالهدد عندما علم وشخص انحراف قوم بلقيس جاء إلى النبي سليمان عليه السلام وأخبره بذلك.

وتكلم الله تعالى مع الجبال مخاطباً إياها ﴿يَجِبَالُ أَوتِي مَعَهُ﴾ [سورة سبأ: الآية ١٠]، أي يا جبال اذكري وسبحي مع داوود. ومضافاً إلى ذلك فإن القرآن ذكر تسبيح سائر الموجودات.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني

إن كل ذرات العالم في الخفاء تخاطبك ليلاً نهاراً نحن نسمع ونبصر
ونعقل لكن نحن معكم أيها الغرباء صامتون، ورد في الروايات
الشريفة أيضاً أن الحيوانات والموجودات تسبح لله ومن ذلك ما يلي:

أ - لا تضربوا البهائم على وجوهها لأنها تسبح لله^(١).

ب - كلما ترك الحيوان التسبيح فإنه يُصاد^(٢).

ج - لا تُقطع شجرة إلا حين تترك التسبيح^(٣).

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) تفسير روح الجنان.

د - شهدت الحصى، وهي في يد النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله، بنبوته ^(١).

هـ - النحل يسبح لله ^(٢).

و - صوت العصافير تسبيحها ^(٣).

وهذه الروايات أجمع عندما تحكي عن تسبيح الحيوانات فإنها تحكي تسبيحها الواقعي وليس لسان حالها.

كل موجود بلسانه يسبح بحمدك فالبلبل يغني غزلاً، والقمري ينشد أنغاماً.

النعاليم

١ - كل ما في الوجود يسبح لله فلماذا إذاً يتخلف الإنسان عن هذه القافلة، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ﴾.

٢ - في السماوات أيضاً موجودات ذات حياة وشعور، ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.

٣ - تسبيح الموجودات يصاحب الحمد والتعظيم لله، ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

٤ - ربما نسمع أحياناً صوت بعض الموجودات إلا أننا لا نفقه

(١) تفسير الميزان.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٣٧٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٢٧.

تسييحها، ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

٥ - كل ما في الوجود ذو شعور، إلا أن علم الإنسان بها في الوجود ناقص وغير كامل، ﴿لَا تَفْقَهُونَ﴾.

٦ - حقائق الأشياء محجوبة عن غير أهلها، ﴿لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

٧ - صبر الله على عقائدنا الخرافية وأقوالنا غير الجائزة إنما هو لحلمه ومغفرته، ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾، وإذا رجعنا إليه فإنه حتماً سيغفر لنا.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٩)

ثم لأجل إثبات عظمة الخالق وأنه منزّه عن خيالات واعتقادات وأوهام المشركين، تتحدث الآية التالية عن تسييح كائنات الوجود لذاته المقدسة إذ تقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾. ثم تتطرق الآية إلى أن التسييح لا يقتصر على ما هو موجود في السماوات والأرض، وإنما ليس هناك موجود إلا ويسبح ويحمد الله، ولكن لا تدركون تسييحهم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. ومع ذلك: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

أي لا يؤاخذكم ولا يعاقبكم بسبب كفركم وشرككم مباشرة، ولكن يمهلكم بالقدر الكافي، ويفتح لكم أبواب التوبة ويتركها مفتوحة لإتمام الحجة.

بتعبير آخر: إنكم تملكون القدرة على إدراك تسييح ذرات الوجود

والكائنات جميعاً لله القادر المتعال، وتدركون وجوده عز وجل، ولكنكم مع ذلك تقصرون، والله سبحانه وتعالى لا يؤاخذكم مباشرة على هذا التقصير، ولا يجازيكم به فوراً ولكن يعطيكم الفرصة الكافية لمعرفة التوحيد وترك الشرك.

نسيب الكائنات

تذكر الآيات القرآنية المختلفة تسبيح وحمد جميع موجودات عالم الوجود لله تعالى، وإن أكثر الآيات صراحة بهذا الخصوص هي الآية التي نبثها والتي تذكر لنا - بدون استثناء - أن جميع الموجودات في العالم، الأرض والسماء، النجوم والفضاء، الأناس والحيوانات وأوراق الشجر، وحتى الذرات الصغيرة، تشترك جميعاً في هذا التسبيح والحمد العام.

يبين القرآن الكريم أن عالم الوجود قطعة واحدة من التسبيح والحمد، وأن كل موجود يؤدي هذا التسبيح ويقوم به بشكل معين ويثني على الباري عز وجل، وأن أزيز هذا التسبيح والحمد يملأ عالم الوجود المترامي الأطراف، ولكن الجهلاء لا يستطيعون سماع هذا الأزيز، بعكس المستبصرين المتأملين والعلماء الذين أضاء الله قلوبهم وأرواحهم بنور الإيمان، فإن هؤلاء يسمعون هذا الصوت من جميع الجهات بشكل جيد.

هناك كلام كثير بين العلماء والمفسرين والفلاسفة حول تفسير

٣٧٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

حقيقة هذا الحمد والتسبيح، فبعضهم اعتبر الحمد والتسبيح (حالا) والبعض الآخر (قولا)، أمّا خلاصة أقوالهم فهي:

١ - البعض يعتقد أنّ جميع ذرات الوجود في هذا العالم لها نوع من الإدراك والشعور، سواء كانت هذه الموجودات عاقلة أو غير عاقلة. وهي تقوم بالتسبيح والحمد في نطاق عالمها الخاص، بالرغم من أنّنا لا نستطيع إدراك ذلك أو الإحساس بهذا الحمد والتسبيح وسماعه. آيات كثيرة تؤكّد هذا المعنى منها الآية رقم (٧٤) من سورة البقرة واصفة الحجارة أو نوع منها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. ثمّ قوله تعالى في الآية (١١) من سورة فصلت: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

٢ - الكثير يعتقد أنّ هذا التسبيح والحمد هو على شاكلة ما نسميه بـ «لسان الحال» وهو حقيقي غير مجازي إلّا أنّه بلسان الحال وليس بالقول. (تأمّل ذلك).

ولتوضيح ذلك تقول: قد يحدث أن نشاهد آثار عدم الارتياح والألم، وعدم النوم في وجه أو عيني شخص ما ونقول له: بالرغم من أنّك لم تتحدث عن شيء من هذا القبيل، إلّا أن عينيك تقولان بأنك لم تنم الليلة الماضية، ووجهك يؤكّد بأنك غير مرتاح ومتألم! وقد يكون لسان الحال من الوضوح بدرجة بحيث أنّه يغطي على لسان القول لو حاول التستر عليها قولا.

وهذا هو المعنى الذي صرّح به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»^(١).

من جانب آخر هل يمكن التصديق بأنّ لوحة فنية جميلة للغاية تدل على ذوق ومهارة رسامها، لا تمدحه أو تثني عليه؟ وهل يمكن انكار ثناء دواوين أشعار أساطين الشعر والأدب وتمجيدها لقرائحهم واذواقهم الرفيعة؟ أو يمكن انكار أن بناء عظيماً أو مصنعا كبيراً أو عقولاً الكترونية معقدة أو أمثالها، أنّها تمدح صانعها ومبتكرها بلسان حالها غير الناطق؟ لذا يجب التصديق والتسليم بأنّ عالم الوجود العجيب ذا الأسرار المتعدّدة والعظمة الكبيرة، والجزئيات العديدة المحيرة، يقوم بتسبيح وحمد الخالق عزّ وجلّ، وإلاّ فهل «التسبيح» سوى التنزيه عن جميع العيوب؟ فنظام عالم الوجود ناطق بأنّ خالقه ليس فيه أي نقص أو عيب:

ثمّ هل «الْحَمْدُ»^ط سوى بيان الصفات الكمالية؟ فنظام الخلق والوجود كلّه يتحدث عن الصفات الكمالية للخالق وعلمه وقدرته اللامتناهية وحكمته الوسيعة.

خاصّة وأنّ تقدم العلوم البشرية وكشف بعض أسرار وخفايا هذا

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٢٦.

٣٧٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

العالم الواسع، توضح هذا الحمد والتسبيح العام بصورة أجلى. فالיום مثلاً ألف علماء النبات المؤلفات العديدة عن أوراق الأشجار، وخلايا هذه الأوراق، والطبقات السبع الداخلة في تكوينها، والجهاز التنفسي لها، وطريقة التغذية وسائر الأمور الأخرى التي تتصل بهذا العالم.

لذلك، فإن كل ورقة توحد الله ليلاً ونهاراً، وينتشر صوت تسبيحها في البساتين والغابات، وفوق الجبال وفي الوديان، إلا أن الجهلاء لا يفقهون ذلك، ويعتبرونها جامدة لا تنطق.

إن هذا المعنى للتسبيح والحمد الساري في جميع الكائنات يمكن دركه تماماً، وليست هناك حاجة لأن نعتقد بوجود إدراك وشعور لكل ذرات الوجود، لأنه لا يوجد دليل قاطع على ذلك، والآيات السابقة يحتمل أن يكون مقصودها التسبيح والحمد بلسان الحال.

الجواب على سؤال

يبقى سؤال واحد، وهو إذا كان الغرض من الحمد والتسبيح هو تعبير نظام الكون عن نزاهة وعظمة وقدرة الخالق عز وجل، وتبيان الصفات السلبية والثبوتية، فلماذا يقول القرآن: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه إذا كان البعض لا يفقهه، فإن العلماء يفقهون ويعلمون؟.

هناك جوابان على هذا السؤال هما:

الأول: إنّ الآية توجّه خطابها إلى الأكثرية الجاهلة من عموم الناس، خصوصاً إلى المشركين، حيث أنّ العلماء المؤمنين قلة وهم مستثنون من هذا التعميم، وفقاً لقاعدة ما من عام إلّا وفيه استثناء.

الثاني: هو أنّ ما نعلمه من أسرار وخفايا العالم في مقابل ما لا نعلمه كالقطرة في قبال البحر، وكالذرة في قبال الجبل العظيم. وإذا فكرنا بشكل صحيح فلا نستطيع أن نسمّي الذي نعرفه بأنّه (علم). إنّنا في الواقع لا نستطيع أن نسمع تسبيح وحمد هذه الموجودات الكونية مهما أوتينا من العلم، لأنّ ما نسمعه هو كلمة واحدة فقط من هذا الكتاب العظيم!! وعلى هذا الأساس تستطيع الآية أن تخاطب العالم بأجمعه وتقول لهم: إنّكم لا تفقهون تسبيح وحمد الموجودات بلسان حالها، أمّا الشيء الذي تفقهوه فهو لا يساوي شيئاً بالنسبة إلى ما تجهلون.

٣- بعض المفسّرين يحتمل أنّ الحمد والتسبيح هو تركيب من لسان: «الحال» و«القول».

وبعبارة أخرى: يعتقدون بأنّه تسبيح تكويني وتشريعي، لأنّ أكثر البشر وكل الملائكة يحمدون الله عن إدراك وشعور؛ وكل ذرات الوجود تتحدّث عن عظمة الخالق بلسان حالها. وبالرغم من أنّ هذين النوعين من الحمد والتسبيح مختلفين، إلّا أنّهما يشتركان في المفهوم

الواسع لكلمتي الحمد والتسبيح.

ولكن التفسير الثاني - حسب الظاهر - أكثر قبولا للنفس من التفسيرين الآخرين.

جانب من روايات العزّة الطاهرة

هناك تعابير لطيفة في هذا المجال وردت في أحاديث الرسول ﷺ وأهل البيت ، منها:

* أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام يقول: سألت الإمام عن تفسير قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فقال عليه السلام: «كل شيء يسبح بحمده وإنّا لنرى أن ينقض الجدار وهو تسبيحها»^(١).

* وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «نهى رسول الله أن توسم البهائم في وجوهها، وأن تضرب وجوهها لأنها تسبح بحمد ربها»^(٢).

* وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «ما من طير يصاد في بر ولا بحر، ولا شيء يصاد من الوحش إلا بتضييعه التسبيح»^(٣).

* أمّا الإمام الباقر عليه السلام، فعند ما سمع يوما صوت عصفور،

فقال لأبي حمزة الثمالي - وكان من خاصّة أصحابه -: «يسبحن

(١) نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحة (١٦٨).

(٢) نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحة (١٦٨).

(٣) المصدر السابق.

رَبِّهِمْ وَيَسْأَلُنْ قُوتَ يَوْمِهِمْ»^(١).

* وفي حديث آخر نقرأ أنَّ رسول الله ﷺ أتى إلى عائشة، وقال لها:

«اغسلي هذين الثوبين» فقالت: يا رسول الله، لقد غسلتهما أمس، فقال ﷺ: «أما علمت أنَّ الثوب يسبِّح فإذا اتسخ انقطع عن تسبيحه»^(٢).

* في حديث آخر عن الإمام الصادق نقرأ قوله ﷺ: «للدابة على صاحبها ستة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، ولا يتخذ ظهرها مجلساً يتحدث عليها، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمها في وجهها، ولا يضر بها فإنَّها تسبِّح، ويعرض عليها الماء إذا مرَّ بها»^(٣).

إنَّ هذه المجموعة من الأحاديث والروايات والتي لبعضها معاني دقيقة، تظهر أنَّ التسبيح العام للموجودات يشمل كل شيء بدون استثناء، وكل هذا يتطابق مع ما ذكرناه في التفسير الثاني (أي إنَّ التسبيح هو تسبيح تكويني أو تسبيح بلسان الحال).

أمَّا ما قرأناه في هذه الأحاديث من أنَّ اللباس إذا توسخ ينقطع تسبيحه، فهو كناية عن أنَّ المخلوقات إذا كانت محافظة على نظافتها

(١) عن أبي نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء (نقلاً عن تفسير الميزان).

(٢) المصدر السابق.

(٣) عن «الكافي» طبقاً لما ذكره صاحب الميزان.

٣٧٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

الطبيعية فسوف تذكر الإنسان بخالقه، أمّا إذا فقدت نظافتها الطبيعية فسوف لا تقوم بالتذكير.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - الصادق عليه السلام - عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ^(١).

٢ - الباقر عليه السلام - عَنْ زُرَّارَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ قَالَ إِنَّا نَرَى أَنَّ تَنْقُضَ الشَّيْطَانِ تَسْبِيحُهَا^(٢).

٣ - الباقر عليه السلام - عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ ... أَتُسَبِّحُ الشَّجَرَةَ الْيَابِسَةَ فَقَالَ نَعَمْ أَمَا سَمِعْتَ خَشَبَ الْبَيْتِ تَنْقُضُ وَذَلِكَ تَسْبِيحُهُ فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ^(٣).

٤ - علي بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَإِنْ مِنْ

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ٨، ص ١٨٤ - الكافي، ج ٦، ص ٥٣١ / بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ١٧٧ / المحاسن، ج ٢، ص ٦٢٣ / نور الثقلين.

(٢) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ٨، ص ١٨٤ - بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ١٧٧ / العياشي، ج ٢، ص ٢٩٤ / نور الثقلين.

(٣) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ٨، ص ١٨٤ - بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ١٧٧ / العياشي، ج ٢، ص ٢٩٤ / نور الثقلين / البرهان.

شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فَحَرَكَةُ كُلِّ شَيْءٍ تَسْبِيحٌ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ^(١).

٥- الحسين عليه السلام - أَنَّ الْحُسَيْنَ سُئِلَ فِي حَالِ صِغَرِهِ عَنْ أَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الْإِمَامِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ حَتَّى أَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ فَقَالَ عَلَى مَا رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ عَنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ:

إِذَا صَاَحَ النَّسْرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ عِشْ مَا شِئْتَ فَآخِرُهُ الْمَوْتُ
وَإِذَا صَاَحَ الْبَارِزِيُّ يَقُولُ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا كَاشِفَ الْبَلِيَّاتِ وَإِذَا صَاَحَ
الطَّاوُسُ يَقُولُ مَوْلَايَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَزَلْتُ بِزَيْنَتِي فَاغْفِرْ لِي وَإِذَا
صَاَحَ الدَّرَاجُ يَقُولُ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَإِذَا صَاَحَ الدِّيْكُ
يَقُولُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَهُ وَإِذَا فَرَّقَتِ الدَّجَاجَةُ تَقُولُ يَا إِلَهَ
الْحَقِّ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ يَا اللَّهُ يَا حَقُّ وَإِذَا صَاَحَ الْبَاسِقُ يَقُولُ
آمَنْتُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَإِذَا صَاَحَتِ الْحِدَاءُ «الْحِدَاءُ» تَقُولُ تَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ تُرْزَقْ وَإِذَا صَاَحَ الْعُقَابُ يَقُولُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ لَمْ يَشَقْ وَإِذَا
صَاَحَ الشَّاهِينُ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ حَقًّا حَقًّا وَإِذَا صَاَحَتِ الْبُومَةُ يَقُولُ
الْبُعْدُ مِنَ النَّاسِ أَنْسُ وَإِذَا صَاَحَ الْغُرَابُ يَقُولُ يَا رَازِقُ ابْعَثِ الرِّزْقَ
الْحَلَالَ وَإِذَا صَاَحَ الْكُرْكِيُّ يَقُولُ اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ عَدُوِّي وَإِذَا صَاَحَ
الْلَفْلَقُ يَقُولُ مَنْ تَخَلَّى عَنِ النَّاسِ نَجَا مِنْ أَذَاهُمْ وَإِذَا صَاَحَ الْبَطَّةُ تَقُولُ
غُفْرَانِكَ يَا اللَّهُ وَإِذَا صَاَحَ الْهُدْهُدُ يَقُولُ مَا أَشْقَى مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِذَا

(١) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٨، ص ١٨٤ - بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ١٧٩ / القمى، ج ٢، ص ٢٠.

صَاحَ الْقُمْرِيُّ يَقُولُ يَا عَالِمَ السِّرِّ وَالنَّجْوَى يَا اللَّهَ وَإِذَا صَاحَ الدُّبْسِيُّ
يَقُولُ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاكَ يَا اللَّهَ وَإِذَا صَاحَ الْعَقْعَقُ يَقُولُ سُبْحَانَ مَنْ
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَإِذَا صَاحَ الْبَبْغَاءُ يَقُولُ مَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ غُفِرَ ذَنْبُهُ وَإِذَا
صَاحَ الْعُصْفُورُ يَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ وَإِذَا صَاحَ الْبُلْبُلُ
يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا وَإِذَا صَاحَ الْقَبْجَةُ تَقُولُ قَرُبَ الْحَقُّ قَرُبَ
وَإِذَا صَاحَتِ السَّمَاءُ يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْفَلَكَ عَنِ الْمَوْتِ وَإِذَا صَاحَ
السَّوْذَنِيْقُ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ وَآلُهُ خَيْرُهُ اللَّهُ وَإِذَا صَاحَتِ
الْفَاحِشَةُ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ وَإِذَا صَاحَ الشَّقِرَاقُ يَقُولُ
مَوْلَايَ أَعْتَقْنِي مِنَ النَّارِ وَإِذَا صَاحَتِ الْقُنْبُرَةُ تَقُولُ مَوْلَايَ تَبَّ عَلَى
كُلِّ مُذْنِبٍ مِنَ الْمُدْنِيِّينَ وَإِذَا صَاحَ الْوَرَشَانُ يَقُولُ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ ذَنْبِي
شَقِيتُ وَإِذَا صَاحَ الشَّفِينُ يَقُولُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَإِذَا
صَاحَتِ النَّعَامَةُ تَقُولُ لَا مَعْبُودَ سِوَى اللَّهِ وَإِذَا صَاحَتِ الْخُطَّافَةُ فَإِنَّهَا
تَقْرَأُ سُورَةَ الْحَمْدِ وَتَقُولُ يَا قَابِلُ تَوْبَةِ التَّوَّابِينَ يَا اللَّهَ لَكَ الْحَمْدُ وَإِذَا
صَاحَتِ الزَّرَافَةُ تَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَإِذَا صَاحَ الْحَمَلُ يَقُولُ كَفَى
بِالْمَوْتِ وَاعِظًا وَإِذَا صَاحَ الْجَدْيُ يَقُولُ عَاجَلْنِي الْمَوْتَ ثَقُلْ ذَنْبِي
وَازْدَادَ وَإِذَا صَاحَ الْأَسَدُ يَقُولُ أَمْرُ اللَّهِ مُهِمٌّ مُهِمٌّ وَإِذَا صَاحَ الثَّوْرُ يَقُولُ
مَهْلًا مَهْلًا يَا ابْنَ آدَمَ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ يَرَى وَلَا يُرَى وَهُوَ اللَّهُ وَإِذَا
صَاحَ الْفِيلُ يَقُولُ لَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ قُوَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ وَإِذَا صَاحَ الْفَهْدُ
يَقُولُ يَا عَزِيزُ يَا جَبَّارُ يَا مُتَكَبِّرُ يَا اللَّهَ وَإِذَا صَاحَ الْجَمَلُ يَقُولُ سُبْحَانَ

مُذِلُّ الْجَبَّارِينَ سُبْحَانَهُ وَإِذَا صَهَلَ الْفَرَسُ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ
وَإِذَا صَاحَ الذُّئْبُ يَقُولُ مَا حَفِظَ اللَّهُ لَنَ يَضِيعَ أَبَدًا وَإِذَا صَاحَ ابْنُ أَوَى
يَقُولُ الْوَيْلُ الْوَيْلُ لِلْمُذْنَبِ الْمُصِرِّ وَإِذَا صَاحَ الْكَلْبُ يَقُولُ كَفَى
بِالْمَعَاصِي ذُلًّا وَإِذَا صَاحَ الْأَرْنَبُ يَقُولُ لَا تُهْلِكْنِي يَا اللَّهُ لَكَ الْحَمْدُ
وَإِذَا صَاحَ الثَّعْلَبُ يَقُولُ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَإِذَا صَاحَ الْغَزَالُ يَقُولُ نَجِّنِي
مِنَ الْأَذَى وَإِذَا صَاحَ الْكَرْكَدَنْ يَقُولُ أَغْنِنِي وَإِلَّا هَلَكْتُ يَا مَوْلَايَ وَإِذَا
صَاحَ الْإِبِلُ يَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَإِذَا صَاحَ النَّمِرُ
يَقُولُ سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ بِالْقُدْرَةِ سُبْحَانَهُ وَإِذَا سَبَّحَتِ الْحَيَّةُ تَقُولُ مَا
أَشَقَى مَنْ عَصَاكَ يَا رَحْمَانُ وَإِذَا سَبَّحَتِ الْعَقْرَبُ تَقُولُ الشَّرُّ شَيْءٌ
وَحُشٌّ.

ثُمَّ قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ تَسْبِيحٌ يَحْمَدُ بِهِ رَبَّهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ
الْآيَةَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ^(١).

٦- الباقر عليه السلام - نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ أَنْ تُوسَمَ الْبَهَائِمُ فِي
وُجُوهِهَا وَأَنْ تُضْرَبَ وَجُوهُهَا لِأَنَّهَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا^(٢).

٧- الصادق عليه السلام - مَا مِنْ طَيْرٍ يُصَادُ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَلَا يُصَادُ

(١) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٨، ص ١٨٤ - بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٧ / الخرايج والجرايح، ج ١،
ص ٢٤٨.

(٢) تفسير اهل البيت عليهم السلام ج ٨، ص ١٨٨ - نور الثقلين / البرهان.

شَيْءٌ مِنَ الْوُحُوشِ إِلَّا بِتَضْيِيعِهِ التَّسْبِيحِ^(١).

٨- الصادق عليه السلام - لِلدَّائِبَةِ عَلَى صَاحِبِهَا سِتَّةُ حُقُوقٍ: لَا يُحْمَلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، وَلَا يَتَّخِذُ ظَهْرَهَا مَجَالِسَ يَتَحَدَّثُ عَلَيْهَا، وَيَبْدَأُ بَعْلَفِهَا إِذَا نَزَلَ، وَلَا يَسْمُمُهَا، وَلَا يَضْرِبُهَا فِي وَجْهِهَا؛ فَإِنَّهَا تُسَبِّحُ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ إِذَا مَرَّ بِهِ^(٢).

٩- السَّجَّاد عليه السلام - دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَاهُ قَدْ سَجَدَ فَلَمَّا انْفَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى كَتِفِهِ ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْهَضْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ لَعَلَّنَا نُصِيبُ طَعَامًا فَقَدْ بَلَّغْنَا أَخْذَكَ الدِّينَارَ مِنْ أَبِي جَبَلَةَ قَالَ فَمَضَى وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَحْيٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَابِطٌ عَلَى بَطْنِهِ حَجْرًا مِنَ الْجُوعِ حَتَّى قَرَعَا عَلَى فَاطِمَةَ (سَلام الله عليها) الْبَابَ فَلَمَّا نَظَرَتْ فَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَ الْجُوعُ فِي وَجْهِهِ وَلَتْ هَارِبَةً قَالَتْ وَاسْوَأَتَاهُ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ كَانَ أَبَا الْحَسَنِ مَا عَلِمَ أَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا شَيْءٌ مِثْلُ مِثْلِ ثَلَاثٍ ثُمَّ دَخَلَ مَخْدَعَاهَا فَصَلَّتْ رُكْعَتَيْنِ ثُمَّ نَادَتْ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ هَذَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّكَ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ نَبِيِّكَ وَعَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَتَنُ نَبِيِّكَ وَابْنُ عَمِّهِ وَهَذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سِبْطَا نَبِيِّكَ اللَّهُمَّ فَإِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ سَأَلُوكَ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ فَأَنْزَلْتَهَا عَلَيْهِمْ وَكَفَرُوا بِهَا اللَّهُمَّ فَإِنْ آلَ

(١) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٨، ص ١٨٨ - بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٤ / نور الثقلين / البرهان.

(٢) تفسير اهل البيت عليه السلام ج ٨، ص ١٨٨ - الكافي (دار الحديث)، ج ١٣، ص ٢٦٣ / البرهان.

مُحَمَّدٌ لَا يَكْفُرُونَ بِهَا ثُمَّ انْتَفَتَتْ مُسَلِّمَةً فَإِذَا هِيَ بِصَحْفَةٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ
وَعُرَاقٍ فَاحْتَمَلَتْهَا وَوَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَهْوَى بِيَدِهِ
إِلَى الصَّحْفَةِ فَسَبَّحَتِ الصَّحْفَةُ وَالثَّرِيدُ وَالْعُرَاقُ فَتَلَا النَّبِيُّ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ كُلْ مِنْ جَوَانِبِ الْقِصْعَةِ
وَلَا تَهْدِمُوا ذُرُوتَهَا فَإِنَّ فِيهَا الْبَرَكَةَ^(١).

(١) تفسير اهل البيت ﷺ ج ٨، ص ١٨٨ - بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٢٥١ / فرات الكوفي، ص ٥٢٤.

الخاتمة

الحمدُ لله الذي بفضله تتم الصالحات وتُقبل الحسنات وتُرفع الدرجات وتُغفر السيئات وتبدل إلى حسنات وأفضل وأتم التسليم وأزكى الصلوات على خير البريات محمدٍ محمود الصفات والذي بلغَ الكمالات وآله معادن البركات وعناصر الخيرات، فالحمدُ لله أولاً وأخيراً على بلوغ الغاية بعدَ العناء وضعف البداية.

فمن خلال هذا الجزء المتقدم والذي يُعد نقطة الانطلاقة لهذه الموسوعة في شقِّه الأول والمتعلق بآيات التسبيح في القرآن المجيد (موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين) قد قمتُ بإحصاء آيات التسبيح الواردة في القرآن المجيد والتي بلغَ عددها خمسةً وثمانين آية كريمةً مُسبحة، تناولتُ في هذا الجزء الأول تحديداً سبعة عشر آية مُسبحة بالية بحث كل آية على حدة وبموضوعات ذات صلة بموطن تلك الآية، ونؤكد على أنَّ تلك التعليقات المذيّلة بكل آية لها مساسٌ سواء من بعيد أو قريب بجو الآية لتلك الآيات الكريمة المُسبحة وبالتالي لا تُعد تلك

الإضافات تحت مظلة التفسير للآيات الكريمة، بالإضافة إلى أنني قد قمتُ بإلحاق أبرز التفاسير لكبار علماء التفسير المعاصرين في المذهب الشيعي لكي يتسم هذا المؤلف بالشمولية والإثراء المعرفي وهم: السيد محمد حسين الطباطبائي في كتاب الميزان في تفسير القرآن، والشيخ محسن قرائتي في كتاب تفسير النور، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، علي رضا برازش في كتاب تفسير أهل البيت.

وقد احتوى هذا الجزء على الموضوعات التي قد قمتُ بإضافتها وهي كالتالي:

- ١- إطلالةٌ من خمس إشارات
- ٢- إضاءة حول قصة النبي زكريا عليه السلام.
- ٣- في ظلال برنامج القدوة
- ٤- تعبئة روحية
- ٥- العناية الربانية
- ٦- النعم الإلهية
- ٧- التسبيح والسجود
- ٨- معلومة عن عدد لفظي الرب والعظيم

٩- الخطابات الإلهية إلى الحضرة المحمدية ﷺ.

١٠- إشارة من الله إلى نبيه ﷺ

١١- مُراجعة النفس

١٢- معارف حول الآية الكريمة

١٣- أثر التسبيح على المؤمن

١٤- الكون يُسبح

١٥- معلومة مُفيدة حول الآية الكريمة

١٦- تسبيح الملائكة

١٧- الكون يعجب بالتسبيح

وقبل أنّ أختتم هذا الجزء من هذا السفر المبارك أقدم واجب الشكر والعرفان أولاً وبالذات لمن ألهمني هذا الجهد المبارك وهذه النفحات القيمة أنيس النفوس ولي النعمة السلطان أبي الحسن علي ابن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وأقدم الشكر إلى كل من آزرني في تأليف هذه الموسوعة المباركة سواء عملياً أو مادياً جعلها الله في ميزان حسناتهم وأطال في أعمارهم وأيدهم بتوفيقاته.

٣٨٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُوَفِّقَنِي لِإِتْمَامِ هَذِهِ الْمَوْسُوعَةِ فِي أَجْزَائِهَا
الْمُتَعَدِّدَةِ، فَتَرْقُبُوا الْجُزْءَ الثَّانِي بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ.

بقلم / يوسف إبراهيم علي الحضير

الأخصاء - التوثيق

١٤٤٥هـ

المصادر

- ١ . القرآن الكريم.
- ٢ . الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي.
- ٣ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للقاضي أبي السعود العمادي.
- ٤ . إرشاد العقل السليم لأبي السعود.
- ٥ . إرشاد القلوب.
- ٦ . أساس البلاغة للزمخشري.
- ٧ . الأسفار.
- ٨ . أصول الكافي طبقاً لنقل تفسير نور الثقلين.
- ٩ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تتمته للشيخ عطية سالم.
- ١٠ . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- ١١ . إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد.
- ١٢ . إعراب القرآن، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق

٣٨٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد.

١٣. إعراب القرآن، لقوام السنة التيمي.

١٤. أعلام الهداية الإمام الحسين "سيد الشهداء"، تصحيح ابن عاشور.

١٥. إعلام الوری.

١٦. إقبال الأعمال.

١٧. الألوسي، روح المعاني.

١٨. الأملی الشجرية لابن الشجري.

١٩. الأملی للصدوق.

٢٠. الأملی للطوسی.

٢١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري.

٢٢. بحار الأنوار.

٢٣. بحر العرفان.

٢٤. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق مجموعة من الأسئلة.

٢٥. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير تحقيق الدكتور أحمد أبو ملح

وآخرين.

٢٦. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية تحقيق بشير محمد عيون.

٢٧. البرهان.

٢٨. بصائر الدرجات.

٢٩. البيان في تفسير القرآن، زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم

الموسوي الخوئي.

٣٠. البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري.

٣١. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي تحقيق

- الدكتور حسين.
٣٢. تأويل الآيات الظاهرة.
٣٣. تحف العقول.
٣٤. تذكرة الحفاظ للذهبي.
٣٥. تفسير أبو الفتوح الرازي.
٣٦. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي.
٣٧. تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.
٣٨. تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.
٣٩. تفسير الدر المنثور.
٤٠. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض، وآخرين.
٤١. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، لأبن جرير الطبري.
٤٢. تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٤٣. التفسير الكبير للفخر الرازي.
٤٤. تفسير المراغي.
٤٥. تفسير مجمع البيان.
٤٦. تفسير النسفي.
٤٧. تفسير أهل البيت عليهم السلام.
٤٨. تفسير روح البيان.
٤٩. تفسير روح الجنان.
٥٠. تفسير روح المعاني، لمحمود الألوسي.

٣٩٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

٥١. تفسير كنز الدقائق.
٥٢. تهذيب الأحكام.
٥٣. تهذيب الأسماء واللغات للنووي.
٥٤. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق الأستاذ عبد الكريم العزاوي.
٥٥. التوحيد للصدوق.
٥٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي.
٥٧. ثواب الأعمال.
٥٨. جامع السعادات.
٥٩. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
٦٠. جريدة اطلاعات.
٦١. جمهرة اللغة لأبن دريد.
٦٢. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق الدكتور محمد بن ربيع هادي المدخلي.
٦٣. حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد.
٦٤. خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادى، تحقيق عبد السلام محمد.
٦٥. الخصال.
٦٦. الخصائص لأبي الفتح ابن جني، تحقيق محمد علي النجار.
٦٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق

- الدكتور أحمد محمد الخراط.
٦٨. الدعاء المأثور وآدابه لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية.
٦٩. دعائم الإسلام.
٧٠. روضة الواعظين.
٧١. سفينة البحار.
٧٢. سلوة الحزين.
٧٣. السيدة فاطمة الزهراء - من الميلاد حتى الإستشهاد، العلامة السيد جواد الصافي الموسوي.
٧٤. سير أعلام النبلاء للذهبي.
٧٥. شأن الدعاء، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق.
٧٦. شرح أبيات سيبويه، للسيرا في تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني.
٧٧. شرح الرضي لكتاب الكافية في النحو لابن الحاجب.
٧٨. شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٧٩. شرح المفصل لابن يعيش.
٨٠. شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم كرم.
٨١. شرح دعاء الجوشن الكبير، للحكيم المتأله المولى هادي السبزواري.
٨٢. الصحاح للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.
٨٣. الصحيفة السجادية.
٨٤. الصحيفة العلوية.
٨٥. طبقات الشافعية الكبرى للشيخ عبد الوهاب السكبي، تحقيق

٣٩٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

الدكتور عبد الفتاح الحلو.

٨٦. علل الشرائع.

٨٧. العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري.

٨٨. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تحقيق محمود محمد.

٨٩. العياشي.

٩٠. عيون أخبار الرضا.

٩١. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمانی.

٩٢. الغيبة للنعمانی.

٩٣. فتح الباري، للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٩٤. فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان القنوجي، بعناية عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

٩٥. فتح القدير للشوكاني، تحقيق أبي سيد إبراهيم.

٩٦. الفخر الرازي، التفسير الكبير.

٩٧. فرائد الكوفي.

٩٨. فضائل الأشهر الثلاثة.

٩٩. الفضائل.

١٠٠. فقه القرآن.

١٠١. في ظلال الصحيفة السجادية، الشيخ محمد جواد مغنية، الطبعة الثانية دار المعارف للمطبوعات ١٣٩٩ هـ.

- ١٠٢ . القاموس المحيط للفيروز آبادي.
- ١٠٣ . قصص الأنبياء للراوندي.
- ١٠٤ . القمي.
- ١٠٥ . القواعد والفوائد.
- ١٠٦ . الكافية الشافية وشرحها، لابن مالك الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي.
- ١٠٧ . كتاب الاشتقاق، إبراهيم بن محمد بن السري أبو إسحاق الزجاج البغدادي.
- ١٠٨ . كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.
- ١٠٩ . كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي.
- ١١٠ . كتاب الميزان في تفسير القرآن.
- ١١١ . كتاب النوادر، إبراهيم بن محمد بن السري أبو إسحاق الزجاج البغدادي.
- ١١٢ . كتاب سيبويه.
- ١١٣ . الكليات، لأبي البقاء الكوفي، تحقيق الدكتور عدنان درويش.
- ١١٤ . الكافي.
- ١١٥ . لامية الأفعال لابن مالك الأندلسي، بشرح ابنه بدر الدين.
- ١١٦ . لسان العرب لأبن منظور.
- ١١٧ . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة.
- ١١٨ . مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.

٣٩٤ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ١

- ١١٩ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧ / ٢٣١ / - ٢٣ .
- ١٢٠ . المحاسن .
- ١٢١ . المحرر الوجيز لابن عطية .
- ١٢٢ . المحكم والمحيط اللغة لأبن سيده .
- ١٢٣ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات النسفي تحقيق يوسف علي بديوي .
- ١٢٤ . المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، بشرح وضبط محمد أحمد جاد المولى .
- ١٢٥ . مستدرك الوسائل .
- ١٢٦ . مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن .
- ١٢٧ . مصباح الشريعة .
- ١٢٨ . المصباح للكفعمي .
- ١٢٩ . معالم التسييح في الإسلام، يوسف إبراهيم الخضير .
- ١٣٠ . معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد علي الصابوني .
- ١٣١ . معاني القرآن للأخفش .
- ١٣٢ . معاني القرآن للفراء تحقيق محمد علي النجار .
- ١٣٣ . معاني القرآن، إبراهيم بن محمد بن السري أبو إسحاق الزجاج البغدادي .
- ١٣٤ . معاني القرآن، وإعرابه للزجاج .
- ١٣٥ . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي .

١٣٦. المعجم الوسيط.
١٣٧. معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا.
١٣٨. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي.
١٣٩. مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني.
١٤٠. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي.
١٤١. المفصل، للزمخشري بشرح ابن يعيش.
١٤٢. المقام الأسمى في تفسير الأسماء الحُسنى، الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي.
١٤٣. مقاييس اللغة لأبن فارس، تحقيق عبد السالم محمد هارون.
١٤٤. المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة.
١٤٥. مقدمة في أصول الدين ويليها منهاج الصالحين، الشيخ الوحيد الخراساني.
١٤٦. من لا يحضره الفقيه.
١٤٧. المناقب.
١٤٨. المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى.
١٤٩. الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي.
١٥٠. نهج البلاغة.
١٥١. نور المسرى في تفسير آية الإسراء تحقيق الدكتور علي حسين البواب.

٣٩٦.....موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

١٥٢. نور المسرى، لأبي شامة.

١٥٣. نور الثقلين.

١٥٤. وسائل الشيعة.

المحتويات

إهداء.....	٩
مقدمة.....	١١
المدخل العام للتسبيح في الأدب العربي.....	١٥
المحور الأول: بناء لفظ التسبيح.....	١٩
المحور الثاني: معنى التسبيح.....	٢٣
المحور الثالث: أصل التسبيح.....	٢٩
المحور الرابع: تعدية التسبيح.....	٣٧
المحور الخامس: ماهية التسبيح.....	٤١
المحور السادس: استعمالات (سبحان) في اللغة.....	٤٩
المحور السابع: إعراب سبحان.....	٥٧
تقسيم آيات التسبيح في القرآن المجيد.....	٦٣
فهرس آيات التسبيح في القرآن المجيد.....	٦٩
أولاً: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحَ).....	٧١
ثانياً: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحَ).....	٧٢
ثالثاً: الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُ).....	٧٣
رابعاً: الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُ).....	٧٤

- ٧٤ خامساً: الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُوهُ) (تُسَبِّحُوهُ)
- ٧٤ سادساً: الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُونَ) (تُسَبِّحُونَ)
- ٧٤ سابعاً: الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُونَ) (يُسَبِّحُونَ)
- ٧٥ ثامناً: الآيتين اللاتين وردَ فيهنَّ لفظ (يُسَبِّحُونَ) (يُسَبِّحُونَ)
- ٧٦ تاسعاً: الآيتين اللاتين وردَ فيهنَّ لفظ (يُسَبِّحْنَ) (يُسَبِّحْنَ)
- ٧٦ عاشراً: الآية التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُونَهُ) (يُسَبِّحُونَهُ)
- ٧٦ أحدَ عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (نُسَبِّحُكَ) (نُسَبِّحُكَ)
- ٧٦ اثنا عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (نُسَبِّحُ) (نُسَبِّحُ)
- ٧٦ ثلاثة عشر: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سُبْحَانَ) (سُبْحَانَ)
- ٧٩ أربعة عشر: الآيتين اللاتين وردَ فيهنَّ لفظ (سُبْحًا) (سُبْحًا)
- ٧٩ خمسة عشر: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سُبْحَانَكَ) (سُبْحَانَكَ)
- ٨١ ستة عشر: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سُبْحَانَهُ) (سُبْحَانَهُ)
- ٨٣ سبعة عشر: الآيات التي وردَ فيها لفظ (سُبِّحَهُ) (سُبِّحَهُ)
- ٨٣ ثمانية عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (سُبِّحُوا) (سُبِّحُوا)
- ٨٣ تسعة عشر: الآية التي وردَ فيها لفظ (سَبِّحُوا) (سَبِّحُوا)
- ٨٣ عشرون: الآية التي وردَ فيها لفظ (سَبِّحُوهُ) (سَبِّحُوهُ)
- ٨٤ واحد وعشرون: الآية التي وردَ فيها لفظ (تَسْبِيحَهُمْ) (تَسْبِيحَهُمْ)
- ٨٤ اثنان وعشرون: الآية التي وردَ فيها لفظ (تَسْبِيحَهُ) (تَسْبِيحَهُ)

القسم الأول

التسبيح في القرآن الكريم

الفصل الأول

الآيات المشتملة على لفظ (سَبَّح)

الآية الأولى	٩١
إطلالة حول الآية الكريمة	٩١
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٤)	٩٣
ثانياً: وفقاً لتفسير النور	١٠٠
إشارات	١٠٠
التعاليم	١٠٠
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٠)	١٠٢
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت (روائي)	١٠٥
الآية الثانية	١٠٩
إضاءة حول الآية	١٠٩
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٤)	١١١
ثانياً: وفقاً لتفسير النور	١١٥
التعاليم	١١٥
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٢)	١١٦
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	١١٨
الآية الثالثة	١٢١

٤٠٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

١٢١ في ظلال الآية

١٢٢ أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٧)

١٢٢ بيان

١٢٤ ثانياً: وفقاً لتفسير النور

١٢٤ إشارات

١٢٥ عصمة الأنبياء واستغفارهم

١٢٦ استغفار الأنبياء في القرآن

١٢٧ التعاليم

١٢٨ ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٥)

١٣٢ رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١٣٣ الآية الرابعة

١٣٣ تعبئة روحية

١٣٤ أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

١٣٤ بيان

١٣٥ بحث روائي

١٣٦ ثانياً: وفقاً لتفسير النور

١٣٦ إشارات

١٣٩ التعاليم

١٤٠ ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٧)

١٤٠ التفسير

١٤٠ خالق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى

١٤٦ ملاحظة

المحتويات ٤٠١

١٤٦	الصبر مفتاح لكلّ فلاح
١٤٨	رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت
١٥١	الآية الخامسة
١٥١	العناية الربانية
١٥٢	أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ٢٠)
١٥٢	بيان
١٥٥	بحث روائي
١٥٦	ثانياً: وفقاً لتفسير النور
١٥٦	إشارات
١٥٧	التعاليم
١٥٨	ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٧)
١٥٩	التفسير
١٥٩	إنّك بأعيننا!
١٦٥	رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت
١٦٧	الآية السادسة
١٦٧	النعم الإلهية
١٧٠	أولاً: وفقاً لتفسير الميزان
١٧٠	ثانياً: وفقاً لتفسير النور
١٧١	إشارات
١٧٢	التعاليم
١٧٢	ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٧)
١٧٣	تعقيب

٤٠٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ١٧٥

الآية السابعة ١٧٧

التسبيح والسجود ١٧٧

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان ١٧٨

بحث روائي ١٨٠

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ١٨١

إشارات ١٨١

التعاليم ١٨٢

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨) ١٨٣

بحوث ١٨٦

١- بداية الدعوة العلنية للإسلام ١٨٦

٢- الأثر الروحي لذكر الله ١٨٧

٣- العبادة والتكامل ١٨٨

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ١٩٠

سبب نزول ١٩٠

الآية الثامنة ١٩٧

معلومة عن عددي لفظ الرب ولفظ العظيم ١٩٧

فائدة (لفظ الرب) ١٩٧

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩) ١٩٨

بحث روائي ١٩٩

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ١٩٩

إشارات ١٩٩

المحتويات ٤٠٣

التعاليم	٢٠٢
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨)	٢٠٣
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	٢٠٥
الآية التاسعة	٢٠٧
الخطابات الإلهية إلى الحضرة المٌحمدية	٢٠٧
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان	٢٠٩
ثانياً: وفقاً لتفسير النور	٢١٠
إشارات	٢١٠
التعاليم	٢١١
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل	٢١٣
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	٢١٤
الآية العاشرة	٢١٥
إشارة من الله إلى نبيه ﷺ	٢١٥
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ٢٠)	٢١٥
بيان	٢١٥
ثانياً: وفقاً لتفسير النور	٢١٨
ملاحح سورة الأعلى	٢١٨
إشارات	٢١٩
التعاليم	٢٢١
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٢٠)	٢٢٢
تسبيح الله	٢٢٢
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	٢٢٣

٤٠٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

٢٢٣	سورة الأعلى
٢٢٤	ثواب القراءة
٢٢٩	الآية الحادية عشر
٢٢٩	مراجعة النفس
٢٣٠	أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ٢٠)
٢٣٢	بحث روائي
٢٣٣	ثانياً: وفقاً لتفسير النور
٢٣٣	إشارات
٢٣٥	كلمة في فتح مكة
٢٣٧	التعاليم
٢٣٩	ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٢٠)
٢٣٩	عند انبلاج فجر النصر
٢٤٢	رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت
٢٤٢	الكليات
٢٤٥	الآية الثانية عشر
٢٤٥	معارف حول الآية الكريمة
٢٤٩	أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١١)
٢٥١	ثانياً: وفقاً لتفسير النور
٢٥١	الفرقان
٢٥١	إشارات
٢٥٢	التعاليم
٢٥٣	ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٢٠)

المحتويات ٤٠٥

على من يجب التوكل؟ ٢٥٤

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ٢٥٥

الفرقان ٢٥٥

الفصل الثاني

الآيات التي وردَ فيها لفظ (سَبَّحَ)

الآية الثالثة عشر ٢٦٣

أثر التسبيح على المؤمن ٢٦٣

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩) ٢٦٤

بحث روائي ٢٦٦

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ٢٦٦

ملاحح سورة الحديد ٢٦٦

إشارات ٢٦٧

التعاليم ٢٧٠

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨) ٢٧١

التفسير ٢٧١

آيات للمتفكرين ٢٧١

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ٢٧٤

فضيلة ٢٧٤

ثواب القراءة ٢٧٤

الآية الرابعة عشر ٢٧٧

الكون يُسَبِّح ٢٧٧

٤٠٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩) ٢٧٩

بيان ٢٧٩

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ٢٨٠

ملاحح سورة الحشر ٢٨٠

إشارات ٢٨١

تسبيح الموجودات ٢٨٢

التعاليم ٢٨٣

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨) ٢٨٤

نهاية مؤامرة يهود بني النضير ٢٨٤

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ٢٨٥

ثواب القراءة ٢٨٥

الآية الخامسة عشر ٢٩١

معلومة مفيدة: التعريف بالعزیز والحكيم من الأسماء الحسنی ٢٩١

الآيات المُشتملة على اقتران اسمي (العزیز الحكيم) بأل التعريف ٢٩ آية ... ٢٩٤

الآيات المُشتملة على اقتران اسمي (عزیزٌ حكيم) دون أل التعريف ١٣ آية .. ٢٩٧

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٨) ٣٠٢

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ٣٠٣

ملاحح سورة الصف ٣٠٣

التعاليم ٣٠٣

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٩) ٣٠٤

المقاتلون المؤمنون صفٌ حديدي منيع ٣٠٤

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ٣٠٤

المحتويات ٤٠٧

ثواب القراءة ٣٠٤

[سورة الصف (٦١): الآيات ١ إلى ٢] ٣٠٥

الفصل الثالث

الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُ)

الآية السادسة عشر ٣١٣

تسبيح الملائكة ٣١٣

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٧) ٣١٤

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ٣١٥

إشارات ٣١٥

التعاليم ٣١٧

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل ٣١٨

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ٣٢٠

سبب نزول ٣٢٠

الآية السابعة عشر ٣٢٥

الكون يعج بالتسبيح ٣٢٥

عرض نظريات التسبيح ٣٢٥

آراء المفسرين في تسبيح الكائنات ٣٢٦

النظرية الأولى ٣٢٧

النظرية الثانية ٣٢٧

النظرية الثالثة ٣٢٨

النظرية الرابعة ٣٣٣

٤٠٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١

سريان الشعور في عموم الموجودات ٣٣٦

سريان الشعور في الجمادات ٣٣٩

البرهان العقلي على هذا الرأي ٣٤٦

سريان الشعور والعلم الحديث ٣٤٩

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٣) ٣٥٠

بحث روائي ٣٥٨

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ٣٦٥

إشارات ٣٦٥

وعلى حد قول الشاعر الإيراني ٣٦٦

التعاليم ٣٦٧

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ٩) ٣٦٨

تسبيح الكائنات ٣٦٩

الجواب على سؤال ٣٧٢

جانب من روايات العترة الطاهرة ٣٧٤

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ٣٧٦

الخاتمة ٣٨٣

المصادر ٣٨٧

المحتويات ٣٩٧